

الحانوتي

طارق إيهاب

الحنوتي

طارق إيهاب

تصميم الغلاف : عبير محمد

تدقيق لغوي: عبدالله أبو الوفا

رقم ايداع:

ترقيم دولي:

دار فصلة للنشر والتوزيع

العزيزيه - منيا القمح - مصر

٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١

fasla.pub@gmail.com

FB .Com/Fasla .Pub



فصلة
للنشر والتوزيع
Fasla Publishing & Distribution

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة

الطبعة الاولى يناير ٢٠١٨



جميع حقوق النشر محفوظة لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائلة القانونيه

الحنوتي

ملعون هذا الزمان..

طارق إيهاب



فصلة

للنشر والتوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تحذير

* * *

تحذير واجب النفاذ قبل البداية،
هذه الرواية مبنية على أحداث حقيقية وأغلب أحداثها حدثت بالفعل، إن لم أقل جميعها!

لذا فأنا لست المسؤول إذا حدث لك أي شيء جرّاء قراءة كتابي لها.
ولكن ما أعلمه أنهم لن يتركوك أبداً، من هم؟!
سيظل هذا السؤال يدور في رأسك حتى تبدأ بالقراءة وحينما تنتهي ستصل إلى الإجابة، أجزم بأنها لن تروقك أبداً ولكن...
ولكن اعلم يا صديقي أن الحقيقة دائماً ما تكون مرّة، ورغم ذلك ستسعى وراءها بدافع مريض بزعم أنك ستستريح حينما تعلمها في النهاية.
ولكنك حينما تعرفها، ستفتح على نفسك أبواب الجحيم، مثلما فتحتها أنا وكانت النتيجة أنني أرسلت لك بهذا الكتاب من الأسفل، من أسفل الأراضي السبعة، من عندهم.

تلك البوابات السفلية التي ظلت مفتوحة حتى الآن بسبب فضول البشر القاتل،
لذا فأنا أحذرك من الآن،
اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد!
ولكن قبل أن تبدأ، أود أن أوجه مجرد إهداء صغير إلى تلك الظروف التي صنعت بدورها شخصية (الحنوتي)،
في الحقيقة، لا أعرف هل أشكر أم ماذا،
ولكن التعبير الوحيد الملائم في هذه الحالة هو،

لتذهبي إلى الجحيم أيتها الظروف اللعينة!
وانعمي بتلك النيران التي أحرقت أجساد كل من حاول الاقتراب ولمس هذا الكتاب!
فالأمر ما هو إلا لعنة تصيب جميع من يلمس هذا الكتاب أو يعرف محتواه ولو
بمجرد سماعٍ عنها فقط، وما دُمت قد فعلت، فقد أصبحت اللعنة مُلازمة لك كغيرك،
وما عليك إلا أن تُكمل القراءة، ومن ثمّ تدلّ غيرك على هذا الكتاب حتى يقرأه،
لتنجو بنفسك من أسوار هذه اللعنة.
وفي النهاية، اسمح لي أن أهديك هذا السكّين لتذبح به فضولك الذي أوصلك إلى هنا.
لتتحمل نتيجة أفعالك إذن، ذكّرتني، لا تنسَ مسح آثار الدماء فأنا أحب أن يبقى
المكان نظيفاً!

* * *

مقدمه

«الحقائق أهم بكثير من أن تُسبق بمقدمات، ولكن للضرورة أحكام».

يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الثالثة صباحاً.

أخذ ينظر من حوله دون إدراك لما هو فيه، هل هو في سجن أم أين؟! حاول تحريك يديه، يبدو أنه مُقيّد، من قام بتقييده كان ذكياً؛ لدرجة أنه لم يترك له فرصة ليتحرّك حركة بائسة؛ لينظر من حوله حتى، ما هذه الرائحة؟ لو وصفت لك ما يستنشقه الآن سيقشعرّ جسدك من الفزع! رائحة أشبه برائحة الموتى، أو إذا أردنا الدقة، رائحة القبر، العظام والأجساد المتحللة بسبب عوامل الزمن، نتيجة لدفنها هنا لعدة شهور!!

- «أَيُّ قَبْرٍ يكون فيه كرسيّ حديديّ كهذا؟! يبدو الأمر مُحيرًا بعض الشيء، لا يمكنني حتى تخيّل المكان الموجود فيه، أشعر أن عقلي يتجمّد ويتوقف عن التفكير، ما هذا الظّل الذي يتحرّك بالقرب مني!!»

كانت هذه بعض من الأفكار التي كانت تدور بداخل رأسه الذي تتساقط عليه كل فترة زمنية معينة تقدر بالثواني عدد من قطرات الماء الساخنة، فينتفض جسده لحدوث هذا، ليبدأ هو بالحديث قائلاً:

- «هل من أحد هنا؟ أين أنا؟»

- «أكذب عليك يا صديقي لو أخبرتك أنني هنا لأنقذك، بالطبع لا».

- «من أنت؟! ولماذا أنا موجود هنا؟»

- «لا تزعجني بكثرة الأسئلة، فما زال هناك الكثير من الأشياء التي لا بُدّ أن نفعلها سوياً».

- «ماذا تقصد؟»

- «ستفهم كلّ شيء قريباً، ولكن قبل أن نبدأ، لا بُدّ أن أنتزع تلك النظارة الطبيّة التي ترتديها، أظن أنها ستعيقني عن عملي».

نهض من مكانه مُتجهًا إلى ذلك الرّجل المُقيّد ثم نزع منه نظّارته وألقاها على الأرض ثم ابتسم بهدوء قائلاً:

- «ألم تخبرني إذن لماذا فعلت كلّ هذا؟»

- «أخبرك بماذا؟! أنا لا أعرفك أصلاً».

- «لا تعرفني؟! شيء غريب، لقد ظننت أنك ستعرف من أنا حينما تجد نفسك هنا».

- «تحدّث بسرعة وإلا قتلتك».

ضحك ذلك الشّخص بمكر ثم قال:

- «تقتلني؟! يبدو أنك لا تعرف شيئاً».

أنهى تلك العبارة ثم جلس على كرسيّ موجود في تلك العُرفة واستند إلى الحائط ثم قال:

- «أنت حقًا لا تعرف شيئاً، أنا واقعك المؤلم، أنا الماضي والحاضر، أنا المُستقبل، أنا مُنتهى كلّ شيء فعلته وستفعله، أنا نهايتك، أنا آفاق تفكيرك، أنا كلّ شيء فعلته دون أن تُفكّر في عاقبته، أنا العاقبة، أنا من سأخذ حقّ كلّ شخص قضيت عليه، أنا هنا لأخذ روحك يا صديقي!»

ابتسم الرّجل المُقيّد بمكر ثم أردف قائلاً:

- «مُجرّد هُراء».

- «تعتقد أن هذا مُجرّد هُراء فعلاً؟ أنا سأثبت لك عكس ذلك الآن».

نهض من مكانه ثم أمسك بالسكّين الذي كان يحمله في جيبه واتجه صوب الرّجل المُقيّد، بحركة سريعة قام بتمرير السكّين على مفصل يده اليسرى ما نتج عنه اندفاع كمّيّة من الدّماء في ظلّ صرخات الأخير وهو يستغيث ويقول:

- «ارحمني أرجوك».

تعجّب المُتحدّث إليه ثم استطرد قائلاً:

- «أأرحم من لا يعرف الرّحمة؟! ستبدأ ليلتنا الآن يا صديقي، أنت في ملعبك الآن، استعد!»

- «أستعدّ لماذا؟!»

- «ستعرف كلّ شيء الآن يا صديقي، ولكن يجب أن أرحّب بك أولاً».

قال هذه العبارة ثم قام بنقل كرسيّه الذي كان يجلس عليه ووضعه في مواجهة الرّجل المُقيّد ثم جلس وقال:

- «مرحبًا بالقاتل!!»

كان لتلك العبارة أثر سيء عليه ثم أخذ جسده يرتجف كأنه قد تعرّف على هويّة

من يُحدّثه ثم قال بخوف:
- «أند... أند... أنت...»
قاطعته على الفور:
- «أنا الحانوتي».

* * *

=====

الفصل الأول: أحداث مُشوَّشة.

«تفاصيل مُتداخلة، صراع داخليّ في الأعماق، لا تفسير له سوى أنه سبب كلّ ما سيحدث، فلو أن كلّنا يملك الفرصة للعودة إلى ما قبل فترة الأحداث المُشوَّشة في حياته، لاختار الهُروب بدلاً من الدخول في ميدانها».

* * *

دع الأمر لي، يمكنني تولي تلك المهمة، ولكن ليس الآن، يكفي فقط أن أتعرّف عليه ونصبح أصدقاءً، وقتها سأتمكن من إنجاز تلك المهمة بسهولة.

* * *

يوم الأربعاء ١٦ / ٢ / ٢٠١١، الساعة الثامنة صباحًا.

ضوء ساطع يضرب المكان، نحن في الصباح الباكر، ذلك الواقف هناك يُدعى حازم، لو رأيته ستعرف وظيفته بسهولة، إنه مُمرّض يعمل في أحد المُستشفيات المشهورة، حالته مُتيسّرة، والده على قيد الحياة، لديه أخت واحدة تدعى سلمى، صحفية مشهورة في إحدى الصّحف، الحلم الذي تمنى أن يحدث، يتحقق الآن، أنت برفقته الآن في المُستشفى، بالتحديد في عُرفة استراحة المُمرّضين.

- «مرحبًا حازم، كيف حالك؟»

- «أهلاً محمد، أنا بخير الحمد لله».

- «كيف حال أستاذ سام والدك، إنه أستاذ مُمتاز بحق».

- «كفاك مزاحًا، هو بخير».

- «أتعرف؟! هناك شحنة أدوات طبيّة ستأتي للمُستشفى اليوم».

- «وما علاقتي بهذا؟»

- «كيف تسأل هذا السؤال، أنت الشّخص الوحيد الذي يحب التعرّف على كلّ من يراهم أمامه، أظنك لن تترك مندوب تلك الشحنة حتى تصبحوا أصدقاءً».

- «هه، أضحكنتني، قد يحدث ذلك».

- «حسنًا حازم، أظن أن عليّ الذهاب الآن حتى لا يأتي المدير ويُحدث مشكلة معي كالعادة».

- «حسنًا، اذهب».

يخرج محمد من العُرفة، ويترك حازم غارقًا في أفكاره.

* * *

- «ما هذا الاستعجال؟! اهدأ يا رجل، أخبرتني مُنذ عشر دقائق أنك تريدني، وها قد أتيت إليك، ما بك غاضبًا مني؟!»

- «لقد اكتشفت شيئاً مهماً».

- «كفاك مضيعة للوقت، ما الأمر؟»

- «اليوم بالصدفة وأنا في مكتبي الشخصي سمعت...»

* * *

يوم الأربعاء ١٦ / ٢ / ٢٠١١ الساعة العاشرة صباحاً.

أنت الآن داخل شركة تصدير الأدوات الطبيّة التي سيأتي مندوبها للمُستشفى السالف ذكرها ليوصل الشحنة.

- «حازم سالم الأسيوطي، مُمرّض يعمل في المُستشفى، شخص من عائلة مُتيسّرة الحال، والده يعمل أستاذًا في كلية الحقوق، لديه أخت صحفيّة تدعى سلمى».

- «أحسنّت يا أحمد، هذا ما كنا نريده، هذا الشّخص بالذات هو من سيقوم بمساعدتنا في عملنا، ولكن...»

- «ما الأمر يا سيّد عمرو؟»

- «كيف يمكننا استقطابه للعمل معنا؟»

- «دع الأمر لي، يمكنني تولي تلك المهمة، ولكن ليس الآن، يكفي فقط أن أتعرف عليه ونصبح أصدقاءً، وقتها سأتمكن من إنجاز تلك المهمة بسهولة».

- «جيد، اذهب للمُستشفى الآن، يجب أن تتحرّك مُبكراً حتى تصل بسرعة».

- «عُلم سيادة المدير».

يخرج أحمد من مكتب مديره السيّد عمرو مُتجهًا إلى المُستشفى، أغمض عينيك وانتقل معي لترى أنك الآن داخل كلية الحقوق جامعة القاهرة، أرى الأستاذ سالم جالس على مكتبه أمامه طالب من طلابه يتحدّث معه في أمر ما.

- «ماذا تُريد يا بني؟»

- «بعد محاضرتك اليوم يا أستاذ، أردت أن أسألك سؤالاً يدور في رأسي منذ البداية».

- «تفضّل».

- «القانون الجنائي يعاقب مُرتكبي عمليات بيع الأعضاء البشريّة أليس كذلك؟»

- «نعم».

- «ولكن من يقومون بالتبرع بكليتهم مثلاً أو كبدهم للمُستشفيات؟ أريدك أن

تُوضَّح لي هذا الأمر لأنه اختلط عليّ».

- «أولاً: أشكرك على فتحك لهذا النقاش، ثانياً: القانون الجنائي وضح كثير من الأشياء حول هذا الأمر، فبالنسبة للمستشفيات: عمليات التبرع بالكلية أو الكبد تكون تحت إشراف طبيّ مُتخصّص، بموافقة المُتبرّع طبعاً، كما أن تلك العمليات لا تتم هكذا دون أية رقابة، فهي لها رقابة شديدة، وذلك حتى لا تتحوّل الجهة التي تقوم بتلك العمليات إلى شبكة لسرقة الأعضاء البشرية».

- «أفهم من هذا، أن المنظمات والعصابات الذين يقومون باختطاف الأفراد وسرقة أعضاؤهم البشريّة يقومون بهذا الأمر سرّاً ولو تم افتضاح أمرهم سيتم سجنهم بالتأكيد».

- «طبعاً يا بنيّ، هذا الأمر شائك وخطر جدّاً، أتمنى أن تنتهي تلك المشاكل من مُجتمعنا، فكلّ يوم نسمع عن مثل تلك الأشياء».

- «أشكرك يا أستاذ، أفدنتني كثيراً».

- «لا شكر على واجب، لا تتردّد في طرح أيّ سؤال عليّ وسأعطيك نصيحة أتمنى أن تعمل بها».

- «طبعاً يا أستاذ».

- «تعامل مع مواد كلية الحقوق بشغف، اطرح عليّ أي سؤال تريده مهما كان، أنت تدرس في هذه الكلية حتى تتخرج وتصبح مُحامياً كبيراً، ولم لا تترقّى وتصبح وكيل نيابة أو قاضياً شريفاً».

- «لقد شجعتني جدّاً، أعذك أن أكون كما تريد، وأن لا أخيب ظنك فيّ إن شاء الله».

- «بالتوفيق لك يا بنيّ».

ينصرف هذا التلميذ بينما يحضر سالم أدواته لينصرف وهو ينظر نظرة غير مفهومة.

يوم الأربعاء ١٦ / ٢ / ٢٠١١، الساعة الثانية مساءً.

مع دقائق الساعة الثانية مساءً يصل أحمد مع شحنة الأدوات الطبيّة إلى المُستشفى المُستهدفة، تلك المُستشفى التي يعمل بها حازم، ليدخل الأول ويتحدّث في الاستقبال قائلاً:

- «مستشفى (...)، نحن شركة (...) لتوريد الأدوات الطبيّة، أين مكتب المدير من فضلكم».

أشار أحدهم إلى حازم ليتحدّث قائلاً:

- «اذهب معي، سأدلك على مكتب المدير».

يبتسم أحمد ابتسامة فهم معناها حازم ثم أكمل ماشياً حتى دخل الأول إلى مكتب المدير، وبعد عدّة دقائق يخرج باحثاً عن حازم.

- «بحثت عنك كثيراً يا راجل، أين ذهبت؟»

- «ما الأمر؟ هل هناك مشكلة؟»

- «تعاملت معي يوضح لي أنك نسيتني، نسيت أي...»

قاطعته حازم قائلاً:

- «ماذا تقول يا أحمد، بالطبع لم أنسك، أحمد صديقي منذ الابتدائية».

- «حازم، كم اشتقت لمثل تلك الأوقات التي نجلس فيها سوياً».

- «وأنا أيضاً، أخبرني عن أحوالك؟»

- «هناك الكثير من الأشياء التي لا يمكننا التحدّث فيها هنا، أريدك أن تقابلني غداً

في مقهى (...) في السابعة مساءً، اتفقنا؟»

ابتسم حازم ثم أكمل قائلاً:

- «اتفقنا يا صديق الطفولة».

* * *

ما هذا!! نفس الورقة نجدها مرة أخرى ولكن الشخص مُختلف، ما الأمر يا سادة،

إلى الآن لم نتمكن من القبض على هذا الجاني!!

* * *

يوم الخميس ١٧ / ٢ / ٢٠١١، الساعة السابعة مساءً.

عقارب الساعة تتحرّك لتشير إلى الساعة السابعة مساءً، في أحد مقاهي القاهرة المشهورة، يجلس شاباً في مقبّل العقد الثالث من عمره، يرتدي قميصاً أزرقاً، وبنطالاً جينزاً مقطوعاً من بعض المناطق، ويقف شعره عالياً كما لو أن أحدهم أعطاه شحنة كهربية عالية وذلك بدافع مُجاراة الموضة باستخدام الجيل ليقوم بعمل ما يُسمّى

=====

بال(سابايكي)، دعك الآن من هذا، على بعد خطوات منه يوجد شخص آخر في نفس عمره تقريبًا ولكنه يرتدي قميصًا رصاصيًا، وشعره طبيعيًا كبقية البشر، أحمدك يا رب!

- «أتيت لك في الموعد المحدد، لم أتأخر عليك».

- «يبدو أنك لم تتغير يا حازم، ما زلت تحترم المواعيد».

- «هه، أضحكنتني، أحترمها لدرجة أنني لم أكن أذهب معك إلى المدرسة لأني أستيقظ متأخرًا».

- «إنها الذكريات».

- «أخبرني كيف حال والديك».

- «لقد توفي والدائي بعد أن تخرجت من الكلية بسنة تقريبًا».

- «رحمهم الله، لم أكن أعلم، سامحني».

- «لا عليك، جميعنا انشغل بعد تخرجه».

- «معك حق، أعطني رقم هاتفك، أم لم تغير السابق؟»

- «بالطبع قمت بتغييره، سجّل عندك».

تبادل الاثنان أرقام هواتفهما، لا عليك بنوع هواتفهما الآن، تعال معي لأريك شيئًا آخر.

* * *

يوم الجمعة ١٨ / ٢ / ٢٠١١، الساعة الواحدة صباحًا.

بجانب مُنتزه (...) تقف العديد من سيارات الشرطة وسيارة إسعاف، لا بُدَّ أن هناك خطب ما، اقترب معي أكثر، ها هو الضابط كامل يتحدث إلى أحد الأشخاص قائلاً:

- «متى عثرت عليه؟»

- «كنت أقوم بإدخال بعض مُتعلّقات متجري في الدّاخل وبعد أن أغلقت وهممت بالذهاب وجدت شيئًا ملقًا بجانب المُنتزه، اقتربت لأرى ما هذا، وإذ بي أرى أنها جُثة لشخص مشوّه، اتصلت على الفور بالشرطة».

يصل ضباط المعمل الجنائي ليتابعوا الأمر، يتم التقاط بعض الصور، وُجد بجانب الجُثة بعض الأوراق لينادي أحد الضباط على الضابط كامل قائلاً:

=====

- «سيادة الرائد كامل، أظننا وجدنا شيئاً مهماً».
يقترّب الضّابط ويُمسك بالأوراق.

* * *

- «الأمر بسيط، لا بُدَّ أن تأتي معي حتى نبدأ العمل».
- «ماذا حدث؟ أنا لا أرى جيداً، أشعر بالدّوار».
- «لا شيء، مُجرّد إجهاد».

يقع ذلك الرّجل مغشياً عليه ويضع الأوّل ورقة كانت معه في جيبه، تلك الورقة التي كتب فيها الآتي:

شريف جاد، جثة دون كبد أو كلية، لن تتمكّنوا من العثور على الجاني لأنكم أغبياء!!
* * *

- «ما هذا! نفس الورقة نجدّها مرة أخرى ولكن الشّخص مُختلف، ما الأمر يا سادة، إلى الآن لم نتمكّن من القبض على هذا الجاني!!»
- «اهدأ سيّدي، قد نصل إلى أيّ نتيجة إيجابيّة هذه المرة بعد تشريح الجثة».
- «أتمنى ذلك، يجب حمله الآن إلى المشرحة».
- «سنقوم بذلك».

تقوم سيارة الإسعاف بحمل القتيل المدعوّ شريف إلى المشرحة لتشريح الجثة أملاً في معرفة شيء مُختلف عن كلّ مرّة.

* * *

يوم الأحد ٣ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة الحادية عشرة مساءً.
انظر معي هنا، لتجد أن حازم يتحدّث في هاتفه إلى شخص ما، ولا بُدَّ أن الأمر شديد الأهميّة مما جعل حازم يفعل!!
- «ما بك يا أحمد؟ هل يتصل أحد على شخص ما في السّاعة الحادية عشرة؟ أنت تعلم أن لديّ عمل في صباح الغد».
- «لا مُشكلة إن تأخّرت قليلاً».
- «إذن ماذا تريد منّي؟»
- «لا بُدَّ أن أقابلك غداً، فالموضوع لا يحتمل التأجيل».

- «حسنًا، سأقابلك في المقهى الذي اعتدنا الجلوس عليه».
- «لا، الموضوع سرّي ولا يمكننا التحدث فيه في المقهى، هل يمكنك استضافتي لمدة ساعة في منزلك؟»
- «لِمَ لا، ف».

يتوقف حازم عن الحديث مُتذكرًا أمرًا ما.

* * *

- «سأذهب أنا وأختك لزيارة بعض أقاربنا في الإسكندرية».
- «كنت أودّ الذهاب معكم، ولكن أنت تعلم ظروف العمل».
- «لا مشكلة يا حازم مرّة أخرى إن شاء الله».
- «متى ستعودون؟»

- «يوم الأربعاء».

* * *

- «حازم، حازم! أين ذهبت، حازم».
- «نعم، أنا هنا، أعذر يا أحمد، لا مُشكلة، يُمكنك المجيء غدًا في السّاعة السّادسة مساءً».

ابتسم أحمد بهكر ثم أكمل قائلاً:

- «حسنًا، سأتي لك غدًا ولن أتأخر، نفس عنوانكم الذي أعرفه أليس كذلك؟»
- «نعم، ألن تخبرني ما هو هذا الموضوع الذي أيقظتني من نومي بسببه؟»
- «ستعرف كلّ شيء غدًا».

- «أكره غموضك هذا يا أحمد».

- «ألن تقدر على أن تنتظر حتى الغد؟»

- «سأحاول هذا، اذهب أنت الآن أريد أن أنام قليلًا».

- «نومًا سعيدًا».

أغلق أحمد المُكاملة بينما ظل حازم يفكر قليلًا إلى أن أكمل والنعاس يُسيطر عليه قائلاً:

- «كم أنت غبيّ، توقظني من نومي بسبب هذه التفاهات، لا بُدّ أن أنام».

=====

* * *

لن تستطيع فعل أي شيء، لا تحاول الوصول إليّ مرّة أخرى حتى لا أقتلك!!

* * *

يوم الإثنين ٤ / ٤ / ٢٠١١ الساعة السادسة مساءً.

أنت الآن يا صديقي معي داخل منزل حازم، عقارب الساعة تشير إلى السادسة مساءً، انتظر، أظنك تسمع دقات الباب الآن، يُفتح الباب ليدخل أحمد.

- «هل يمكنني الدخول؟»

- «بالطبع، ولو لا فلمٍ سأفتح لك الباب يا غبي؟!»

- «هه، أضحكيني».

- «ما الأمر الذي أردتني فيه، وأخبرتني به أمس، أنا لم أنم منذُ أمس أصلاً بسببك!»

- «حازم، سأطرح عليك سؤالاً».

- «تفضّل».

- «كم دخلك في الشهر؟»

- «لماذا هذا السؤال المُحرج؟»

- «أجبنني من فضلك».

- «٧٠٠ جنيه».

- «ألا تريد للـ ٧٠٠ جنيه أن يصبحوا ٧ آلاف؟»

سكت حازم لبرهة، ثم أكمل كلامه بلهفة:

- «كيف هذا؟»

- «سأخذك لتعمل معي في الشركة التي أعمل بها».

- «وهل توريد الأدوات الطبيّة يعطي راتبًا كبيرًا كهذا؟»

- «بالطبع لا، ولكنك ستعمل بوظيفة أخرى داخل الشركة».

- «ما هي؟»

- «أنت تعمل في مستشفى (...) بالطبع أليس كذلك؟»

- «نعم».

- «مهمتك أن تجلب لنا بعض الزبائن إلى شركتنا».

=====

- «وما علاقة المرضى بتوريد الأدوات الطبيّة، أنا لا أفهم شيئاً».
- «حازم، أنت ستجلب لنا ضحايا!!»
- «ضحايا؟! ماذا تقول؟»
- «أنت ستحضر لنا بعض المرضى من المستشفى لديك ليقوموا ب...».
- صمت قليلاً فأكمل حازم قائلاً:
- «ماذا؟ أكمل حديثك».
- «ليقوموا بالتبرّع بأعضائهم لنا، وستحصل على نسبة مقابل كلّ مُتبرع تجلبه لنا».
- «ماذا تقول أيها الغبيّ؟ هل تريدني أن أعمل بتجارة الأعضاء البشرية؟ مُستحيل».
- «ولكن انظر للجانب الإيجابي للموضوع، أنت ستحصل على مال وفير من تلك الوظيفة، ستؤمن مُستقبلك، كما أنك ست...»
- قاطعته حازم وتكلّم هو قائلاً:
- «اصمت أنت وإلا قتلتك، اخرج من منزلي الآن، هيا بسرعة».
- «ما تفعله هذا خطر يا حازم».
- «لا يهمني، اخرج من منزلي أيها الغبيّ».
- «ستدفع ثمن هذا غالياً جداً».
- «لن تستطيع فعل أي شيء، لا تحاول الوصول إليّ مرّة أخرى حتى لا أقتلك!!»
- أطلق حازم سبّةً بذيئة من فمه تبعها عدّة دفعات لأحمد تجاه الباب ليخرجه من المنزل بالقوة!!

* * *

- «كل شيء سينتهي قريباً».
- «لو تخبرني فقط ما الذي تنوي أن تفعله».
- «لا عليك بهذا، اجلس مكانك ولا تفعل أيّ شيء، تابع ما سيحدّث من بعيد، أنت لا علاقة لك بكلّ هذا منذ البداية».
- «نبرة صوتك تُقلّقني، عِدني أن نتحدّث مرّة أخرى لتخبرني بالأمر كلّ».
- سكت قليلاً وسقطت بعض الدّموع من عينيه ثم أكمل قائلاً:
- «أعدك».

* * *

يوم الثلاثاء ٥ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الرَّابِعة عصرًا.
أنت الآن داخل المشرحة ذلك المكان الذي يشير من يعملون فيه إلى أنه عالم مختلف،
عالم الأموات وليس عالم البشر، فمن روايات من يعملون داخل هذه المشرحة:

* * *

- «للدنيا عجائب سبع، والمشرحة هي العجيبَة الثامنة».

* * *

لا عليك بهذا الآن، يدخل الضابط كامل إلى المشرحة باحثًا عن دكتور سيّد، هذا هو
الشخص الذي تولى تشريح جُثة شريف أمس.

- «دكتور سيّد، هل أفاد التشريح؟ هل خرجنا بنتائج إيجابية؟»
أومأ سيّد برأسه نافيًا ثم تحدث قائلاً:

- «الجُثة دون كبد وكلَى، مات صاحب الجُثة بسبب هبوط حادّ في الدورة الدموية،
لا توجد آثار لاختناق أو ضرب بالة حادة».

- «ألا يوجد أيّ شيء آخر؟»

- «لا للأسف، لا».

- «حسنًا، يجب أن يتم تسليم هذه الجُثة لذويها».

- «لا يمكننا ذلك».

- «لماذا؟»

- «الجُثة هذه المرّة مُشوّهة تمامًا، حتى أننا حاولنا البحث عن أقارب المدعوّ شريف
جاد، ولكن جاءنا الرّدّ أن شريف مات مُنذ زمن، وما عرفته أنه لا يوجد تصريح لدفن

شخص بهذا الاسم، إذن أقاربه لا يريدون استلام جثته».

- «وما العمل إذن؟»

- «سنقوم بدفنه في مقابر الصّدقة، هذا هو الخيار الأخير».

- «حسنًا، سأنصرف أنا الآن، إلى اللقاء».

خرج الضابط كامل ومعه تقرير الطبيب الشرعيّ حتى يُكمل البحث في القضية التي
ستقيّد ضد مجهول إذا لم يكتشفوا أيّ جديد، بينما قام سيّد بإخراج هاتفه والاتصال

بشخص ما.

- «سامح، لا بُدَّ أن تأتي الآن، يجب دفن الصُّحِيَّة قبل إثارة الفوضى عليها لتتمكَّنوا من إنجاز بقيَّة عملكم، بِسُرعة حتى لا ينكشف أمرنا، الوضع هذه المرَّة خطير جدًّا».
- «لن أتمكن من المجيء الآن، ضع الجُثَّة في الثلاجة وسأتي لك غدًّا».
- «سأنتظر وصولك، لا تتأخَّر، إلى اللقاء».

* * *

هناك نافذة داخل عُرفة القتل مكسورة، يبدو أن القتل حاول الهروب من القاتل ولكن الأخير تمكَّن منه في صالة الشقة وقام بذبحه، ملابسه مُلَطَّخة بالدماء، رأسه مفصول عن جسده!!

* * *

- يوم الأربعاء ٦ / ٤ / ٢٠١١، السَّاعة الثانية عشرة صباحًا.
- انظر أمامك في هذا المكان الواسع، ذلك هو مكتب السيِّد عمرو المدير، يجلس أمامه أحمد ليتحدثا في أمر هامٍّ، ليبدأ الأخير قائلاً:
- «كما أخبرتك يا سيِّد عمرو، لقد رفض بشدَّة قبل أن أكمل له كلَّ شيء».
 - «ليس لدينا إلا الخطة البديلة، أحمد، حازم يجب أن يعمل معنا بأيِّ ثمن».
 - «وما هي الخطَّة؟»
 - «لا عليك بها، سأترك هذا الأمر لسامح».
 - «حسنًا، سيِّد عمرو».
 - يخرج أحمد من مكتب السيِّد عمرو، وبعدها بدقائق يصل سامح إليه.
 - «طلبتني سيِّد عمرو».
 - «هناك مهمَّة يجب عليك تنفيذها».
 - «ما الأمر؟»
 - أخذ السيِّد عمرو في التحدُّث ثم أكمل سامح قائلاً:
 - «ومتى عليَّ أن أقوم بالتنفيذ؟»
 - «اليوم في اللَّيل السَّاعة الثانية صباحًا، لا بُدَّ أن يكون حازم وأخته خارج المنزل في هذا الوقت».

- «وكيف سأؤكد من ذلك؟»
- «أخبرني أحمد أن حازم سيكون في عمله ولن يأتي إلا في الصّباح، وأخته ما زالت في الإسكندرية حيث عاد والده وتركها هناك عند أقاربها».
- «جيد، لا تترك وراءك أي أدلة، لا بد أن تكتمل العملية».
يخرج سامح من المكتب، مُتجهًا إلى مكان ما!!
* * *

في ظلام دامس، ترى شخصًا من بعيد يجلس مع آخر، يبدو أنه يُفكر في شيء ما.
- «لم يتبق لي إلا هذا الخيار».
- «ولكن هكذا ستعرض نفسك للخطر، وستدمر نفسك».
- «لقد دُمرت نفسي يا رجل، ماذا تقول أنت؟!»
- «كنت أتمنى لو ترجع عما تريد أن تفعله، هذه مُجازفة كبيرة».
- «عادة ما يملك المرء عدّة خيارات، ولكني الآن لا أملك إلا هذا الخيار».
- «إنها النهاية التي كنت تُحدّثني عنها مرارًا».
- «يبدو ذلك».

* * *

يوم الأربعاء ٦ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة الثانية صباحًا.
أنت الآن في المقابر، لو تريدني أن أصفها لك ليس لديّ مشكلة، هناك الكثير من الحارات داخلها، مُقسّمة إلى عدّة شوارع، وهناك الكثير من المقابر التي قد تراها معي الآن، هناك سيارة مُتوقفة أمام غرفة ما، يبدو أنها غرفة التربيّ.
- «ما الأمر يا سامح أقلقنتني؟»
- «لا شيء يا ثروت، لدينا فقط جثة جديدة، يجب دفنها سريعًا ككلّ مرة».
- «في مقابر الصدقة أيضًا؟!»
- «نعم».
- «أين الجثة؟!»
- «في السيارة، تعالَ معي لتساعدني في حملها!، ولكن يجب أن ننتهي بسرعة، لدي شيء مهمّ يجب أن أفعله بعد ساعة».

- «حسنًا».

يذهب ثروت وسامح لحمل الجثة من السيارة إلى المقبرة! اقترب معي أكثر من هذه التربة، أنت ترى ثروت وهو بالأسفل يقوم بجمع العظام ووضعها على الجوانب، حتى يكون هناك مكانًا فارغًا للجثة الجديدة.

- «ما هذا؟! ضع الجثة سريعًا، أريد أن أنصرف».

- «هه، ما بك فزعًا هكذا؟! الأمر بسيط، أعطني الجثة الآن».

يقوم سامح بإعطاء الجثة لثروت ليضعها في المقبرة، ثم يصعد بعدها إلى الخارج، ويتحدث الأخير قائلاً:

- «لا بُدَّ أن تشرب معي الشاي الآن، لا بُدَّ أن تأخذ واجبك».

- «يمكنك أن تعتبر أنني قد أخذته، أريد أن أنصرف».

- «لن أتركك تذهب، أتريد أن يقول عليّ الناس أنني بخيل؟! والله مُستحيل أن تنصرف دون أن تشرب معي الشاي».

- «حسنًا، سريعًا من فضلك، فهذا المكان يخيفني».

- «لماذا؟!»

- «رغبة المقابر، أراك تقول كلامًا عجيبًا، يبدو أن عملك في المقابر أكسبك بلادة الشعور».

- «هه، يبدو ذلك».

- «أنا ليس لدي الوقت لهذه الخرافات، سأذهب الآن».

ويخرج سامح من المقابر مُتجهًا إلى مكان ما!!

* * *

يوم الأربعاء ٦ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثالثة صباحًا.

أنت معي الآن في شارع (...) في القاهرة، هناك الكثير من سيارات الشرطة وسيارة إسعاف، يبدو أن هناك شيء ما! اقترب معي لتعرف أكثر، تلك السيّارات تقف حول عمارة ما، ضباط الشرطة يلتفون حول شقة ما، ضباط المعمل الجنائي داخل الشقة يجمعون الأدلة، ليتحدث أحد الضباط قائلاً:

- «ماذا حدث؟ هل لديك صلة قرابة مع القتيل؟»

=====

- «أنا ابنه! اسمي حازم».

- «أين كنت وقت حدوث الجريمة؟»

- «كنت في عملي، أعمل في مستشفى (...)، عدت من العمل الساعة الثانية والنصف صباحًا، كنت قد نسيت مفاتيح الشقة في الدّاخل، حاولت طرق الباب مرارًا فلم يفتح أبي، اندفعت على الباب لأكسره، لأجد الشقة جميعها مُلَطَّخة بالدماء».

- «مفهوم مفهوم، هل لوالدك أية علاقات سيئة أو مشاكل مع أحد أو أي عداوات؟»
- «لا».

- «إذن من فضلك، اجلس في الخارج حتى يستكمل ضباط المعمل الجنائي عملهم».
- «حسنًا».

ما زال الضباط يجمعون كل شيء قد يكون عليه بصمات ليُفيد التحقيق، هناك نافذة داخل غُرفة القتل مكسورة، يبدو أن القتل حاول الهروب من القاتل ولكن الأخير تمكّن منه في صالة الشقة وقام بذبحه، ملابسه مُلَطَّخة بالدماء، رأسه مفصول عن جسده!!

* * *

أرى شابًا في مقبّل شبابه يجلس على سرير موضوع في الغُرفة، ينظر دائمًا إلى الأعلى، عيناه مفتوحتان بشكل مرعب! لا يمكنك تحمّله، ناهيك عن أنه ما زال مُستمرّ على هذه الحالة مُنذ عدّة أيّام، حتى أنه لا ينام، وأسفل عينيه توجد الكثير من الهالات السوداء التي أعطته شكلًا مربعًا أكثر ممّا قبل، إضافة إلى شعره الطويل بغزارة، منظره غريب، إجمالًا، لا يُمكنك تحمّل النظر إلى شخص كهذا أكثر من دقيقة ولكنك مُضطّر!!

* * *

يوم الخميس ٧ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الثانية عشرة مساءً.
أرى هذا الضّابط يجلس أمام مكتبه مُمسكًا ببعض الأوراق، أظنها مُهمّة، دعني أقرب منه أكثر لأقرأ محتواها:

* * *

تقرير الطبّ الشرعيّ للحالة رقم: ٧٥ (سالم الأسيوطي).

الوقت المُقدَّر الوفاة: يوم الخميس ٦ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثانية وعشر دقائق صباحًا.

سبب الوفاة: استخدام آلة حادة لبتّر الرأس عن باقي الجسم.
بعد معاينة الجثة تبين وجود آثار لبصمات ليست بصمات المجني عليه، وُجِدَت البصمات حول العنق وعلى مقدمة الرأس والجبهة، كما تبين استخدام آلة حادة لبتّر الرأس وقطعها عن باقي الجسم، سمكها تقريبًا ٣ ملم، القاتل استخدم يده اليمنى في تنفيذ عمليّة القتل، البصمات التي كانت موجودة على تلك الآلة الحادّة التي كانت موجودة في شقة المجني عليه مُتطابقة مع البصمات الموجودة على جثته، ممّا يُبعد الشك في انتحاره، تمّت عمليّة القتل في الساعة الثانية وعشر دقائق تقريبًا، وُجِدَت آثار لخنق الجثة على العنق، ممّا يؤيّد الشك في أن الجاني قام بخنق المجني عليه ثم ذبحه.

* * *

يتحدّث الضّابط كامل إلى صديقه الضّابط كريم قائلاً:
- «أمر غريب؟! بمعاينة الشقة مع نجل المجني عليه أقرّ أن كل شيء في مكانه ولم يتمّ سرقة أي شيء، المجني عليه ليس لديه عداوات مع أحد، علاقته طيّبة مع الجميع، إذن ما السّبب في الجريمة؟»
- «قد تكون تصفية حسابات مثلاً؟»
- «يمكننا أخذ هذا على محمل الجدّ والسير في هذا الاتجاه، ليس لدينا خيار آخر.»
- «إذن يجب عليك وضع تحرّكات نجله المدعوّ حازم تحت المراقبة.»
- «لا يمكنني ذلك.»
- «لماذا؟»
- «هو تحت مراقبة الأطباء في مصحّة (...) للأمراض النفسيّة.»
- «ماذا أدخله هناك؟»

- «بعد أن تحدثنا إليه ثم غادر، أخبروني أنه وقف في الخارج وبعدها بدقائق وقع مغشيًا عليه في الأرض فاقداً للوعي بعدها، تم نقله للمُستشفى، وأقرّ الطبيب أنه لا بُدّ أن يتمّ إيداعه في مستشفى للأمراض النفسيّة لأن لديه صدمة كبيرة يجب علاجه

=====

منها بسرعة حتى لا يتطوّر الأمر وتصبح حالة اكتئاب، فهو من بعد إفاقة لم يتكلم مع أحد وظلّ صامتاً طوال الوقت».

- «إذن ليس لديك حلّ، سوى أن تسير في البحث عن صاحب تلك البصمات، هل قمتم بمطابقتها مع المجرمين المسجلين لديكم؟»

- «نعم، النتائج دائماً سلبية».

- «إذن الحلّ في أن تنتظر حتى يخرج من المصحّة وتقوم بمراقبة خطّ سيره لتعرف بعض المعلومات عنه».

- «هو لديه أخت وحيدة تدعى سلمى كانت عند أحد أقاربهما في الإسكندرية، عادت اليوم إلى القاهرة حينما علمت بالخبر، وهي تجلس الآن في منزل أحد جيرانهما لأنها رفضت الدخول لشقتهم بعد ما حدث».

- «يجب أن تُغلق القضية يا كامل، ليس ككلّ القضايا التي لديّ، جميعها قضايا قتل بنفس الطريقة وكلها حتى الآن قيّدت ضدّ مجهول!!»

- «أظن أنه يجب عليك أن تجلس معي وتخبرني بها، قد أفيدك بشيء».

* * *

انظر معي الآن، أنا أرى من بعيد رجل يُمسك بورقة وقلم قصير بعض الشيء، شكل هذا القلم غير مألوف، لم أرَ من قبل قلمًا ليس له سنّ، لم أرَ قلمًا لونه كلون جلد البشر! كما أن هذا القلم ذو حبر أحمر، ليس كأبيّ قلم أحمر استعملته من قبل، يقوم هذا الرّجل بكتابة عبارة ما على تلك الورقة، اقترب مني أكثر لترى العبارة،

* * *

(الحنوتي) لم يمت!!

* * *

اقترب منّي أكثر، علّك تشاهد ما أشاهده عن قرب، أنت الآن داخل مصحّة (...)
النفسية، بالتحديد في الغرفة رقم - ١٣٤ - أرى شابًا في مُقبل شبابه يجلس على سرير موضوع في الغرفة، ينظر دائماً إلى الأعلى، عيناه مفتوحتان بشكل مُرعب! لا يمكنك تحمله، ناهيك عن أنه ما زال مُستمرّ على هذه الحالة منذ عدّة أيّام، حتى أنه لا ينام، وأسفل عينيه توجد الكثير من الهالات السوداء التي أعطته شكلاً مُرعباً

=====

أكثر ممّا قبل، إضافة إلى شعره الطويل بغزارة، منظره غريب، إجمالاً، لا يُمكنك تحمّل النظر إلى شخص كهذا أكثر من دقيقة، ولكنك مُضطرب! ابتعد الآن واخرج من العُرفة لتجد طبيباً يتجوّل في أرجاء المصحّة تتحدث إليه مُمرّضة قائلة:

- «ما زال على هذه الحالة مُنذ أن أتى إلى المصحّة يا دكتور عادل، منظره يُخيف جميع العاملين في المصحّة، لا يدخل إليه أحد إلا ليعطيه الطعام أو الدّواء ثم ينصرف فوراً، دون النظر إلى وجهه حتى، الغريب أن أدوية المُهدّئات والمنوّمات التي نعطيها له لا تؤثر عليه بالمرة، بل أنها تزيد من حالته تلك، ويظلّ مستقيظاً أكثر!!»

- «حقاً إنها حالة غريبة، صدمة قتل والده لم تكن بالأمر الهين، يجب علينا أن نتعامل مع الحالة بجديّة حتى يتعافى ويستردّ طبيعته».

- «أرى أن الأمر صعب جدّاً مع حالته هذه، نحتاج إلى مُعجزة حتى يخرج من هذه الحالة».

- «عادة ما تكون المعجزات مستحيلة، ولكن ما باليدّ حيلة».

قاطعته الممرضة قائلة:

- «ما زلت مُتمسّكة برأيي حينما قلت لك أنك لا بُدّ أن تكون شاعراً يا دكتور عادل».

- «هه، شاعر؟! يبدو أنك تأثرتي بحالة حازم، اذهبي لعملك الآن!»

يوم الخميس ٧ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الثالثة صباحاً.

- «يبدو أنك اعتدت المكان، رغم أنك لم تأتِ هنا كثيراً».

انطلقت هذه العبارة من ثروت هل تذكره؟ ذلك التربيّ الذي كان بصحبة سامح مُنذ فترة، أكمل الأخير قائلاً:

- «لا تعتقد أني أتيت لك اليوم بجُثة جديدة، لا، أتيت فقط لأجلس معك».

- «اذهب، ستخاف كالمرة الماضية وستذهب».

- «لن أخاف، ولكن من...»

صمت سامح عن الكلام، بينما نظر له ثروت بتعجّب:

=====

- «ما بك؟»
- «انظر وراءك، أترى تلك المقبرة التي أشير إليها؟»
- «نعم».
- «هناك نيران مشتعلة بها، لا إله إلا الله، تعالَ معي لنطفئها».
- «إلى أين أنت ذاهب يا رجل، اجلس وسأروي لك القصة كلها».
- يعتدل سامح في جلسته بينما يُكمل ثروت حديثه قائلاً:
- «هذه المقبرة كلّ يوم في نفس هذا الوقت تشتعل فيها النيران وحدها، وبعد ساعة تنطفئ وحدها».
- «ما السبب؟»
- «يقال أن من دُفِن فيها، مات محروقاً».
- «كيف؟»
- «عُثر على جثته محروقة في منزله، وبعدها تمّ دفنه في هذه المقبرة، هذا هو حال الدنيا».
- «سلام قولاً من ربّ رحيم، ما هذه الأصوات؟»
- «هه، لم أكمل لك، لقد نشبت عداوة كبيرة بين المدفون في تلك التربة ورجل آخر، يُقال أنه السبب في حرقه، ولذلك أصبح كلّ يوم في نفس الوقت مثل الآن يصيح بأصوات غريبة، يسمعه كل من هم بالقرب من منزله، حتى أن السّكان تركوا العمارة التي كانوا يسكنوا فيها بسبب هذا الرّجل».
- «ماذا حدث له بعد ذلك؟»
- «بعد مرور أقل من أسبوع وجدوا هذا الرّجل مذبوحاً في منزله، وعلى وجهه أشدّ علامات الفزع، كما وجدوا بجانبه ورقة كُتب فيها (ضعوني في مقبرة الرّجل الذي أحرقته)».
- «وهل تمّ عمل ذلك؟»
- «كأن أقاربه كانوا لا يودّون دفنه في مقابر عائلتهم، استجابوا لرغبته ونفذوا وصيته».
- «وشقته ماذا حدث لها؟»

- «كان الجميع قد ترك العمارة ولم يتبقَّ إلا هو، لذلك قام صاحب العمارة بإزالتها، وهي الآن برج مُكوّن من عدة طوابق أكبر ممّا كان سابقًا».

- «وماذا تفعل حينما تسمع تلك الأصوات؟ أو عندما تشتعل النيران؟»

- «في البداية كنت أفزع لهذا، ولكنني تعودت، كما تعود من كانوا قبلي».

- «ماذا تقصد؟»

- «هذه القصة حدثت منذ أكثر من ١٠ سنوات، ومكان بيت هذا الرّجل الآن هو برج (...) المشهور في القاهرة».

- «ماذا؟!»

- «ما بك؟»

- «إنه محل سكني!!»

خرج سامح كالمجنون من المقابر.

* * *

وبعد عدة ساعات انظر معي، أراك تجد أن سامح قد عاد مرّة أخرى إلى ثروت ليُكمل له القصة، كم يضحكني هذا الأول كثيرًا.

- «لماذا أتيت؟ أنت تكذب جدًّا وتنصرف كلّ مرّة».

- «لن أنصرف، أكمل لي».

- «بخصوص قصة صاحب التربة التي تحترق، ماذا حدث لك وقتها، انصرفت فورًا حينما أخبرتك أن القصة حدثت في المكان الموجود فيه برج (...) الذي أخبرتك بعدها أنه محلّ سكنك».

- «أردت أن أنصرف فقط، حتى لا تخبرني أيضًا أن شقته هي نفس شقتي».

- «في الحقيقة لقد كانت دُعاة، فمكان حدوث هذه القصة ما زال قائمًا حتى الآن، مكان سكن الرّجل المحروق، والآخر الذي كان على عداوة معه، وهو بعيد عن محل سكنك بالمناسبة حتى يطمئن قلبك».

- «معك حقّ، المهم حتى لا نُضيّع الوقت، لا بُدّ أن تروي لي الحكاية منذ بدايتها».

- «أنت مُمل جدًّا، لا داعٍ لكثرة الإلحاح، أخبرتك أنني سأكملها لك في الوقت المناسب».

- «ولماذا إذن ليس الآن؟»

- «سامح، مُنذ أن عرفتني وأنت تعلم أنني دائماً ما أُخصّص وقتاً لكل شيء، والآن ليس وقتك، إنه وقت تربة صديقنا الذي تريد معرفة قصته».

- «كيف هذا، لم أفهمك».

- «هل تظن أننا نترك تلك التربة وحدها؟ أوصانا أقارب الرَّجل الأول الذي دفن فيها، أي صاحبها الأصلي، أن نقرأ أمامها بعض الأشياء في السّاعة الثالثة والنصف صباحاً، لا تسألني لماذا، ولا تسألني أيضاً لِمَ هذا التوقيت».

- «كنت سأسأل هذا السؤال فعلاً».

- «لتدرك فقط أنني أعرفك جيداً، المهم لا تُضيّع وقتي، سأذهب أنا الآن، لقد اقتربت الثالثة والنصف».

- «سأتي معك».

- «هل أنت متأكد من هذه الرغبة؟ لن تمتلك القدرة في الرَّجوع عن اختيارك مرّة أخرى!!»

- «لم أفهمك، ما بك غامضاً اليوم؟»

- «هه، إذن هذا اختيارك، تعالَ معي وأمرّك على الله».

يخرج ثروت وسامح متجهين إلى التربة المقصودة!!

ألم تسمعني؟ طلبت منك أن تذبح والده، أو سأقوم أنا بذبحك!!

يوم الجمعة ٨ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة التاسعة صباحاً.

تجاوز معي باب شركة (...) لاستيراد وتصدير الأدوات الطّبيّة، جيّد أنك تعدّيت هذا الباب الحديديّ، أكره هذا الباب بشدّة، دائماً ما يُعيقني عن الدّخول سريعاً، لا عليك بهذا الآن، هل تحبّ استقلال المصعد أم الصعود على السلم، اختر ما يريحك، كنت سخيّفاً أليس كذلك؟ هه، دعني أكمل لك الأمر، أنت الآن داخل مكتب السيّد عمرو وها هو سامح يجلس أمامه ليتحدّثا في موضوع ما، يبدو من حدّة وجههما أنه مهمّ جدّاً، ليُكمل الأخير قائلاً:

- «تم التنفيذ حسب توجيهات سيادتكم أستاذ عمرو».

=====

* * *

- «هناك مهمة يجب عليك تنفيذها».
 - «ما الأمر؟»
 - «هناك شخص جديد نودّ أن نضمّه لنا، يُدعى حازم، حاول معه أحمد ولكنه رفض بشدّة، يجب أن نضمّه بالقوّة».
 - «وماذا يجب عليّ أن أفعل؟»
 - «اذبح والده!!»
 - «ماذا؟!»
 - «ألم تسمعني؟ طلبت منك أن تذبح والده، أو سأقوم أنا بذبحك!!»
 - «ومتى عليّ أن أقوم بالتنفيذ؟»
 - «اليوم في الليل السّاعة الثانية صباحًا، لا بدّ أن يكون حازم وأخته خارج المنزل في هذا الوقت».
 - «وكيف سأؤكد من ذلك؟»
 - «أخبرني أحمد أن حازم سيكون في عمله ولن يأتي إلّا في الصّباح، وأخته ما زالت في الإسكندرية حيث عاد والده وتركها هناك عند أقاربها».
 - «جيد، لا تترك وراءك أي أدلّة، لا بدّ أن تكتمل العمليّة».
 - يخرج سامح من المكتب، مُتجهًا إلى مكان ما!!
- * * *

- «جيد، أنا واثق من أنك لم تترك وراءك أيّة بصمات كما أخبرتك».
- نظر سامح إلى الأعلى مُتذكرًا شيء ما! ثم تنحنح وأكمل حديثه قائلاً:
- «طبعًا سيّد عمرو، طبعًا».
- «ما بك؟»
- سكت سامح ثم أكمل قائلاً:
- «لا شيء، لا شيء».
- «حسنًا، يُمكنك الذهاب الآن».
- خرج سامح من مكتب السيّد عمرو.

انظر معي إلى هذا المكان المظلم! الظلام يُحيط بالمكان جيّدًا، لا يُمكنك أن ترى أيّ شيء، كما لو أنك وضعت يدك على عينيك وأغلقتهم جيّدًا وأنت داخل غرفة ليس بها أيّة إضاءة، رائحة تُشبه رائحة الموت! رائحة الموتى بالطّبع بعد تحلّل جُثثهم، لو ظننت مثلي هكذا أودّ أن أخبرك أنك أخطأت، أنت الآن في غرفة عادية لم تفتح مُنذ فترة طويلة، فترة طويلة جدًّا تقدر بالسنين، أرى أن هناك شخصًا ما يجلس على مقعد صغير، لو دققت النظر في الظلام قد ترى أنه يُمسك بورقة ما في يده، سأتعبك معي، ولكن هل يُمكنك النظر إلى ما في الورقة؟ هذا صعب ولكن يُمكنك فعل هذا، إن لم تتمكّن من ذلك فلا مشكلة، يُمكنني إخبارك بسهولة، يبدو أن هذه الورقة بها بعض الكلمات التي كان قد أخبره بها من قبل شخص آخر، ها هو يتلوها الآن.

يوم الجمعة ٨ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الثانية مساءً.

أنت الآن داخل منزل السيّدة دلال، تلك الجارة التي تبلغ الـ٤٠ من عُمرها، ها هي تجلس الآن مع سلمى مُنذ حادثة مقتل والدها لتتكلّم الأخيرة قائلةً:

- «لن أتمكن من الذهاب للعمل، لست قادرة على فعل هذا بعد موت والدي».
- «أعلم أن ما حدث صعب عليك يا سلمى، ولكن ما باليدّ حيلة، يجب عليك الذهاب، إنه مُستقبلك ولا يُمكنك التفرّيط فيه».
- «لن أذهب، سأرتاح اليوم لأذهب إلى حازم في المُستشفى لزيارته غدًا».
- «مسكين حازم، لا أدري كيف هو الآن، كانت الصّدمة شديدة عليه».
- «الأمر صعب علينا جميعًا».
- «ولكن يا ابنتي لا بدّ أن تعودى لاستكمال عملك مرة أخرى، حازم لن يرضى بهذا ولو كان والدك حيًّا، كان لن يرضى بهذا أيضًا».
- «سأذهب، ولكنني أريد أن أرتاح قليلًا، أنتِ تعلّمي كلام الناس دائمًا، لذلك لن أذهب إلا الأسبوع القادم».
- «وماذا بالنسبة للمدير؟»
- «لقد استأذنت منه وأعطاني الإذن بعدم الحضور هذا الأسبوع».

- «جيد، هيّا لتناول الغداء الآن، ولا تقولي لي لا أريد».
- «حسنًا».

تذهب دلال وسلمى لتناول طعام الغداء.

* * *

يوم الجمعة ٨ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الحادية عشرة مساءً.
لا بُدَّ أنك لم تنسَ هذا المكان بالطّبع، دقق النظر ستجد سامح يجلس في غُرْفَةِ ثروت
التربيّ كعادته مثل كلّ مرة، ليتكلّم الأخير قائلاً:
- «أضحكتني كثيراً بالأمس حينما هربت عند سماع صوت يخرج من التربة أثناء
قراءتي عليها».

- «المرء له عُمر واحد، وأنا لست مُستعدّ للتضحية بعُمري».
- «هه، ما بك يا رجل؟ بالأمس تهرب، واليوم تأتي لي حتى أقصّ عليك قصّة هذا
الرّجل، كم أنت غريب جدًّا!»
- «أعرف قصّته نعم، أجلس أمام تربته وأشاهدها لا».
- «لم أكن أعرف من قبل أنك جبانًا، ماذا لو أخبرتك أنه...»
قاطعها سامح قائلاً:

- «لا بُدَّ أنك ستخبرني بأن صاحب التربة كان ينام في غرفتي».
- «كيف عرفت ذلك؟»
- «ماذا؟!»

- «أمزح معك، أخبرتك سابقًا أنها كانت مُزحة».
- «ثروت، أصبحت غريبًا جدًّا بعد أن عملت في المقابر، لم تكن هكذا حينما كنّا زملاءً
في الدراسة».

- «كل شيء يتغيّر يا سامح، هل تعتقد أنني لو استمررت في التعليم ولم أتركه مُنذ
المرحلة الإعداديّة هل كنت سأكون هكذا الآن؟ كنت سأصبح جبانًا مثلك».
- «أنا لست جبانًا».

- «أثبت لي عكس ذلك، تعالَ معي لأقصّ عليك قصّة الرّجل أمام تربته؟ أم تخاف
أن يخرج منها فيقتلك؟»

- «أنا لست خائفًا».
- «أثبت لي».
- «تعالَ معي، هيّا إلى التربة».
- «على الرحب والسعة».
- يخرج ثروت وسامح متجهين إلى التربة المقصودة!!
- «وصلنا إلى التربة، هيّا ابدأ».
- «أراك مُتَشوّقًا لمعرفة القصة».
- «بالطبع».
- «قد يتغيّر رأيك حينما أبدأ».
- «ماذا تقصد؟»
- «هه، لا شيء، استمع إليّ».
- ويبدأ ثروت في رواية القصة إلى سامح.

* * *

اصمت وإلا ستحترق! اصمت وإلا أحرقتك!!
* * *

- أظنك اعتدت المكان، ها هو ثروت يجلس ويتحدث مع سامح الذي جذبته قصة ذلك الرجل ويريد أن يعرف تفاصيلها، ليبدأ الأول في الحديث قائلاً:
- «بطل قصتنا يُدعى عابد، كان شخصًا روحانيًا وك...»
قاطععه سامح قائلاً:
- «ماذا تعني بروحاني؟»
- «هكذا لن ننتهي، من فضلك لا تُقاطِعني وستعرف كل شيء».
- «حسنًا».
- يُكمل ثروت قائلاً:
- «فسّر الكثير من الأشخاص وظيفته بعدة تفسيرات، لديك من يقول أنه ساحر أو دجال، والآخر يقول أنه رجل مُبارك، ويجلب الحظ لمن يأتي إليه ويُباركه».
- «وما تفسيرك لوظيفته أنت؟»

- «لن أعطيك تفسيرًا دقيقًا لأنّي لم أعاصره، ولكنني سمعت القصة من جدّي، وقتها كان جدّي يقول أن هذا الرّجل كانت تعاملاته سرّية ونحن لا نعلمها».

- «حسنًا أكمل».

- «كان عابد يعرفه مُعظم، إن لم أقل جميع الناس، الكلّ يعرف أنه ذلك الرّجل الروحانيّ الواصل على رأيهم، وكلّ من كان يُساعدهم قصصهم معروفة، سأذكر لك عدّة قصص منها».

- «لا أتمنى أن تكون القصص تافهة كما أسمع عن مثل تلك الأشياء، أمثال: ساعدني يا شيخ ابنتي لم تنجب مُنذ أن تزوجت مُنذ ٤ سنوات».

- «هه، أنت لا تعرف شيئًا، إن عرفت القصص كاملة أظن أنك ستغيّر رأيك بالكامل».

- «حسنًا، هيّا أخبرني إذن».

- «لا تتعجّل، هُناك الكثير من الأشياء التي يجب أن تعرفها أوّلًا».

- «ما هي؟»

- «أنت أمام تربة الرّجل، بمعنى أنني لست مسؤولًا عمّا قد يحدث لك إذا سخرت منه».

- «هه، لهذه الدرجة هو واصل؟ لا أظن إلا أن كلّ هذا مُجرّد هُراء مُتوارث عبر الأجيال».

بعد أن نطق سامح بهذه العبارة اشتعلت نار سوداء بالتربة! وأمسكت بعض السنة النيران العالية بسامح!!

* * *

انظر معي إلى ذاك الشّخص، إنه أحمد بالطّبع تتذكره، أراه مُمسكًا بهاتفه ويتحدّث مع شخص ما، سنتعرف عليه من بداية أحمد بالحديث قائلاً:

- «سيّد عمرو، لدينا ضحيّة جديدة».

- «دائمًا ما تأتي بالأخبار السعيدة، أخبرني هل هو ذكر أم أنثى؟»

- «إنه ذكر، سأخبرك عنه حينما أقابلك، ولكن سأنهاي بعض الأشياء مع طبيب المشرحة وأحضر فورًا».

- «سأنتظرك سريعًا، لا تتأخّر».

- «سأكون أمامك بعد أقل من ساعة».

* * *

أخذ ثروت ينطق ببعض الكلمات الغريبة بصوتٍ عالٍ عدّة مرات حتى خمدت النيران وانطفأت، ليتحدّث سامح قائلاً:

- «ما هذا الذي قلته؟ هل تت...»

قاطعته ثروت قائلاً:

- «اصمت أيّها الغبي ولا تتحدّث مرّة أخرى بكلماتك هذه، كدت أن تقضي على نفسك».

- «ماذا فعلت؟ أخبرني».

- «ستبقى غيبي طيلة حياتك، وهل سأعمل بالمقابر وأحرس هذه التربة دون أن أعلم كيف أتمكّن من التعامل مع هذه الأشياء».

- «أيّ أشياء؟»

- «أخبرتكَ سالفاً أن هذا الرّجل تعاملاته سرّيّة، وبغبائك الشديد كدت أن تجعله يقضي عليك ويأخذك معه ويعذبك».

- «كلّ هذا؟! أنت تُبالغ».

في هذه اللّحظة سمع سامح صوت يهمس له في أذنه بغضب:

- «اصمت وإلا ستحترق، اصمت وإلا أحرقتك».

* * *

استيقظ هذا الرّجل وأخذ ينظر من حوله، هذا المكان ليس مُعتاداً عليه، لا شكّ أنه ليس منزله، الحوائط كلها باللّون الأحمر، لون الدم! وكُتب على أحدهم عبارة باللّون الأسود جذبت ذاك الرّجل لها واحمرّ وجهه واقشعرّ جسده بسببها، لا بُدّ أن وراءها سرٌّ لا يعلمه إلا هو فقط!!

* * *

اقترّب موعد الذبح! الضّحيّة تقترب! موعد الضّحيّة الأولى غداً.

* * *

ذهب أحمد إلى المشرحة ليقابل سيّد كالعادة، ليبدأ الأخير قائلاً:

=====

- «ما الأمر؟ أخبرتني في الهاتف أنك تريدني في أمر هام».
- «نعم، لدينا ضحية جديدة».
- «ولماذا تخبرني بها؟ دائماً ما أعلم بأمرها حينما أرى تلك الدلائل التي تتركونها على الجثة».
- «أتيت لك اليوم، لأن ذلك سيتغير، حتى نضلّ الشرطة، لنبعدهم عن طريقنا».
- «ماذا سيتغير؟»
- «شيء بسيط، لن تظهر الجثث، وسأتي بها مباشرة إليك».
- «هذا خطر، إذن لا بدّ ألا تأتي بها إلا حينما أخبرك أن المكان آمن».
- «إن كان الأمر هكذا فهو بسيط».
- «حسنًا، متى الموعد؟»
- «سننتهي من الضحية غدًا، وستكون لديك في خلال أيام حينما أتصل بك».
- «جيد، سأجهّز مكانًا آمنًا لاستقبالها».
- «لا تنسَ إعداد طعام العشاء لها».
- «هه، حسنًا».
- «وأخبر ذلك الغبيّ سامح أن يأتي، لم أره منذ مدة».
- «لقد اختفى منذ أن أعطيته آخر ضحية ليدفنها لدى ثروت».
- «حتى ذلك الأخير أنا لا أرتاح له».
- «إنه أكثر تربيّ موثوق أعرفه، كما أنه يعمل معنا منذ زمن».
- «أتعرف إن غدر بنا من سيدفع الثمن؟»
- «من؟»
- «هه، أنت بالطبع!!».
- «تنحني سيّد ثم أكمل قائلاً:
- «لن يحدث شيء، كلّ شيء مُدبّر».
- «أتمنّى ذلك، سأذهب الآن وحينما أنتهي سأخبرك».
- «حسنًا».
- يخرج أحمد من المشرحة ماضيًا في طريقه.

* * *

دكتور عادل، من فضلك، هذا الكلام يمكنك أن تقوله لأيّ أحد إلا العاملين في
المُسْتَشْفَى، جميعنا نعلم أن هذا الكلام يقوله الأطباء النفسيّين للخروج من المآزق
فقط!!

* * *

يوم السَّبْت ٩ / ٤ / ٢٠١١، السَّاعة الرَّابِعة صَبَاحًا.
يأتي اتصالًا هاتفيًّا إلى ثروت من شخص ما، ليتكلّم الشَّخص قائلاً:
- «يجب أن نتقابل الآن».
- «ولكن».
- «لا تقاطعني، الأمر لا يحتمل التأخير».
- «حسنًا، أين؟»
- «وراء المقابر التي تحرسها يوجد مكان مهجور قلّما أن يذهب إليه أحد، أنا أنتظر
هناك الآن، احضر بسرعة».
- «حسنًا».
يخلق هذا الشَّخص الاتصال وبعد خمس دقائق يأتي إليه ثروت في المكان المُحدّد،
ليتحدّث الأخير قائلاً:
- «ما الأمر؟»
- «أحتاجك في أمر مهم».
- «كفاك غموضًا، أخبرني بالأمر كاملاً».
- «أريدك أن تقم...»
ويتحدّث هذا الشَّخص مع ثروت وبعد أن ينتهي يتحدّث ثروت قائلاً:
- «متى أبدا؟»
- «من اليوم لو تريد».
- «سأنتظر وصوله وسأبدأ».
- «اتفقنا».
ويخرج هذا الشَّخص من ذلك المكان المهجور مُنصرفًا.

يوم السبت ٩ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الواحدة مساءً.

أنت الآن داخل مصحة (...) النفسية، المصحّة المحتجز بها حازم بعد حادثة مقتل والده الغامضة، أريد أن أذكرك بالدكتور عادل المسؤول عن حالة حازم، ستتعرف عليه أكثر في الأيام المقبلة، ادخل معي إلى باب هذه الغرفة ستجده يتحدث مع إحدى الممرضات قائلاً:

- «هل أكل شيئاً اليوم؟»

- «لا، وكمثل كل يوم لا يأكل إلا القليل ونحن نجبره على ذلك، وفي بعض الأيام لا يأكل مطلقاً، لا ندري ماذا نفعل».

- «اتركوا لي الأمر، يُمكنك الخروج الآن».

خرجت الممرضة بينما أخذ عادل يتحدث إلى حازم قائلاً:

- «ما بك يا حازم؟ هذا ليس أسلوباً، يجب أن تعرف أننا مُجرّد أسباب، وهذا قضاء وقدر، والدك الآن في مكان أفضل بكثير، ولو كان موجوداً لن يكون فرحاً بحالتك الآن».

- «هل أنت مُقتنع بما تقوله؟»

- «بالطبع».

- «لو كان موجوداً، لن تجدني هنا، لو كان موجوداً سيتغيّر كل شيء».

- «إذن يجب عليك أن تقف الآن، وتغيّر كل ما يحدث هذا، يجب عليك أن تعود حازم القديم، حازم الممرض الشجاع الطيب».

- «يبدو أن الطيبة ليس لها مكان هنا يا دكتور».

- «ماذا تقصد؟»

- «لا شيء، لا شيء».

- «حسناً، يجب عليك أن تأكل لتحسّن صحتك وتعود كالسابق، فقد أصبحت هزياً جداً».

- «أريد أوراقاً وأقلاماً كثيرة من فضلك».

- «لك هذا ولكن بعد أن تأكل».

- «أنت تستعمل أسلوب المَقايسة الذي انتهى مُنذ قرون».
- «هذا ما لديّ، وأنت مُجبر أن تأكل حتى تحصل على طلبك، اتفقنا؟»
- ضحك حازم ضحكة خفيفة ثم أكمل قائلاً:
- «اتفقنا».
- «أنه طعامك وستجد ما طلبته أمامك فوراً».
- خرج الدكتور عادل من العُرفة وعاد إلى الممرضة في مكتبه ليجد نفس الممرضة هناك مجدداً ليتحدّث إليها قائلاً:
- «إنه طبيعيّ جدّاً، كيف تخبريني إذن أنه غادر المصحّة؟»
- «أقسم لك يا دكتور عادل أني قمت بالمرور على غرفته السّاعة الرّابعة صباحاً ولم أراه».
- «كيف ذلك؟»
- «لا أدري، لقد اختفى من المصحّة لمدة ساعتين تقريباً وفي السّاعة السّادسة مررت لأتفاجأ بوجوده».
- «والأمن والحراس، والممرضات؟ كيف ذلك، إنه أمر لا يُصدّقه عقل».
- «التفسير ليس لديّ لأخبرك به يا دكتور».
- «لا عليك من كل هذا، يبدو أنه كان في دورة المياه مثلاً».
- «لم يكن هناك، تحققت من ذلك بنفسي ولم أجده».
- «يبدو أن ضغط العمل أثّر عليك وأصبح يتهيّأ لك الكثير والكثير».
- «دكتور عادل، من فضلك، هذا الكلام يمكنك أن تقوله لأيّ أحد إلا العاملين في المُستشفى، جميعنا نعلم أن هذا الكلام يقوله الأطباء النفسيّين للخروج من المآزق فقط!!»
- «اذهبي من أمامي الآن وإلا طردتك من المصحّة أيتها الغبيّة، الطبّ النفسيّ شيء هامّ، ليس ذنبي أنك غبيّة ولا تفهمي صحّة ما أقول».
- «ولكن يا دكتور...»
- «اذهبي من أمامي، هيّا اذهبي».
- خرجت الممرضة من مكتب الدكتور عادل بينما جلس هو يفكّر في الأمر، ثم تكلم

بصوتٍ عالٍ قائلاً:

- «مُستحيل!!»

بعد عدّة دقائق عادت إحدى الممرّضات بالأوراق والأقلام إلى حازم، أخذها حازم وبدأ يكتب في عدّة أشياء مُبهمة.

* * *

يوم السّبت ٩ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الرّابعة عصرًا.

أنت الآن داخل مركز الشّركة، بالتحديد على مكتب الضّابط كريم، أراه يتحدّث مع صديقه الضّابط كامل في أمر ما، يبدو أنه مُهمّ لما يظهر من تعبيرات على وجوههما، ليبدأ بعدها الضّابط كريم في التحدّث قائلاً:

- «ماذا تقصد بكلامك هذا؟»

- «أردت أن أخبرك فحسب، وجدنا في منزل القتل بصمات على جثته لا نعرف هي لمن، أردت أن أخبرك حتى تطابقوها بالبصمات التي تجدونها على الجُثث المقتولة التي تعثرون عليها، قد تصلوا إلى شيء».

- «هذا أمر غير معقول، وما الرابط بين هذا وذاك؟»

- «هذا احتمال ليس أكثر يا كامل، أنت تريد الوصول إلى أيّ خطوة جديدة في تلك القضية، لذلك يجب عليك أن تفعل أي شيء يخطر ببالك قد يُوصلك لشيء ولو بنسبة ١٪».

- «حسنًا سأعمل بنصيحتك، سأطلب منهم مُطابقة البصمات».

- «ليس هكذا فقط، بعد خروج حازم من المُستشفى يجب مراقبته أيضًا، كن على علم أنه سيُوصلنا للحقيقة».

- «وكيف وهو لا يعرف من قتل والده أصلًا؟»

- «مقتل والد حازم يتعلق بحازم، تصفية حسابات، هذا ما أقصده».

- «جائز».

- «يجب أن نسير على هذا النهج لنصل إلى الحقيقة».

- «أتمنى أن تُحل هذا القضية بسرعة، لقد مللت من توالي الجرائم».

* * *

أرى من مكاني هذا شخصين يتحدثان سويًا، يبدو أن الأمر مُهمّ، دعنا نقرب لنعلم ما هو ذلك الأمر.

- «الضحايا تتوالى، وهذا ما نريده».

- «ولكن في هذا خطر عليك سيدي».

- «لا خطر سيكون موجودًا بعد اليوم، كل المخاوف ستنتهي الآن».

- «كيف ذلك؟»

- «ستعرف بعد دقائق».

- «ما زلت على نفس طبعك، غامض جدًّا».

أخذ الأخير يُردّد بعض الكلمات التي من الواضح أن لها تأثيرًا على الغرفة التي كانا يجلسان فيها، أخذت الغرفة تهتزّ بشدّة بينما أخذ الشخص الآخر يصرخ من الخوف، وبعد عشر دقائق نطق الأول قائلًا:

- «انتهى».

* * *

يوم الأحد ١٠ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثانية مساءً.

لم ترها كثيرًا، ولكنك ستعلم من هي حينما تسمع حديثها مع صديقتها، نعم، إنها سلمى الأخت المتبقية من عائلة (الأسيوطي)، الأم ماتت والأب ذُبح والأخ في مصحّة نفسية، كم أشفق على تلك الفتاة جدًّا، تابع ما تقوله في هاتفها:

- «حسنًا، سأذهب يوم الأربعاء يا وفاء إلى العمل».

- «حقًّا؟! أنا سعيدة جدًّا لأنّي أسمع هذا، أخيرًا يا سلمى».

- «مُضطرّة ليس أكثر، يجب عليّ أن أنهي تلك الأزمة التي مررت بها، لقد مللت».

- «هه، ستخرجي منها لتواجهي الأزمات في العمل».

- «أعشقك لأنك متفائلة دائمًا، اذهبي الآن حتى لا أضربك».

- «أصبحت عنيقة جدًّا يا سلمى، لم أعهدك هكذا أبدًا».

- «لقد اكتشفت حقًّا أن الطيبة لا تصلح في مُجتمعنا هذا».

- «على رسلك، ماذا حدث لكلّ هذا؟»

- «لا عليك، يجب أن أنصت لكِ وأنسى كلّ ما حدث في الماضي حقًّا».

=====

- «هذا هو الحلّ يا صديقتي، اخرجي من واقعكِ هذا إلى واقع آخر، الواقع الذي تريدينه وليس ما يفرضه عليكِ الناس».
 - «أول مرّة تقولي فيها شيئًا صحيحًا».
 - تحدّثت وفاء بنبرة فخر ثم قالت:
 - «دائمًا أكون هكذا».
 - «إذن يجب أن تُنهي المُكالمة الآن حتى لا يأخذكِ الفخر ثم تتناسيني».
 - «إلى اللقاء، أراك قريبًا».
 - وأغلقت سلمى المُكالمة وجلست على أريكتها تُفكّر في أمر ما.
- * * *

الفصل الثاني: أحداث غريبة .

«هي فترة تلي السابقة، يشتركان في أن كليهما له أثر مُرعب في حياتنا».

كل شخص هُناك من هو أعلى منه في هذه المنظمة، الأوامر تصلنا من رئيس المنظمة في الخارج وعلينا التنفيذ وإلا سنقتل جميعًا.

* * *

يوم الثلاثاء ١٢ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الثانية صباحًا.

اقترب منّي أكثر، علّك تفهم ما أشاهده الآن، نفس الشّخصين الذين أصبحا لا يفارقان بعضهما أبدًا، هه، قبل أن أكمل، أعتقد أنك عرفتهم، نعم أنت على صواب، إنهما ثروت وسامح، يبدو أن ثروت كالعادة يجلس في غُرفته، وسامح يستمع إلى قصصه عن تلك التربة الملعونة على حد قول سامح ليبدأ الأخير قائلاً:

- «ثروت، أخبرني بالحقيقة، من فضلك أريد أن أعرف».

- «هل تخاف؟! إن كانت الإجابة بنعم، فتذكّر أنك من بدأت بالاستهزاء بالأمر، طلبت منك ألا تستهزئ بهذا الرّجل وأنت لم تصدّقني».

- «حسنًا، سأصمت ولن أتكلّم، ولكن أخبرني بكلّ شيء».

- «سأخبرك بما تريد أن تعرفه، ولكن كن على علم أنك إن فعلت شيئًا آخر ستتحمل الثمن وستدفعه غاليًا».

- «حسنًا».

يصمت ثروت قليلًا ثم يكمل قائلاً:

- «أخبرتكَ من قبل أنّي سأقصّ عليك عدّة قصص لهذا الرّجل، عابد بالطّبع تتذكّر اسمه، آخر هذه القصص هي الخاصّة بالرّجل الذي قتله، سأتركها للنّهاية حتى تعلم معلومات كثيرة عنه».

- «حسنًا، هيّا ابدأ».

ويبدأ ثروت بإخبار سامح بالقصص!

* * *

انتقل سريعًا من المقابر إلى المشرحة، الفرق ليس كبيرًا، في الاثنين ستجد أشخاصًا ميّتين ولكن طريقة وضعهم تختلف، في الأولى ستجدهم في القبور، وأمّا الأخرى فتجدهم في الثلاجات والأدراج، يجلس هُنا سيّد على منضدة موجودة أمامه في

=====

غُرْفَة ما، لم أره يدخل هذه الغُرْفَة من قبل، كانت مُغلقة بالمفاتيح والأقفال، لم يكن يتردّد عليها أحد من قبل، نعم، استنتاجك صحيح، هو يجهّز الغُرْفَة التي ستنتقل إليها الضحايا بعد التعامل معها، يضع المنضدة التالية: أكثر من مشرط بأحجام مختلفة، بعض السكاكين، بعض المواد المخدّرة، لا أدري ما سبب وضعها وكلّ من سيأتي إلى هنا سيكون قد مات أصلاً، لا يهتمّ ذلك، والعديد من الأشياء الأخرى التي لن يسمح لي الوقت حتّى أذكرها، بعد ذلك قام بإحضار بعض المقاعد ووضعا على جانبيّ الغُرْفَة، علّق فوق مكان الباب مصدر إضاءة باللون الأحمر، وعلى الحائط الأيمن توجد ساعة قديمة جدّاً، أسمع صوت عقاربها المزعج من مكاني هذا، على الحائط الأيسر علّقت بعض الأشياء الأخرى سأخبرك بها حينما يسمح لي الوقت بذلك.

* * *

يوم الأربعاء ١١ / ٧ / ٢٠٠١، الساعة العاشرة صباحاً.

أتعرف هذا المكان؟! أنت تعرفه جيّداً ولكنك لا تُدرك ذلك، إن هذا البيت هو لبطل قصتنا الروحانيّ عابد، بيت ولكنه أيضاً موقع عمل، اقترّب أكثر لترى ماذا يحدث هناك، أرى شخصاً آخر يجلس معه، ذلك الشّخص الأخير يختلس النظرات إلى العديد من الأوراق الموضوعة على طاولة ما موجودة أمام ذلك الباب البعيد، يحاول معرفة محتوياتها ولكنه يفشل، ليبدأ الأول قائلاً:

- «لا تحاول يا حسين، لن تفهم أيّ شيء».

- «ماذا تقول؟ لم أفهمك».

- «أعرف أنك تختلس النظرات إلى الأوراق الموجودة على تلك الطاولة البعيدة، دائماً أعلم طريقة تصرّفاتك، الإنكار وحتى إن كنت أنا على حق».

- «هزمتني كالعادة».

- «سعيد أنك اعترفت بهزيمتك أمامي، ولكن...»

- «لا تكمل، يجب عليّ الذهاب الآن، سأتركك لعملك».

يخرج حسين من منزل عابد وبعدها بدقائق يدخل عليه شخص ما.

- «أنقذني يا شيخ عابد، أنقذني!!»

- «ما الأمر يا بني، اجلس».
- «مصيبية كبرى أصابتنى الآن، مصيبية».
- «اشرح لي الأمر جيّدًا لأفهمك، اهدأ أولًا».
- «تزوجت مُنذ أكثر من خمس سنوات ولم تنجب زوجتي».
- «سيُساعدونك ولكن يجب عليك أن تُنفذ بعض الطلبات أولًا».
- «من هم الذين سيساعدوني؟ وأي طلبات تريدني أن أنفذها؟»
- «سأخبرك بها بعد أيّام، بعد ثلاثة أيّام ستأتي لي وستعرف كل شيء».
- «وهل ستمكّن زوجتي من الإنجاب بعدها يا شيخ؟»
- «إن شاء الله، لا تخف يا بني».

* * *

- يوم الثلاثاء ١٢ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة الثالثة صباحًا.
- «وماذا حدث بعد ذلك يا ثروت؟»
 - «للحديث بقية، اذهب أنت الآن واطركني، سأكمل لك المرّة القادمة».
 - «ولمَ لا تكمل لي الآن».
 - «لا تُجادلني يا سامح، سأكمل لك في وقت آخر».
 - «حسنًا».

يذهب سامح إلى منزله بينما يجلس ثروت في غرفته ويبتسم ابتسامة مأكرة فهم معناها جيّدًا، فقد كان ينظر باتجاه سامح وهو يسير وعلى وجهه نفس الابتسامة المأكرة.

* * *

ها هو يمارس نفس الطقوس اليومية التي اعتاد أن يفعلها مُنذ...، حتى يدخل إلى ذلك الشعور الذي يسمّيه على حد قوله (المود)، دائمًا ما يشعر بالذنب تجاه ما يفعله، ولكنه قد بدأ ويتوجّب عليه إنهاء ما بدأه، يتوجّب عليه الوصول إلى النهاية، تلك النهاية التي طرقت أبوابه مُنذ سنين، وها هو الآن يُحاول الوصول إليها مرّة أخرى، النهاية المحتومة لكلّ بداية من مثل هذا النوع.

* * *

- يوم الثلاثاء ١٢ / ٤ / ٢٠١١، الساعة التاسعة صباحًا.
- أنت الآن داخل شركة (...) لتوريد الأدوات الطبيّة، ها هو أحمد يجلس هناك أمام رئيسه في العمل السيّد عمرو، لا بُدّ أنهما يتفقان بخصوص الضّحيّة الجديدة، اقترب أكثر لتفهم الحديث الذي يدور بينهما.
- «كل شيء جاهز يا أحمد يمكننا البدء».
- «أخبرني ببعض المعلومات عن الضّحيّة».
- «اسمه صالح، ٢٢ سنة، عاطل، عليك أن تُقنعه أن يتبرّع بكلّيته مقابل مبلغًا وثيرًا».
- «عُلم سيّد عمرو».
- «يجب أن نُنجز الأمر بسرعة حسب أوامر رئيس المنظّمة».
- «أيّ رئيس؟! ألسنت أنت الرئيس؟»
- «كلّ شخص هناك من هو أعلى منه في هذه المنظّمة، الأوامر تصلنا من رئيس المنظّمة في الخارج وعلينا التنفيذ وإلا سنُقتل جميعًا».
- «وهل تعرفه شخصيًا؟»
- «لا، ولكن المعلومات تصلني منه عن طريق البريد الإلكتروني».
- «أمر غريب؟ وكيف يتأكد أننا نُنفذ ما يطلبه؟»
- «أحمد، هذا الشّخص لا يرحم، إن لم ننفذ أوامره سنُقتل جميعًا».
- «طبعًا سنُنفذ كل شيء، عليّ الذهاب الآن».
- «خذ هذه الورقة، ستجد فيها بعض المعلومات عن أماكن تواجد الضّحيّة وبعض المعلومات الأخرى عنه، جهّز نفسك حتى أعطيك الأمر أن تبدأ».
- «عُلم سيّد عمرو».
- «سيأتي معك بعض الرّجال أيضًا ليساعدوك في حمّله، منهم سامح بالطّبع».
- «حسنًا سيّد عمرو، عليّ أن أنصرف الآن».
- «هيا اذهب».

* * *

دعني أصف لك المشهد الموجود بداخل العُرفة علّك تفهم شيء، العُرفة مُشتعلة بالكامل بالعديد من ألّسنّة النّيران، رجال الإطفاء نجحوا في اقتحام العُرفة بالفعل، ما

زالت عمليّة البحث التي تمّت عن حازم بين النيران جارية، ولكن دون جدوى، كلّما يتم إطفاء الحريق من جهة تشتعل الأخرى وبعد ساعتين كاملتين نجح رجال الإطفاء في إخماد الحريق بنجاح، ولكن الكارثة حدثت، أين حازم! لقد اختفى حازم!!

* * *

يوم الجمعة ١٥ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثانية عشرة مساءً.
ما زلت مُتواجداً داخل مصحّة (...) النفسيّة، ها هو حازم كالعادة جالس على سريره مُمسكاً بالأوراق التي أُعطيَتْ له، كان يقوم بكتابة العديد من الكلمات والجُمَل، صراحةً لو طلبت منك الاقتراب حتى تفهم ما يكتبه سأكون كاذباً، لأنّي شخصياً لم أفهم ما الذي يقوم بكتابته أو ينوي أن يفعله بهذه الأوراق، لقد تمكنت من الوصول إلى الأوراق دون علمه، سأقرأ عليك مُحثواها.

* * *

الانتقام
الأفكار
الخدع
الموت
الحد...

الش... لا... ينت... أب...، الش... لن... ينت... إلّا... ب... مقت... جمي... الب...، أم... أن...
. ف... هن... ل... آد... تل... المُ... ستس... الم... الب... ولن... يتم... أح... من... إنه...
...، لا... نه... ل... ماذا... (ح...))!!

* * *

آسف، أظن إن لم أقم بإخبارك بهذا كنت ستكون أفضل ممّا أنت فيه الآن، ليس لديّ ما أقوله لك، ولكن حازم بعد أن خطّ بيده هذه الكلمات أمسك الأوراق وأخرج قَدَاحَة من جيبه وأشعل النيران في جميع الأوراق ووضعها على سريره وهي تحترق!!
- «دكتور عادل، دكتور عادل، مصيبة تحدث، عُرفة حازم تحترق بالكامل!!»
- «ماذا؟ أين رجال إطفاء الحريق الموجودين في المُستشفى؟»
- «يقومون بافتحام العُرفة الآن».

دعني أصف لك المشهد الموجود بداخل الغرفة علك تفهم شيء، الغرفة مُشتعلة بالكامل بالعديد من ألسنة النيران، رجال الإطفاء نجحوا في اقتحام الغرفة بالفعل، ما زالت عملية البحث عن حازم بين النيران جارية، ولكن دون جدوى، كلما يتم إطفاء الحريق من جهة تشتعل الأخرى وبعد ساعتين كاملتين نجح رجال الإطفاء في إخماد الحريق بنجاح، ولكن الكارثة حدثت، أين حازم! لقد اختفى حازم!!

- «دكتور عادل لقد اختفى المريض الموجود داخل الغرفة».

- «كيف حدث ذلك؟ مُستحيل أن يكون قد احترق».

- «هذا ليس مُستحيلاً، لقد وجدنا رماداً كثيراً هنا، من المُمكن أن يكون رماده فعلاً».

- «ولكن؟ نحن من سنحاسب بسبب هذا، عائلته لن يصمتوا، ماذا أفعل؟»

- «لا شيء، سنقول أن الغرفة احترقت بسبب ماس كهربائي».

- «وماذا إن عرف أحد حقيقة الأمر؟»

- «لن يعرف أحد هذا، ما دام الأمر بيننا».

- «هذا هو الخيار المُتاح لنا حتى لا نقع في كارثة».

- «إذن يجب علينا إبلاغ الشرطة عن ذلك».

- «حسناً دكتور، سأصل بهم بسرعة».

* * *

خرج من منزل ذلك الشخص وهو يُردّد: «أيها النصاب».

بعد يومين عُثر على جثته مذبوحة داخل منزله وكُتب على الحائط:

* * *

الصُحبة الثانية تقترب!!

* * *

يوم الإثنين ١٦ / ٧ / ٢٠٠١ الساعة الثامنة صباحاً.

ها هو عابد يجلس على مكتبه كالعادة، ينتظر الحالات التي تأتي له من كل حذب وصوب، الحالات التي تثق أنه شخص مُبارك، لا يمكنني التحدّث أكثر من هذا، صوت دقات على الباب، يقوم حسين ليفتح الباب وهو بالمناسبة مُساعد عابد ويقم معه في منزله، ليدخل ذلك الشخص الذي كان قد أتى لعابد مُنذ ٥ أيّام في المرّة الأولى،

ومُنذ يومين في المرّة الثانية ويظهر على وجهه علامات الفزع والخوف.

- «شيخ عابد، شيخ عابد».

- «ما الأمر مرّة أخرى؟»

- «حينما ذهبت إلى منزلي بعد أن أحضرت لك كلّ ما طلبته، المال وغيره من ضمن الأشياء التي طلبتها منّي، بعد أن عُدت للمنزل ودخلت إلى غرفتي وخلدت في نوم بالطّبع ليس ثابتًا بسبب ما أراه كلّ يوم، استيقظت لأجد جميع الحوائط حولي مطليّة باللّون الأحمر وهُنّاك عبارة موجودة عليها باللّون الأسود: اقترب الذبح، الصّحيّة غدًا، وكلمات لم أفهمها، ماذا حدث؟»

* * *

استيقظ هذا الرّجل وأخذ ينظر من حوله، هذا المكان ليس مُعتادًا عليه، لا شكّ أنه ليس منزله، الحوائط كلّها باللّون الأحمر، لون الدم! وكُتب على أحدهم عبارة باللّون الأسود جذبت ذاك الرّجل لها واحمرّ وجهه واقتشعرّ جسده بسببها، لا بدّ أن وراءها سرّ لا يعلمه إلا هو فقط!!

* * *

اقترب موعد الذبح! الصّحيّة تقترب! موعد الصّحيّة الأولى غدًا.

* * *

- «لا تخف، هذا شيء طبيعيّ، اذهب إلى منزلك وسيكون كلّ شيء بأفضل حال، غدًا ستسمع الخبر، غدًا ستعلم أن زوجتك تحمل مولودك الأوّل، غدًا».

- «حسنًا يا شيخ، إن حدث ذلك سأتي لك بمال أكثر ممّا طلبته أوّل مرّة».

- «لا يا بنيّ، هذه ليست طلباتي، أنا لست من أطلب المال، اذهب أنت».

خرج الرّجل من مكتب عابد بينما كان حسين جالسًا في الخارج، ثم انحنى باتجاه عابد وهو يهمس:

- «الصّحيّة الأولى؟! الأولى في تاريخك؟ كيف؟»

- «ليست الأولى، ذكرني أن أخبرك بحقيقة هذا الأمر في مرّة أخرى، وقتها ستفهم كل شيء».

- «غريبة! سأذكرك، سأذكرك».

- «أذهب الآن واتركني!»

* * *

- «هل تريدني أن أكمل أم لا؟»

- «ستكمل لي طبعًا ولكن ليس الآن، ما هذا؟!»

- «ما بك؟»

- «التربة تحترق مرّة أخرى!»

- «هه، أضحكتي، السّاعة الآن الثالثة صباحًا، أصبحت أعرف الوقت من هذه التربة»

- «يجب أن أذهب الآن، لديّ الكثير من الأشياء يجب أن أقوم بها».

- «ستعود لي؟»

- «بالطّبع سأعود».

خرج سامح من غُرْفَة ثروت مُتجهًا إلى سيارته، قام بتشغيلها ثم انصرف سريعًا بينما ابتسم ثروت ابتسامة مأكرة وهمس بصوت خفيف: «غبي».

* * *

يوم الأحد ١٧ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة التاسعة مساءً.

أنت الآن داخل ذلك المنزل الصغير، علّك ترى مثلي الأتربة التي تحيط بالمكان وتملأ كلّ الحوائط، هُناك علامات لأقدام تسير على الأرض أحدثت صوتًا أسمعته الآن جيّدًا وبوضوح، قام ذلك الشّخص بالدخول إلى غُرْفَة ما من غرف ذلك المنزل، هُناك مكتبًا في تلك الغُرْفَة قام بالجلوس عليه، أخذ إحدى الورقات المُتناثرة على ذلك المكتب وخطّ عليه عبارة بخطّ كبير!!

* * *

(الحانوتي) قادم!!

* * *

قام هذا الرّجل بكتابة هذه العبارة على عدّة أوراق، لا يُمكنني الجزم بعددها، ١٠، ٢٠... أوراق كثيرة جدًّا وقام بوضعها في جميع أرجاء ذلك المنزل وعلى جميع الحوائط! خرج بعدها مُسرّعًا، لا أحد يعلم كيف دخل وكيف خرج، ولكنه وضع آخر

=====

ورقة كانت معه على الباب، ثم نظر باتجاه الباب الخاص بالشقة المُقابلة ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وهمس بكلمة واحدة:
- «سلمى».

أظن أنكم عرفتم من هو إذن، إنه حازم!!
* * *

يوم الأحد ١٧ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثانية عشرة صباحًا.
أنت الآن داخل مصحة (...) النفسية الموجود بها حازم، آسف، أقصد التي كان موجود بها قبل أن يحترق، هذا ما يعتقد جميع من بالمُستشفى حتى الآن!!
- «وماذا حدث إذن، أخبريني؟»
خرجت هذه الجملة من فم شخص ما أتى للسؤال عن حازم لتخبره تلك المُمرضة بكل ما حدث.

- «لقد جاءت الشرطة بعد إخماد الحريق واستجوبت الجميع، وجميعهم قال أن الغرفة احترقت، واحترق حازم بداخلها، لا أدري ماذا سيحدث بعد ذلك، أدعو الله أن تمر الأمور بسلام!»

- «شيء مؤسف جدًّا، كنت أريده في أمر هامّ، رحمه الله!»

- «لم تخبرني باسمك سيدي».

- «سامح، اسمي سامح!!»

خرج سامح من المُستشفى بينما قامت المُمرضة بالاتصال بشخص ما.

- «أستاذ ثروت!!»

* * *

دخل ذلك الشّخص إلى منزله ليتفاجأ بهذا المنظر، الشقة كلها غارقة في بحر من الدماء! كل شيء في الشقة باللون الأحمر، دخل إلى غرفته ليجد جثة زوجته مقتولة، لا بُد أن أحدهم قام بشقّ بطنها وتركها حتى نزفت دماها كله! هُناك عبارة بارزة على الحائط، حتمًا قام ذلك الشّخص بحفرها على الحائط بعد أن قام بفعلته هذه.

* * *

تمّت الصّحيفة الأولى!!

* * *

انتقل معي سريعًا إلى شركة (...) لتوريد الأدوات الطبيّة، أرى سامح يقوم بالجلوس أمام السيّد عمرو، ليتحدّث الأول قائلاً:

- «هذا كلّ شيء، ولقد تحققت من الأمر بنفسي، أظن أن هذا شيء جيّد، انتهينا من حازم للأبد».

صاح سيّد عمرو بسامح قائلاً:

- «أيّها الغبي، حازم لم يمّت، حازم ما زال على قيد الحياة حتى الآن!!»

- «كيف ذلك؟ لقد تأكد من خبر احتراقه بنفسي».

- «لقد اختفى حازم من المستشفى ولم يمّت بعد».

- «كيف حصلت على هذه المعلومات سيّدي؟»

- «لقد أخبرني رئيس المنظّمة بهذه المعلومات منذ ساعات، وأنت أيّها الغبي تظن أنه مات؟»

- «إذن ما العمل الآن؟»

- «لقد أعطاني رئيس المنظّمة الأوامر أن نقوم بتجنيده للعمل معنا».

- «وإن رفض مرّة أخرى؟ ماذا سنفعل؟»

- «لن يرفض!!»

- «ولماذا أنت متأكد لهذه الدرجة سيّدي؟»

- «سامح! نفذ الأوامر دون أيّة أسئلة».

- «علم سيّد عمرو».

- «ستكون مع أحمد في العمليّة القادمة».

- «نحن الاثنان فقط؟»

- «سيكون معكم حازم! لن تُنفذ العمليّة إلا بوجود حازم، هذه هي الأوامر التي وصلتني من رئيس المنظّمة».

- «علم، عليّ الذهاب الآن».

* * *

يوم الأحد ١٧ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة الثالثة إلا دقيقتين صباحًا.

أنت الآن داخل المقابر، ها هو ثروت كالعادة يجلس، ويشرب كوب الشاي الخاص به ريثما تنطفئ النيران من تلك التربة الملعونة.
- «تبقت دقيقتان».

خرجت هذه الجملة من سامح.
- «هه، لقد حفظت المواعيد إذن».
- «أكمل لي، هيّا سريعاً».
- «حسنًا، لا تقاطعني كعادتك السيئة».
وبدأ ثروت في إكمال القصة لسامح.

* * *

يوم الثلاثاء ١٧ / ٧ / ٢٠٠١، الساعة الثانية عشرة مساءً.
ها هو عابد يجلس كالعادة في مكتبه وإذا بصوت عالٍ يضرب المكان بأكمله، ذلك الشخص الذي أتي لعابد بالأمس.
- «أيها النصاب! لقد دُبحت زوجتي وأخذت أنت المال! لن أترك أيها النصاب».
* * *

دخل ذلك الشخص إلى منزله ليتفاجأ بهذا المنظر، الشقة كلها غارقة في بحر من الدماء! كل شيء في الشقة باللون الأحمر، دخل إلى غرفته ليجد جثة زوجته مقتولة، لا بُدَّ أن أحدهم قام بشقّ بطنها وتركها حتى نزفت دمها كله! هناك عبارة بارزة على الحائط، حتمًا قام ذلك الشخص بحفرها على الحائط بعد أن قام بفعلته هذه.
* * *

تمّت الضحية الأولى!!

* * *

خرجت هذه العبارة من ذلك الشخص، ليردّ عليه عابد بسخرية قائلاً:
- «زوجتك هي من خالفت التعليمات! هي من رفضت الأمر، وهذا كان جزاؤها».
- «لن أتركك!!»

وقام ذلك الرجل بالإمساك بعابد من رقبتة مُحاولًا قتله، في لحظة دخول حسين للمكتب والإمساك بهذا الرجل وإلقائه في الخارج.

=====

- «ما الأمر يا عابد، ماذا حدث؟»
- «زوجته الغبيّة هي من خالفت تعليماتي».
- «عابد، أخبر غيري بهذه الجملة، أنت تعلم سبب حدوث هذا، وأنا أعلم أنك تقصد قتل زوجته».
- «وبما أنك تعلم، لماذا تسألني إذن؟»
- «لا أدري، هه، وماذا ستفعل به؟»
- «ستعلم في الليل».
- «حسنًا، سأرى».

* * *

يوم الخميس ١٩ / ٧ / ٢٠١٠ الساعة الحادية عشرة مساءً.
قوات الشرطة تحيط بالمكان، وردهم الأمر من مجهول رفض الإفصاح عن هويّته،
هناك جريمة قتل حدثت، رجل مذبوح في منزله! وُكِّب على حائط غرفته، الضحيّة
الثانية تقترب!!

* * *

خرج من منزل ذلك الشّخص وهو يُردّد: «أيّها النصاب».
بعد يومين عثر على جثته مذبوحة داخل منزله وُكِّب على الحائط:
* * *

الضحيّة الثانية تقترب!!

* * *

- «وماذا حدث بعد ذلك يا ثروت؟»
- «قُيِّدت القضية ضدّ مجهول لعدم كفاية الأدلّة».
- «حسنًا، عليّ الذهاب الآن، جهّز تربتك، هُناك ضحيّة جديدة».
- «حسنًا سامح».
خرج سامح من المقابر، بينما جلس ثروت ينظر إلى الفراغ الشاسع وهو يتسم
بمكر!!

* * *

=====

يوم الأربعاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١١، الساعة العاشرة صباحًا.
أنت الآن داخل مركز الشرطة، ها هو الضابط كامل يتحدث مع صديقه الضابط كريم الذي يُساعده في نفس القضية، وكالعادة يبدأ الأخير قائلاً:
- «لقد فشلت الخطة البديلة، لقد احترق حازم داخل المستشفى!!»
- «لقد علمت بذلك، ما العمل إذن؟»
- «لا شيء بأيدينا إلا الانتظار، لقد توقفت الجرائم منذ فترة، أتمنى أن تتوقف للأبد.»
- «إن كان تصوورك هذا صحيحًا، سأدعوك لتناول الغداء على حسابي هه.»
* * *

يوم الأربعاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الخامسة عصرًا.
أنت الآن في مقهى (...)، أرى حازم يجلس على هذا المقهى ينظر للفراغ الشاسع، شارد الذهن، يفكر في أمر ما، ليقطع عليه تفكيره، أحد الأشخاص قام بوضع يده على كتفه.
- «سامح؟»
خرجت هذه العبارة من حازم مُتَعَجِّبًا لما يرى.
- «نعم أنا.»
- «ظننتني احترقت بالفعل أليس كذلك؟»
- «لا يُهمّ هذا، لديّ أوامر تُحتمّ عليه أن آخذك معي.»
قاطعته حازم قائلاً:
- «للعمل في المنظمة، حسنًا أنا موافق.»
- «بهذه السهولة؟ كنت ترفض سابقًا؟»
- «لماذا يُقتل والدي أنا؟! يجب أن يدفع الكل ثمن مقتل والدي، ثم أنني الآن لا أملك شيئًا أحزن على فقدانه.»
- «جيد، يجب عليّ أن آخذك إلى السيد عمرو رئيس المنظمة.»
- «متى؟»
- «الآن لو تريد.»
- «حسنًا.»

وخرج حازم وسامح مُتجهين إلى السيّد عمرو في الشركة.
* * *

يوم الأربعاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة السّابعة مساءً.
أنت الآن داخل شركة (...) لتوريد الأدوات الطّبيّة، ها هو أحمد يجلس عند السيّد عمرو في اللّحظة التي يدخل فيها سامح وحازم.
- «سيّد عمرو، أقدم لك حازم».

خرجت هذه العبارة من سامح، لك أن تتخيّل شكل حازم الآن، وجهه الشاحب ذو اللون الأصفر، نظراته المتجوّلة في الغرفة يمينًا ويسارًا، تلك النظرات التي يغلب عليها طابع الغضب.

- «مرحبًا حازم، أتعبتنا يا رجل».
- «لا أظن ذلك، كان الأمر بسيطًا».
- «دعنا من كثرة الحديث، أنا جاهز للعمل معكم، وأعلم طبيعة العمل، كان أحمد قد أخبرني به من قبل».

نظر حازم إلى أحمد بنصف عين، ثم أكمل قائلاً:
- «ما رأيك؟»

- «جيّد جدًّا، يمكنكم مباشرة العمل جميعًا من الآن».
خرج الجميع بينما ذهب حازم إلى أحمد ليتحدّث معه قائلاً:
- «أحمد أريدك بجانبني في هذه الفترة».
- «أعلم أنك مُتعب جدًّا، كان يجب ألا...»
قاطعته حازم قائلاً:

- «بلى سأعمل، ما الأمر بخصوص الضّحايا؟»
- «لدينا ضحيّة جديدة، في الواقع، كلّ شيء جاهز ولكن الأوامر كانت بألا نبدأ في التنفيذ إلا بوجودك».

- «حسنًا، متى سيتمّ التنفيذ؟»
- «الليلة».

- «أنا جاهز».

- «حسنًا، اتبعني».
ويخرج أحمد وحازم من الشركة.

* * *

يوم الأربعاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١١ الساعة العاشرة مساءً.
أنت الآن أمام مقهى (...)، لم تعرفه أليس كذلك؟ هو من إحدى المقاهي المغمورة
المتواجدة هنا! لا يهم أين يقع، أو كم ثمن كوب الشاي فيه، ما نريده الآن هو
صالح، هل تذكرته؟

* * *

- «أخبرني ببعض المعلومات عن الضحية».
- «اسمه صالح، ٢٢ سنة، عاطل، عليك أن تُقنعه أن يبيع كليته مُقابل مبلغًا وفيرًا
من المال».
- «عُلم سيّد عمرو».

* * *

جيد أنك تذكرته، أرى من عندي سامح وأحمد ومعهم حازم أيضًا، يذهبون إلى ذلك
الشخص ليتحدث حازم قائلًا:
- «اتركوه لي، اذهب أنتما واقتربا بالسيارة حينما أشير إليكما».
هزّ الاثنان رأسيهما بالموافقة ثم ذهب حازم إلى ذلك الشخص.
- «صالح!»
- «هل تعرفني يا أستاذ؟»
- «بالطبع، صالح أحمد الجيزاوي، ٢٢ سنة، عاطل كعادة معظم شباب الدولة».
- «ولكن...»
- «صالح حشيش!، هذا هو اللقب الذي كنت تنتظر أن أناذك به أليس كذلك؟ هل
صدّقت أنني أعرفك الآن».
- «صالح حشيش؟ إذن أنت تعرفني، ما الأمر؟»
- «ما رأيك أن تأخذ ٥٠ ألف جنيهًا مقابل خدمة بسيطة لي، لن تستمر أكثر من ٥
دقائق».

- «ما هي؟»
 - «ستتبرّع بكليتك».
 - «ماذا تقول؟ مُستحيل».
 - «صالح! سأجعلهم ٥٥ ألف، هيّا تعالَ معي الآن».
 - «حسنًا».
 - «لا يا رجل!، أكمل احتساء كوب الشاي الخاص بك».
 أكمل صالح الكوب، وجلس هو وحازم يتحدثان، نسيت إخباركم بأن حازم كان قد وضع له مُنومًا بالشاي، بعد نصف ساعة من الحديث تقريبًا، غطّ صالح في نوم عميق، وبعدها ما هي إلا ثوانٍ حتى جاء أحمد وسامح بالسيّارة.
 - «هيّا، ساعداني في حمله بسرعة!»
 حمل الثلاثة صالح ووضعوه داخل السيّارة، وانطلقوا سريعًا إلى المشرحة، حتى بدأ أحمد في الحديث وهم في منتصف الطريق قائلًا:
 - «من سيتولى مُهمّة التشريح؟»
 أسرع حازم قائلًا:
 - «بالطّبع أنا، هل لديكم رأي آخر؟»
 سكت الجميع مُستسلمين، وبعد دقائق كانوا جميعًا في المشرحة، ها هو سيّد يجلس في عُرفة التشريح التي قام بتجهيزها سابقًا ليتحدّث قائلًا:
 - «سأساعدك يا حازم في...»
 قاطعه حازم قائلًا:
 - «اسمي أستاذ حازم، وأنا لا أريد مساعدة من أحد، يكفيكم الوقوف والمتابعة من بعيد إن أردتم أو الخروج».
 تحدّث أحمد بسرعة قائلًا:
 - «ما بك يا حازم، ما هذه الطريقة في الحديث؟»
 - «اخرس أنت! لا أريد أن أسمع صوت أحدٍ منكم، سامح! ضع الضّحيّة على الطاولة الآن!!»
 قام سامح برفع الضّحيّة على الطاولة وتحدّث قائلًا:

- «سأجلس بالقرب منكم، إن أردتم شيئًا أخبروني».

تكلم حازم قائلاً:

- «انتظر! طلبت منكم الوقوف حول الطاولة وليس الجلوس، تابعوا ما سأفعل، من الآن انتهى عصر تلك المنظمة بالطريقة القديمة الغبية مثلك، سنبداً عصر جديد وسترون تفاصيله بأعينكم الآن».

صاح سيّد قائلاً:

- «ماذا ستفعل إذن؟»

- «تابعني فقط، وأحضر لي ما سأطلبه منك».

- «حسنًا».

- «أعطني ذلك السكين».

وأشار حازم إلى سكين له شكل مميز كان موجودًا في الجوار، أعطاه سيّد إليه سريعًا، فعلى الفور أخذه حازم وقام بتمريره على الوريد الودجي لصالح، ممّا نتج عنه خروج سيل من الدماء ناحية أحمد، وبعدها قام بقطع رأس صالح! صاح أحمد قائلاً:

- «ماذا فعلت يا مجنون؟»

- «هه، هل تخاف؟ أنا لم أفعل شيء حتى الآن».

- «ماذا بعد ذلك؟»

- «سترى».

أمسك حازم بمشرط، ثم قام بشكل دائريّ بقلع عيني صالح من مكانهما ووضعهما في كيس بلاستيكيّ، تلك الأكياس الخاصة بحفظ الأشياء، قام بتقطيع أصابع يديه وأرجله ووضعها في كيس آخر، قام بفتح منطقة البطن والصدر وقام بإخراج الكليتين والكبد والقلب والرئتين والأمعاء، كلّ شيء بصفة عامّة ووضع كلّ منها في كيس منفصل، في النهاية أحضر شعلة من النار وأحرق بها جسده كاتبًا بخطّ كبير، (الكانوتسي)، ثم تحدّث قائلاً:

- «هذا هو الأسلوب من الآن، لن نعمل بطريقتكم السابقة الغبية مرّة أخرى».

- «وماذا سنفعل ببقايا الجثة؟»

- «ستجدوا كيس بلاستيكي كبير آخر ضعوها فيه، ثم ضعوا الجثة في الثلاجة، سيّد

=====

بعد أسبوع بالضبط ستقوم بإخراجها وإلقائها في مكان سأخبرك به لاحقاً!!»
- «حسنًا أستاذ حازم».
- «الآن يجب عليّ الذهاب، سأذهب للسيّد عمرو، لقد طلب منّي المجيء بعد أن أنتهي».
تحدّث سامح قائلاً:
- «هل تقصد أنه ك...»
- «نعم، كان يعلم كلّ هذا».
انصرف حازم بينما نظر سيّد وأحمد وسامح إلى بعضهم مُتعبين، ثم انصرف كلّ منهم إلى مكان ما.

* * *

يوم الأربعاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١١ السّاعة الثانية صباحًا.
انصرف سامح من المشرحة مُتجهًا إلى ثروت كالعادة في المقابر، ثم تحدّث قائلاً:
- «أكمل لي!!»
- «لا داعي للعجلة، سأكمل».
وبدأ ثروت يُكمل قصّة صاحب التربة الملعونة إلى سامح.

* * *

يوم الخميس ١٩ / ٧ / ٢٠١١ السّاعة الثانية مساءً.
أنت الآن داخل مكتب عابد، ها هو يتحدّث مع شخص ما:
- «ما الأمر؟»
- «أختي يا شيخ عابد، كلّما يأتي لها أحد ليتقدّم لخطبتها يفشل الأمر، تكرّر الأمر عدة مرّات ولا فائدة».
سكت عابد قليلًا وهو يهمس ببعض الكلمات وينظر لأعلى، ثم أعاد النظر للرّجل مرّة أخرى وقال:
- «إن أختك قام أحدهم بإنشاء عمل لها».
- «يا ستار يا ربّ، وماذا سنفعل إذن؟»

=====

- «العمل موجود داخل تربة لشخص يدعى هاشم، يجب إخراج العمل من التربة وإحراقه، وبعدها ستسير الأمور على ما يرام».
- «حسنًا يا شيخ متى ستقوم بإخراجه؟»
- «هه، ليس أنا يا أستاذ من سأقوم بذلك، بل أختك!!»
- «ماذا؟»
- «أختك! ألم تسمعي؟ أقول أختك!!»
- «ولكن كيف ستدخل هي إلى التربة وحدها؟»
- «لا تخف، ستدخل أنت أيضًا معها، وسأراقبكما من الخارج ريثما تنهيا كل شيء».
- «حسنًا يا شيخ؟ كم تريد؟»
- «لا شيء، أنا لا آخذ شيء، بل هم».
- أخبر عابد الرجل بثمن ما سيقوم بعمله ثم أكمل الأول قائلاً:
- «ستحضر لي أختك في الغد في نفس هذا الوقت لأراها أولًا، ثم سأخبركما بكل شيء».
- «حسنًا، حسنًا يا شيخ عابد، إلى اللقاء، عليّ الذهاب».
- خرج ذلك الرجل من مكتب عابد وبعدها دخل حسين إليه مرة أخرى.
- «الصّحيفة الثانية إذن؟»
- «بالضبط!، ستكون أخته هي الصّحيفة الثانية، وهو سيكون المرافق».
- «كيف ستنفذ ذلك؟»
- «سيبدأ التنفيذ من الغد، جلسة الحضور ستكون غدًا».
- «أفضل شيء فيك أنك تكون مقنع جدًّا، هه».
- «يبدو أنك لم تتعلّم مني شيئًا منذ أن رافقتني منذ سنين، وستظلّ هكذا».
- «حسنًا، عليّ الذهاب الآن».
- «اذهب، اذهب».
- خرج حسين من مكتب عابد بينما جلس الأخير شارد الذهن يُفكّر في أمر ما، يبدو أن الأمر يشغله جدًّا، فقد كان ذلك يظهر على ملامح وجهه التي كانت تتبدّل كل لحظة وأخرى بين العديد من التعبيرات المجهولة.

=====

يوم الجمعة ٢٠ / ٧ / ٢٠٠١، الساعة التاسعة صباحًا.

أنت الآن داخل مكتب عابد، بالضبط داخل تلك الغرفة التي علّق عليها ورقة كتب عليها عبارة (غرفة جلسات الحضور)، أرى داخل تلك الغرفة عابد وذلك الشخص الذي أتى له بالأمس ومعه أخته، هل تتذكرهم؟ بدأ عابد في الحديث قائلاً:

- «أخبريني إذن، ماذا حدث لك بالأمس؟»

- «أخبرني أخي بما قلته لي وجاءني الكثير من الأحلام المزعجة».

- «حسنًا، لا تخافي».

أخرج عابد من أحد أدراج مكتبه ورقة ما وقام بإشعال النيران بها وبعد ثوان أصبحت رمادًا قام بأخذ ذلك الرماد ووضعه في كوب كان به ماء أمامه ثم أكمل قائلاً:

- «اشربي هذا الكوب».

- «ماذا تقول؟ بالطبع لن أفعل».

ردّ أخوها قائلاً:

- «من فضلك، اشربه، سيُساعدنا الشيخ بإذن الله».

وبعد محاولات شربت الفتاة الكوب، ثم تحدّث عابد قائلاً:

- «الآن، سنبدأ جلسة الحضور، سأقوم بنقلك إلى مكان الآخر الآن، ركّزي جيدًا في كلّ ما ستراه عينيك».

- «حسنًا».

أغلقت الفتاة عينها بينما أخذ أخوها يتحدّث مع عابد قائلاً:

- «إلى أين ستذهب يا شيخ؟»

- «سأنقلها إلى مكان آخر لتلتقي بمن قام بوضع هذا العمل لها».

- «وهل سيضرّها هذا بشيء؟»

في هذه اللحظة بدأ جسد الفتاة يرتعش بسرعة وأخذت تنطق بكلمات وعبارات غير مفهومة، فأكمل أخوها قائلاً:

- «ماذا يحدث لأختي يا شيخ عابد؟»

- «لا شيء، اصمت وانتظر حتى تعود مرّة أخرى، فروحها ليست معنا، بل جسدها

=====

هو الموجود هنا فقط».
استسلم الشاب ثم قال:
- «حسنًا».

أخذ جسد الفتاة يرتعش مرة أخرى وأخذت الدماء تسيل من فهما وأذنيها وبعد دقيقة توقف سيل الدماء، وأخذت الفتاة تنطق بكلمات غريبة لم يفهمها الشاب، بينما كان عابد مُنصتًا لكل ما تقوله الفتاة، وبعد ساعة على هذه الحالة أفاقَت الفتاة ممّا كانت فيه لتحدّث بسرعة وبخوف قائلةً:

- «لقد رأيته، لقد رأيته من قام بعمل ذلك العمل لي! هاشم، إنه هاشم».
تحدّث أخوها قائلاً:

- «من هو هاشم هذا؟»
ردّت الفتاة سريعاً:

- «إنه شابّ قد أتى لخطبتي منذ فترة ورفضه والدي، من وقتها وكلّما جاء أحد تحدّث المشاكل ويتوقّف الأمر».
تحدّث عابد قائلاً:

- «لا تقاطعنا من فضلك!، أكملني، ماذا رأيته؟»
- «أولاً، لقد رأيته أنّي داخل تربة ذلك الشخص، لقد أخبرني أنه قد مات بعد أن رفضناه بشهر، لقد قام بوضع العمل داخل تربة عائلته حسبما قال له أحد الدّجالين، ومن المفترض أنّي كنت سأتي إلى هذه التّربة معه لسبب ما لا أعرفه، ولكن ما حدث أن هاشم مات بعدها، وتم دفنه داخل التّربة الموجود بها العمل، فانقلب السّحر على السّاحر كما يُقال لأن العمل كان مُرتبطاً بنا نحن الاثنان، وحينما مات هو، أصبح مُخلّاً بشروط العمل، فأصبح يتعذّب الآن داخل التّربة بسببه، وأنا أيضاً كلّما يأتي أحد الشّباب لخطبتي يتوقّف الموضوع».

- «هل طلب منك شيء؟»
- «لقد طلب منّي أن أذهب إلى التّربة وأدخلها أنا وأخي ونقوم بأخذ ذلك العمل وإحراقه وإلقائه في البحر المتّواجد بجوار المقابر».
- «إذن، يجب عليكم التنفيذ اللّيلة».

- «حسنًا يا شيخ عابد، سنقوم بالتنفيذ».

* * *

- «التربة تحترق كالعادة، لقد مللت، كلّمنا ندخل إلى قلب القصة والجزء المشوّق فيها يحدث شيء ليوقفك».

خرجت هذه العبارة من سامح، بينما تحدّث ثروت قائلاً:

- «هه، هذا ليس الجزء المشوّق بالمرّة».

- «إذن ما هو؟»

- «لن أخبرك به الآن!، لا بدّ أن أنا، لم أنم منذ السادسة صباحًا، اتركني الآن».

سكت سامح ثم تحدّث بضجر قائلاً:

- «حسنًا، سأذهب».

خرج سامح من المقابر بينما غطّ ثروت في نوم عميق وعلى وجه نفس الابتسامة السّاخرة التي عهدتموها منه.

* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الثامنة صباحًا.

أنت الآن داخل شركة (...) لتوريد الأدوية، ها هو حازم يجلس أمام السيّد عمرو.

- «لقد قمت بتفيذ كلّ شيء كما اتفقنا».

- «جيّد يا حازم، ولكن، العلاقات بينك وسامح وأحمد يجب أن تكون أفضل من هذا».

- «سيّد عمرو، أنا أتعامل معهما باحترام!، كان هذا يجب أن يحدث في البداية حتى يُنفذوا ما أطلب».

- «حازم، ستكون أنت المسؤول المباشر عنهم».

- «شرف لي سيّد عمرو».

- «حسنًا، اذهب الآن».

- «علّم سيّدي».

خرج حازم وهو يفكر في أمر ما.

* * *

=====

قام حازم بالاتصال على سيّد، لإخباره ببعض الأمور بخصوص ضحيّة أمس.
- «مرحبًا أستاذ حازم».

- «سأرسل لك أحمد، ليأخذ الجُثة منك».

- «أين سيضعها؟»

- «لا داعٍ لأن تعرف، جهّزها بسرعة».

- «عُلم أستاذ حازم».

قام حازم بالاتصال على أحمد وأخبره بالأمر، أخذ أحمد الجُثة وألقاها على طريق

مصر - إسكندرية الصّحراويّ ثم انصرف!!

* * *

نفس النظرة التي ينظرها كالعادة مُتأملًا الفراغ الشاسع وسط الظلام الدّامس ليقطع

شروده إضاءة جميع المصابيح فجأة!!

- «ما هذا؟ أنا وحدي هنا!!»

ليجيب عليه صوت غليظ ومرتفع:

- «ومن قال لك أنّك وحدك؟!»

سمع هذه العبارة ثم وقع مغشيًا عليه حينما رأى ظلًا لأحدهم يظهر أمامه من

العدم.

* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١، الساعة التاسعة صباحًا.

أنت الآن داخل المقرّ الرسميّ لتلك الصحيفة المشهورة، لا شك أنك قد تقرأها أحيانًا،

ولمّ لا، قد تفعل ذلك فعلًا، ها هي سلمى تجلس مع صديقتها المقربة لها وفاء

لتتكلّم الأخيرة قائلةً:

- «مرحبًا بك من جديد في مكتبك يا أستاذة سلمى».

ردت سلمى بخيبة أمل:

- «أستاذة؟! ومن يطبق العمل إن تعرّض لكلّ ما تعرضت إليه، والدتي مُتوفية،

والدي قُتل، أخي كان في مصحّة نفسيّة، والآن لا أدري أين هو، ويقولون أنه اشتعلت

فيه النيران ومات أيضًا، لا أدري ماذا أفعل يا وفاء».

- «حسبك، ماذا تقولين؟ سلمى، جميعنا بجانبك، أصدقاؤك، كلنا رهن إشارتك في أي شيء، إنه القضاء والقدر، ويجب عليك أن تؤمني بالقضاء والقدر».
- «لا إله إلا الله».
- «ألم تشاقي للعمل إذن؟ الأخبار، الحوادث هه؟»
- «أظن أن الأمر أصبح طبيعي بالنسبة لي بعد أن رأيت والدي مذبحاً».
- «حسنًا، هيّا بنا».
- تذهب سلمى مع وفاء.

* * *

- أغمض عينيك وانتقل سريعاً معي إلى المقابر، سامح وثروت مجدداً، أشك أن تلك المقابر ليس بها أموات إلا صاحب تلك التربة الملعونة، هه.
- «أتيت لك اليوم في الصباح، لتُكمل لي القصة».
- «لن أستطيع الآن».
- «لماذا؟»
- «الحضور».
- «ماذا تقصد؟»
- «ألم تفهم بعد كل هذا؟ وقت الحضور، التاسعة صباحاً، لا يمكنني أن أتكلم عن تلك التربة في وقت الحضور، أتذكر ما أخبرتك به بالأمس؟»
- «نعم».
- «في مثل هذا الوقت في كل يوم، ذكرى جلسة الحضور التي قُتّت، لذلك لا يُمكنني التحدّث عن التربة وإلا سيُصيبني الأذى».
- «مع أي لا أصدّق كل ما تقوله إلى الآن بخصوص تلك التربة ولكن...»
- أمسك ثروت بيد سامح، ثم ذهباً إلى التربة الملعونة وترك ثروت سامح هناك ثم انصرف، ليسمع بعدها سامح سلسلة من الصرخات المتتالية والتي تخرج جميعها من التربة، وصوت يقطع صوت الصرخات يقول:
- «الحضور! الحضور! انصرف وإلا أحضرتك إليّ، الحضور!!»
- «سلام قولاً من ربّ رحيم، ثروت؟ أين أنت؟»

- ركض سامح هاربًا إلى ثروت ليتحدّث معه.
- «أنت لم تخبرني بهذا من قبل، أدنى معرفتي كانت بالنيران التي تشتعل بالتربة في الليل».
- «هه، أنت تخاف من ساعة أو أقلّ تجلسها معي، إذن أنا ماذا أفعل؟»
- «هل تخاف مثلنا هكذا؟»
- «بالطّبع أخاف، ولكن يمكنك أن تقول أنني قد اعتدت على تلك الأشياء، حينما أرى أيّ شيء لا أعلّق وأتجاهل ذلك، مثل الذين يقفون أمامك الآن!!»
- «ماذا تقول؟»
- «هناك شخصين يقفان أمامك الآن وأنت لا تراهما».
- انتفض سامح من مكانه وأخذ ينظر من حوله:
- «أين؟ أين؟»
- «هه، ألا تتقبّل المزاح؟ أنا أمزح معك».
- «ثروت، ما زلت غيبًا كما عهدتك، لا تعبث معي مرّة أخرى هكذا».
- «حسنًا، حسنًا».
- «عليّ الانصراف».
- «اجلس، سأكمل لك القصة».
- «والحضور؟»
- «هذا يستمرّ لمُدّة خمس دقائق فقط، انظر في ساعتك إنها التاسعة والرّبع!»
- «حسنًا أكمل».

* * *

يوم الجمعة ٢٠ / ٧ / ٢٠٠١ السّاعة الواحدة صباحًا.

ها هو عابد يجلس في مكتبه كالعادة، هذه المرّة هو وحده، انصرف حسين منذ ساعات، وها هو يجلس وينتظر مجيء ذلك الشّابّ السالف ذكره وأخته، هُناك أمر مُهمّ بالنسبة له في تلك اللّيلة، ها هم قد وصلا، هُناك العديد من الطّرقات على الباب.

- «تفضلًا!»

نطق عابد بتلك العبارة ليدخل الشَّابُّ وأخته، لیبدا الشَّابُّ في الحديث قائلاً:
- «نحن جاهزان يا شيخ عابد، ولكن...»
قاطعته أخته قائلةً:

- «هناك شيء غريب، حدث حينما عدنا إلى المنزل بعد أن خرجنا من عندك».
- «ماذا حدث؟»

نظرت الفتاة نظرة خوف إلى عابد ثم أكملت قائلةً:
- «دخلت إلى غرفتي بعد أن وصلنا للمنزل، لأجد عبارة باللون الأحمر كُتبت على
حائط غرفتي بخطّ بارز».

* * *

الصُّحْيَةُ الثانية، اللَّيْلَةُ!!

* * *

سكتت الفتاة قليلاً، ثم أكملت قائلةً:
- «لم يقتصر الأمر على هذا، فكلّما أقوم بالإمساك بشيء ما أجد نفس العبارة».
- «لا تخافي، هذا بفعل العمل، سينتهي كلّ شيء اللَّيْلَةَ».
- «أنا أثق بك يا شيخ عابد».
«علينا أن نتحرّك الآن، اتبعوني».
خرج الجميع وسارا وراء عابد في طريق طويل مُظْلَم، لا يُنِيرُهُ إِلَّا ضوء القمر الذي
كان فوقهم، ظلّوا يسرون طويلاً حتى وقف عابد أمام تربة ما ثم قال:
- «لقد وصلنا، ها هي التربة».
نظر الشَّابُّ مُتَعَجِّباً إلى أخته ثم قال:
- «وكيف سندخل إلى التربة؟»
كان مع عابد أدوات فتح تلك التربة، أعطاهما للشَّابُّ وبدأ في تكسير القفل، وبعد
عدّة دقائق تمكّنوا من فتح التربة، ليتكلم عابد قائلاً:
- «انزلي أنتِ أولاً».
وأشار إلى أخته، ليتحدّث أخوها قائلاً:
- «هل ستنزل وحدها؟»

- «في البداية، نعم، وبعدها سترافقها أنت!»
- «حسنًا».

نزلت الفتاة إلى التربة، وبعدها قام عابد بإغلاق الباب عليها بسرعة! ليتحدث أخوها:
- «ماذا فعلت يا غبي، افتح الباب!!»
أخذت الفتاة تصرخ وهي داخل التربة وأخذ أخوها يُحاول فتح الباب ولكن دون جدوى، هو لا يعرف سبب قفل الباب أصلًا، فالقفل قاموا بكسره منذ دقائق، إذن كيف أغلق الباب هكذا؟ صرخت الفتاة من الدّاخل عدّة صرخات ثم سكّنت فجأة!!
- «ماذا حدث لها؟ افتح الباب يا عابد».

تجاهل عابد الشّابّ تمامًا وبعدها بدقيقتين فُتح الباب وحده ثم قام عابد بدفع الشّابّ إلى داخل التربة وأغلق الباب مرّة أخرى! مرّت نصف ساعة ثم فُتح باب التربة وحده مرّة أخرى ليخرج الشّابّ والفتاة وعلى وجههما أشدّ علامات الفزع، وكانت الفتاة تحمل في يديها ورقة ما، نظر الاثنين إلى عابد ثم قالت الفتاة:
- «يجب أن تُحرق تلك الورقة بسرعة».

اتجه الثلاثة إلى البحر المتواجد هُناك، ثم أعطى عابد الفتاة قدّاحة وقامت بإشعال النيران في الورقة وألقته في البحر، ثم عاد الثلاثة إلى مكتب عابد، كانت السّاعة وقتها الثانية صباحًا!، ليتكلّم عابد قائلاً:
- «أخبراني ماذا رأى كلّ منكما».

* * *

- «لماذا توقفت؟»
نطق سامح بتلك العبارة ناظرًا بحدّة إلى ثروت الذي كان يضحك على ردّة فعله ككلّ مرة حينما يتوقف عند منطقة التشويق.
- «سأكمل لك في اللّيل، الجزء القادم في القصة لا بدّ أن تعرفه في اللّيل، سيكون أفضل لك، حتى أضمن لك تشويقًا أكثر هه».
- «حسنًا، يا...»

أطلق سامح سبّةً بذيئة من فمه ثم انصرف.
* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الحادية عشرة صباحًا.
أنت الآن على طريق مصر - إسكندرية الصحراوي، أتذكرون هذا المكان؟
* * *

قام حازم بالاتصال على أحمد وأخبره بالأمر، أخذ أحمد الجثة وألقاها على طريق
مصر - إسكندرية الصحراوي ثم انصرف!!
* * *

أرى الضابط كامل يقف أمام جثة مُلقاة في كيس بلاستيكي على جانب الطريق،
وبعدها بدقائق وصل الضابط كريم أيضًا ليتحدث الأخير قائلاً:
- «ما الأمر؟»

- «جثة جديدة!!»
نظر كريم إلى الجثة ثم قال:
- «يجب نقل الجثة سريعًا لاستخراج تقرير الطب الشرعي لها على الفور، هذه المرة
الأمر مختلف، ما هذا؟»
- «ما بك؟»

- «ما تلك العبارة المكتوبة على الجثة؟»

* * *

(الحنوتي!!)

* * *

- «تم حرق تلك العبارة بالنار على جسد الجثة يا كريم».
- «لا بُدَّ أننا سندخل إلى مرحلة جديدة من الجثث هذه المرة، فالجثة مُشوّهة
بالكامل!»

وصلت الإسعاف، وتم نقل الجثة إلى مصلحة الطب الشرعي لإجراء التقرير الخاص
بالجثة.

* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثانية عشرة مساءً.
في مبنى من مظهره الخارجي يُمكنك أن تقول أنه تابع لأحد رجال الأعمال المشهورين،

=====

أو أنه شركة دولية مثلاً!، أنت الآن داخل شركة (...) لتوريد الأدوات الطبيّة، ذلك الذي يعتقد الكَلَّ، بينما حقيقة، أنت داخل المبنى الخاصّ بمنظمة لتجارة الأعضاء البشريّة، ها هو صديقنا السيّد عمرو يجلس على مكتبه كالعادة لا يفعل شيء إلا أنه يُقَلِّب داخل صفحات بريده الإلكترونيّ باحثاً عن آية رسالة جديدة من رئيس المنظمة، ذلك الشّخص المجهول الهوية الذي لا يعرفه أحد، والذي يأخذ السيّد عمرو الأوامر منه عن طريق البريد الإلكترونيّ، مُستخدماً ما يُعرف بالبريد الإلكترونيّ الوهميّ، حتى لا تنكشف هويّته، ذكيّ، ما هذا؟ رسالة جديدة وصلت له الآن، تابع معي لتعرف مُحتواها.

* * *

مرحباً بتلميذي العزيز، أتمنى أن تكون بصحّة جيّدة، من فضلك، أريد أن يصل سلامي إلى زميلك الجديد في الفصل، أخبره بأنني مُعجب بتصرّفاتة جدّاً، ولأنه الأذكي فيما بينكم، أخبره أنني قمت بتعيينه نائباً لك في كلّ ما هو قادم داخل الفصل، أريده أن يعمل بنفس ذلك الأسلوب الجيّد الذي رأيته منه. سيصل إليكم طالب جديد في الفصل، رَحِّبُوا به جيّداً، سأخبركم ببعض المعلومات عنه في رسائل قادمة! مُعلّمك العزيز.

* * *

ما هذه الشّفرات؟! ستفهمون كلّ شيء قريباً، ظلّ السيّد عمرو شاردّاً في تفكيره إلى أن قطع شروده دخول حازم عليه.

- «مرحباً سيّد عمرو».

- «مرحباً حازم، جئت في موعدك، هُناك توصيات عليك».

- «ماذا حدث؟»

- «لقد وصلتني رسالة من رئيس المنظمة، إنه يُثني عليك جدّاً، ويطلب منك أن تكون مسؤولاً عن تشريح كلّ الضحايا في الممرّات المُقبلة بنفس الطّريقة».

- «حقّاً؟ ظننت أنه قد يغضب ممّا فعلت».

- «بالطّبع لن يغضب، هكذا ستختفي معالم الجثث، ولن يُستدلّ عليها أبداً».

=====

- «ذكرتني، لقد عثروا على آخر ضحية وأخذوها».
- «وماذا حدث؟»
- «أستطيع أن أضمن لك أنهم لن يصلوا إلى أي شيء، كعادتهم في كل المرات السابقة كما أخبرتني».
- «حسنًا حازم، أخبرني أين تجلس أنت الآن؟»
- «لست ثابتًا في مكان ما، أتنقل ما بين مكان وآخر، وبين الحين والأخرى أزور شقة والدي لأخذ بعض الأشياء منها وأنصرف».
- «احذر أن يراك أحد يعرفك، أنت في علم الجميع ميت!!»
- «لا تخف سيّد عمرو، أمر (الحنوتي) لن ينكشف أبدًا».
- «لقد أثبتت جدارتك من عملية واحدة، ماذا ستفعل في بقيّة العمليات؟»
- «كما قال رئيس المنظّمة، سأسير على نفس النهج، حتى تنحصر شخصية المنظّمة جميعها في شخصية واحدة، أيّ (الحنوتي)، هكذا سأعطيهم أمل الوصول إلينا، وحيرة عدم الوصول إلى شيء بعدها، لا تخف، كل شيء سيسير حسب خطة ما لديّ».
- «وما هي؟»
- «سنقوم بإحضار ضحية كلّ يومين أو ثلاثة أيّام، وإلقائها في أماكن مختلفة، لقد تمكّنت من الحصول على أسماء من يعملون على القضية، ضابطان يُدعى أحدهما كريم والآخر كامل، وكلّ ضحية سأضع معها خيط، قد يظنون أنه سيوصلهم إلينا، ولكن بالعكس، هذا سيبعدهم عنّا أكثر، وسيظنون أنهم أمسكوا بالفاعل، ثم سنُخبّ ظنهم أمام الصحافة».
- «فكرة جيّدة، جلب الضحايا سيكون من تخصص أحمد وسامح طبعًا».
- «نعم، هذا جيّد، والتشريح في نفس المشرحة السالف ذكرها، بوجود سيّد طبعًا، ذلك الرّجل كاد يموت ذهولًا ممّا فعلته هه».
- «لا عليك به! سيّساعدكم، وسأمره أن لا يتدخل في عملك».
- «حسنًا، صحيح، سيّد عمرو بخصوص بيع الأعضاء، ماذا تفعلوا بعد أن نأخذها من الضّحايا؟»
- «محمود، هذا شخص يتعامل معنا، يبيع تلك الأعضاء إلى المُستشفيات بأسعار

باهظة كما تعلم، ثم يعود لنا بالمال، وتوزّع علينا بالتساوي». - «جيد».

- «نصيبك من العملية السابقة سيصلك غداً».

- «حسنًا سيّد عمرو، أظن أن عليّ الذهاب الآن».

- «تفضّل».

خرج حازم من مكتب السيّد عمرو، ثم غادر المبنى بأكمله.
* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الرابعة عصرًا.

أنت الآن داخل مركز الشرطة، ها قد وصل تقرير الطبّ الشرعي بخصوص الضّحية التي قد علموا بعد إجراء بعض التحريات أن صاحبها يدعى صالح الجيزاوي، أمسك الضّابط كريم بالتقرير سريعًا وأخذ يقرؤه بصوت مسموع:
* * *

تقرير الطبّ الشرعي للحالة رقم ٩٩ صالح أحمد الجيزاوي، الشهير بصالح حشيش. الوقت المُقدّر للوفاة: يوم الأربعاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الحادية عشرة مساءً. سبب الوفاة: انفجار في الوريد الودجي نتيجة قطع الرأس بسكين سُمكه ١ ملم. قام الجاني بفصل رأس المجني عليه عن جسده بسكين سُمكه ١ ملم، وتركه حتى نزع الكثير من دمه وخرّ صريعًا، تم اقتلاع العينين من مكانهما بمِشرط حاد باحترافية، تمّ قطع أصابع اليدين والأرجل بمِشرط، تم فتح البطن والصّدر بمِشرط، ثم تمّ إخراج الكليتين من مكانهما ثم القلب ثم الرّئتين ثم الأمعاء، حدث حرق على جسد المجني عليه بشعلة من نار كُتب بها كلمة ما وهي (الحنوتي) بخطّ كبير، ثم تمّ تخييط بطن المجني عليه مرّة أخرى، لا توجد آثار للخنق على الرّقبة، بفحص عيّنة من دمائه، تبين وجود جرعة من منوّم الدوكسيلامين، وهو من إحدى أنواع مُضادات الهستامين من النوع الأوّل، نتج عنها خلود المجني عليه للنوم قبل خمس وأربعين دقيقة من قتله، أي أنه أخذه في الساعة العاشرة والرّبع مساءً، وُضعت الجُثة في ثلاجة الموتى لمُدّة ١٣ ساعة تقريبًا، قبل إخراجها وإلقائها في المكان الذي وُجدت فيه (طريق مصر - إسكندرية الصّحراوي)، ظلّت جُثة المجني فيه لمُدّة ساعتين تقريبًا.

* * *

- «سُحْقًا!!»

نطق كامل بتلك الكلمة ثم تحدّث بغضب قائلاً:

- «(الחנוّتي) إذن».

- «اهدأ يا كامل، سنتمكن من حلّ القضية».

- «نفس العبارة التي كنّا نقولها عن الضحايا السابقين، ما هذا إذن؟ شبكة لتجارة

الأعضاء البشريّة، كلّ يومين أو ثلاثة تجلب ضحيّة جديدة، ولأنّ لم نتمكن من

كشف غموض أوّل ضحيّة حتى!، أدري منذ متى كانت أوّل ضحيّة؟ منذ سنتين!

جميع تلك القضايا قُيّدت ضدّ مجهول، وضاعت حقوق أصحابها».

- «كامل، يجب علينا أن نعمل بأسلوب مُعيّن».

- «أيّ أسلوب يُناسب تلك القضية، الأمر مُعقد يا كريم».

- «المهمّ الآن هو أن نجد إجابات للأسئلة الموجودة لدينا».

- «كلّ ما أريد أن أعرفه من يكون (الחנוّتي) هذا؟ (الחנוّت...)، انتظر! لقد تذكرت

شيئاً مهمّاً».

- «ماذا؟»

- «أتذكر قضية سالم الأسيوطي، ذلك الرّجل الذي قُتِل منذ مدّة».

- «نعم».

- «ابنته، سلمى، هي الخيط الوحيد المتبقي!!»

- «ولماذا؟ ما الذي يجعلك مُتأكّداً هكذا؟»

أعاد كامل رأسه للخلف وهو يتذكّر شيء ما قد خطر على باله فجأة.

* * *

(الחנוّتي) قادم!!

* * *

- «يبدو أن هناك الكثير من الأشياء التي يجب عليّ أن أسردها لك».

قالها كامل وهو ينظر إلى كريم الذي ظلّ مُتعبجاً ممّا يحدث ليقول:

- «ما هذا الغموض يا رجل، أنا لم أعتد عليك هذا».

=====

- «الأمر حقًا خطير يا كريم، لا أعرف هل ستمكن من الاستماع إلى كلّ ما سأقوله أم لا».

- «ما هذا؟ يمكنك أن تسرد لي كلّ ما تريده».

- «حسنًا».

صمت الاثنان ليُكمل كريم قائلاً:

- «أنا أستمع لك».

* * *

الفصل الثالث: (الحنوتي) قادم .

«حيث أنه آتٍ، فلا شك في ضماني أنك ستعيش أسوأ لحظات حياتك برفقته».

استدرت ورأيت، لا أدري كيف تأكدت أنه هاشم أصلاً، كان جسده ملفوفاً بذلك الكفن الأبيض المُقطَّع، ولا يظهر منه سوى تلك الجُمجمة البالية.

* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الرَّابعة عصرًا.
ها هما الضَّابطان كامل وكريم داخل مركز الشَّرطة، كان حوارهما مُهمًّا لما يظهر عليهما من الاهتمام، سُرعان ما يتحدَّث الأخير قائلاً:
- «كامل، يجب علينا أن نعمل بأسلوب معيّن».
- «من يكون (الحنوتي) هذا؟ (الحنوت...)، انتظر! لقد تذكرت شيئًا مهمًّا».
- «ماذا؟»

- «أتذكر قضيّة (سالم الأسيوطي)، ذلك الرّجل الذي قُتل مُنذ مدّة».
- «نعم».

- «ابنته، سلمى، هي الخيط الوحيد المتبقي!!»
- «ولماذا؟ ما الذي يجعلك مُتأكدًا هكذا؟»

* * *

(الحنوتي) قادم!!

* * *

- «كامل، كامل، أين ذهبت؟»
- «ها؟ (الحنوتي) له علاقة بحادثة مقتل (سالم الأسيوطي) يا كريم».
- «وما الذي أثبت لك هذا؟»
- «سأخبرك».

* * *

أنت الآن داخل المقابر كالعادة!، جيّد أنك اعتدت ذلك المكان المُوحش، الذي يراه الكثير كالجحيم، ولكن بالنسبة لثروت، أراه يظنّه كمنزله، إن لم يكن هو فعلاً، ها هو سامح يقترب ناحية ثروت كعادته ليطلب منه أن يُكمل له قصّة تلك التربة الملعونة.
- «جئت في موعدك!»

- «ثروت، لن أتركك اليوم حتى تكمل لي القصة كلها».
- «هدئي من روعك يا رجل!، بالطبع لن أتمكن من إنهاؤها كلها الآن، فالقصة ما زالت طويلة، سأكمل لك جزءاً منها الآن، أخبرني أين توقفتنا في المرة السابقة؟»
* * *

يوم الجمعة ٢٠ / ٧ / ٢٠١٠ الساعة الثانية صباحاً.
أرى عابد يجلس على مكتبه، ويجلس أمامه ذلك الشاب وأخته، ليتكلم الأول قائلاً:
- «أخبراني ماذا رأى كل منكما».

عمّ الصمت لبضع ثوانٍ قليلة، ثم بدأت الفتاة بالحديث قائلةً:
- «بعد أن فُتح باب التربة وقمت بالدخول، كنت أرى بعض الأكفان مُلقاة على الأرض، لا أدري كيف كنت أراها، رغم أن ضوء القمر انحسر في الخارج ولم يكن يصل للتربة مطلقاً، عندما أغلقت عليّ الباب اختفت كل الأضواء، كل ما كنت أراه وقتها كان الظلام الدامس، أتعرف ذلك الظلام الذي تراه عندما تغلق عينيك بشدة ثم تحاول تخيل ما تراه؟ هذا ما كنت أراه».

سكتت الفتاة لعدة ثوانٍ ثم أكملت قائلةً:
- «ما المدة التي أغلق عليّ باب التربة فيها وأنا وحدي؟»
- «دقيقتين تقريباً».

- «مرت تلك الدقيقتين عليّ كالساعات، بعد أن أغلق الباب عدت للخلف مُحاولَةً الخروج، حاولت طرق الباب عدة مرات لينفتح، وقمت بدفعه أيضاً ولكن دون جدوى، لا أدري كيف أغلق الباب أصلاً، رغم أنه لا مجرى له ليقفل، وكان مكان مرور الباب واسعاً، أي من المستحيل أن يُغلق وحده، وكأن مجرى الباب أصبح ضيقاً بعد أن دخلت أنا للتربة!، أغلقت عيني للحظة، لأرى ما لم أكن أتوقع أن أراه، رأيت أن الأكفان الموجودة ورأي كانوا ثلاثة أكفان!، فتحت عيني بعدها على يد وُضعت على كتفي! صرخت وقتها تلك الصرخة التي سمعتموها، وبعدها شعرت بأن هناك يدًا وُضعت على فمي لأصمت!، استدرت تلقائياً دون إرادة مني لأرى ذلك الشخص الذي وضع يده على كتفي، نعم، إنه هاشم!!»
تحدث أخو الفتاة سريعاً وقال:

- «نعم، كان هاشم، ولكنني عندما دخلت إلى التربة وجدت كفنه في ركن من أركانها»

نظرت الفتاة إلى الأرض، ويظهر على وجهها الخوف، ثم أكملت قائلةً:
- «بعد أن استدرت ورأيت، لا أدري كيف تأكدت أنه هاشم أصلاً، كان جسده ملفوفاً
بذلك الكفن الأبيض المُقطَّع، ولا يظهر منه سوى تلك الجُمجمة البالية، عندها تكلم
وقال لي: العمل، العمل، الحضور! وأخرج ورقة من رمال التربة، مدَّ يده، أو يمكننا
القول أنه مدَّ عظام يده إلى الرمال بطريقة غريبة، كان ذراعه طويلاً لا أدري كيف
ذلك، رغم أنه كان طبيعياً حينما كنت أعرفه، ثم أخرج من وسط الرمال ورقة صفراء،
يغطي معظمها ذلك التراب الأحمر! نعم، كان التراب أحمرًا، وما فهمته بعدها أن
أسفل رمال التربة الصفراء كان هناك الكثير من التراب الأحمر، بعد أن أخرج الورقة
قام بفتحها وبدأ يقرأ عليّ منها العديد من الكلمات المُتفرقة، العمل، نطق كلمة
العمل ثلاث مرّات، ثم سكت وقال تلك العبارات:....».

* * *

يبدأ مفعول العمل المدفون بالتراب الأحمر بعد مسّ (سماح) ابنة (إنعام) ابنة
(أسمهان) له والتسمية.

العمل! الحضور! التراب الأحمر، (سماح)!

الآن، الآن، السّاعة، السّاعة.

يبدأ مفعول العمل المدفون بالتراب الأحمر بعد مسّ (سماح) ابنة (إنعام) ابنة
(أسمهان) له والتسمية.

العمل! الحضور! التراب الأحمر، (سماح)!

الآن، الآن، السّاعة، السّاعة.

يبدأ مفعول العمل المدفون بالتراب الأحمر بعد مسّ (سماح) ابنة (إنعام) ابنة
(أسمهان) له والتسمية.

العمل! الحضور! التراب الأحمر، (سماح)!

الآن، الآن، السّاعة، السّاعة.

* * *

ظَلَّت الفتاة تقول وتكرّر العبارة ثلاث مرّات ثم سقطت مغشيّاً عليها!!

* * *

الصمت يعمّ المكان، ذلك الشّارع أنا أعرفه جيّدًا، إنه هو، الشارع الموجود به منزل حازم، أو (الحانوتي)، كما تريدون أن تُسمّوه، استرقّ معي النظر إلى الدّاخل، لقد رأيت حازم يدخل إلى شقته القديمة ويجلس بداخلها، تصرّفاته سريعة، لا بُدّ أنه قد جاء لإجراء شيء مهمّ.

* * *

- «ماذا تقصد يا كامل، يعني أنت تقول أنك قابلت سلمى ابنة سالم الأسيوطي؟»
- «لم أقابلها بذلك المعنى، بعد مقتل والدها كنت أنا من أحقق في تلك القضية، أعطيتها رقم هاتفي لتخبرني إذا ما حدث أيّ شيء غريب بخصوص شقة والدها، بعد أن طلبت منها أن لا تسكن بها بعد الحادثة.»
- «وماذا حدث؟»
- «اتصلت بي الجمعة الماضية!»

* * *

- «سيّد كامل، هذا أنا سلمى الأسيوطي أتذكرك؟»
- «نعم نعم، مرحبًا أستاذة سلمى بالطّبع أتذكرك.»
- «لا بُدّ أن نتحدّث سويًا، هناك أمر طارئ يجب أن أخبرك به، هل يمكنك مُقابلتي سريعًا في مقهى (...) إذا سمحت؟»
- «نعم بإمكانني ذلك، لن أتأخّر، خمس دقائق وسأكون أمامك.»
وبعد مرور دقائق، كان كامل وسلمى يجلسان سويًا.
- «ما الأمر؟ أخبريني أن هناك شيئًا مهمًّا.»
- «هل بإمكانك أن تقرأ تلك الورقة؟»
وقامت بإخراج ورقة مُتوسّطة الحجم من حقيبة يدها كان مكتوب عليها: (الحانوتي) قادم.

* * *

قام هذا الرّجل بكتابة هذه العبارة على عدّة أوراق، لا يُمكنني الجزم بعددها،

=====

٢٠١٠... أوراق كثيرة جدًا وقام بوضعها في جميع أرجاء ذلك المنزل وعلى جميع الحوائط! خرج بعدها من ذلك المنزل ووضع آخر ورقة كانت معه على باب المنزل.
* * *

- «ما تلك الورقة؟»

- «خرجت في الصباح لأسير قليلاً في الشارع، فوجدتها على باب شقة والدي».
- «سلمى، لدي بعض الشكوك تقول أن (الханوتي) هذا له علاقة بمقتل والدك، أنت تعرفين أن القضية قُيّدت ضدّ مجهول ولم نتمكن من جلب الجاني حتى الآن، ولكن قد نتمكن الآن، لذلك من فضلك استمعي إلى كل ما سأقوله لك ونفذه بدقة!»
* * *

- «وماذا فعلت؟»

- «طلبت منها أن تُنصت لما قد تسمعه في شقة والدها، وأن تنظر باستمرار إليها لترى ماذا سيحدث، وأنا بدوري قمت باستخراج تصريح لتفتيش الشقة، يجب أن أعرف ماذا بداخلها، أنت تعلم أن الشقة تم تسميعها بالشمع الأحمر منذ الحادثة، لذلك سأسرّع باستخراج التصريح لأدخلها».

- «هل جُنت يا كامل، أي تصريح تريد استخراجه والشقة مُشمّعة أصلاً؟!»
- «كريم، من فضلك، اتركني لأفعل ما أريد، هناك شيء غريب يدور في هذه الشقة ويجب عليّ أن أكتشفه».

- «لا تحاول، فبالطبع سيرفض طلبك لأخذ ذلك التصريح لعدم وجود سبب أو شبهة، كلّها مُجرّد تخيّلات منك يا حضرة الضابط!!»

- «إذن، انتظر وسترى كلّ شيء، فقط اتركني لأفعل ما أريد».
* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الخامسة مساءً.

عودة سريعة إلى المقابر، وها هو ثروت يخرج سامح كالعادة من شدّة اندماجه في أحداث قصّة تلك التربة الملعونة، ليتكلم الأوّل قائلاً:

- «نكتفي بهذا الآن».

- «أيّها ال...»

قاطعته ثروت قائلاً:

- «اصمت!، كل ما أفعله معك أثناء إخباري لك بتلك القصة له سبب».
- «لماذا؟ ليس ميعاد جلسة الحضور، أو ميعاد احتراق التربة، ماذا الآن؟»
- «لا شيء، فقط أريد أن أتحدث معاك قليلاً، لقد بدأت أشك أنك تعرفني فقط لأجل تلك القصة وليس لأجل أننا أصدقاء».
- «لا عليك، تحدث، ما الأمر؟»
- «ألا توجد جثث جديدة؟»
- «بلى، ولكن ستعرف كل شيء في الوقت المناسب!»
- «حسنًا».
- «ولكن لا تستعجب حينما تراها، الجثث هذه المرة مختلفة تمامًا عن المرات السابقة».
- «ما المختلف؟ كلها جثث يا صديقي، هه!»
- نظر سامح إلى هاتفه ليجد رسالة من رقم مجهول محتواها الآتي:

* * *

مرحبًا،

أدعوك لحضور حفل الآباء بالمدرسة، فالجميع مُتواجدون!
إدارة المدرسة.

* * *

سكت سامح قليلاً بعد أن رأى الرسالة، حينها تكلم ثروت قائلاً:

- «سامح، سامح!، أين أنت؟»
- «موجود، ولكنني مُضطرٌّ للرَّحيل الآن، هناك أمر مُهم!»
- «حسنًا، إلى اللقاء!»
- خرج سامح من المقابر مُتجهًا إلى (حفل الآباء)، هه، أو ما يُمكننا أن نسمّيه اجتماع أعضاء المُنظمة!!

* * *

أنت الآن داخل منزل السيِّدة دلال أتتذكرها؟ نعم، هي تلك السيِّدة التي تجلس

=====

- معها سلمى، إنها جارتهم!، أرى من مكاني هذا سلمى تجلس مع صديقتها المقربة وفاء، يبدو أن هناك أمر مهمّ جمعهم!، لتتحدّث الأخيرة قائلةً:
- «ما الأمر يا سلمى، لقد أخبرتيني أن هناك شيء مهمّ تريدني فيه؟»
- «نعم نعم، (الحنوتي)!!»
- «ما هذا؟»
- «ألم تقرّري الأعداد المسائيّة من صحيفتنا؟! جريمة قتل جديدة!»
- «وماذا يهتمّني في مثل هذه الجرائم؟»
- «وفاء!، أنتِ تعلمين أيّ صحيفة في باب الحوادث، فهذا أمر طبيعيّ بالنسبة إليّ.»
- «وما دخلي بالحوادث أنا؟! أنا أعمل في باب الفنّ، ومُعظم، إن لم أقل كلّ ما أكتبه أخبار زائفة أصلاً، هه.»
- «تابعي الحوادث إذن، هناك جريمة قتل جديدة حدثت، يقولون أن الجثة التي وجدوها كانت على طريق مصر - إسكندرية الصّحراويّ، كانت رأس الجثة مقطوعة، والجثة بأكملها مسروقة الأعضاء، والأهم من هذا كله، (الحنوتي)!!»
- «يا ربّي، وما هو (الحنوتي) هذا؟»
- «بعد أن أمسكوا بالجثة، وجدوا أنها محترقة بشعلة من النار وكتب بها كلمة (الحنوتي).»
- «وما علاقتي بكلّ هذا؟»
- «لقد خرجت يوم الجمعة في الصّباح، ووجدت ورقة متوسطة الحجم كتّبت عليها بخطّ كبير عبارة ما، أتعرفي ما هي؟»
- «ماذا؟»
- «كتّبت عليها (الحنوتي) قادم!!»
- «ماذا؟!!!»
- «مثل ما سمعتي أيّتها الذكيّة.»
- «وماذا ستفعلين؟»
- «لقد أخبرت ذلك الضّابط الذي كان يُحقّق في جريمة مقتل والدي، وأخبرني أنه سيحاول اكتشاف الأمر، توقعاته تقول أن (الحنوتي) هذا هو وراء جريمة مقتل

والدي».

- «خير إن شاء الله، أتمنى أن يوقعوا به!»

- «إن شاء الله، المهم أريد منك طلباً مهماً».

- «ما هو أيتها المستغلة، هه؟»

- «أريدك أن تذهبي للجريدة وتطلبي من رئيس التحرير أن يُسند الكتابة عن

جرائم القتل المتعلقة بشخص (الحنوتي) إليّ بدلاً من مَنْ يكتبها الآن!»

- «وهل تعتقدي أنه سيوافق؟»

- «أخبريه أنني لديّ معلومات مهمّة جدّاً بخصوص (الحنوتي)، على كلّ لقد أخذت

صورة بهاتفي لباب شقتنا عندما كانت تلك الورقة موجودة عليه، يمكنك أن تُريها

له، أخبريه أنني سأفتح باب الحديث عن شخص (الحنوتي) بطريقة مُبتكرة ستجلب

لنا الكثير والكثير من المبيعات».

- «حسنًا، سأبذل ما في وسعي».

- «اذهبي الآن، وأخبريني بأيّ تفاصيل جديدة».

- «حسنًا».

خرجت وفاء، بينما ظلّت سلمى تفكر فيما ستفعل وهي تخطّ بقلمها العديد من

الخطوط المتقطعة والتي كوّنت في النهاية كلمة (الحنوتي)!!

* * *

يوم الخميس ٢١ / ٤ / ٢٠١١، الساعة السابعة مساءً.

أنت الآن أمام مكتب الضابط كريم، إنه يتحدّث مع الضابط كامل في أمر يبدو مهماً

فالأخير تظهر عليه العصبية جدّاً بينما الأول يحاول تهدئته، دعنا نقرب أكثر لنعرف

فيما يتحدّثان:

- «لقد أخبرتك قبل أن تطلب الإذن، أخبرتك أنه سوف يُرفض».

- «يجب عليّ أن أدخل تلك الشقة، مهما كان الثمن!!»

- «والشمع الأحمر يا ذكي؟»

- «سأفضّه، ليس لديّ حلّ آخر، هناك شيء ما يجب عليّ أن أعرفه».

- «هذا أمر خطير يا كامل، قد تُحال للتحقيق جرّاء فعلك هذا!!»

=====

- «لا يهم، كل ما يدور في رأسي الآن أنه يجب أن أدخل الشقة، وأنا أعرف كيف سأدخلها».

- «الشمع الأحمر وعرفنا أنك ستفضّه، وبالنسبة للمفتاح؟»

- «سأخذه من سلمى، ليس لديّ خيار آخر!»

- «افعل ما تريد، ولكن تذكر أنني أخبرتك أن هذا خطير».

خرج الضابط كامل، ثم قام بالاتصال على سلمى.

أنت الآن داخل شركة (...) لتوريد الأدوات الطبيّة، أو مقرّ منظمّة تجارة الأعضاء البشريّة، أعطها الاسم الذي تريد!، ها هم جميع أعضاء المنظمّة يجلسون في غرفة الاجتماعات، يبدو أن هناك أمرًا مهمًّا!، يبدأ السيّد عمرو في الحديث قائلاً:

- «بما أن حازم ما زال جديداً هنا، فلا بدّ أن أعرفه وأذكركم أيضاً ببعض الأشياء، أولاً هذا محمود، ولمن لا يعرف، فمحمود هو مسؤول توزيع الأعضاء، ولأنها تكون مطلوبة جداً، لذلك تشتريها المستشفيات بأيّ ثمن، وهذا ما نريده نحن!، وبقية الأشياء تُباع لبعض الأشخاص المعيّنين الذين يستعملونها في أشياء لا علاقة لنا بها!»
تكلم حازم قائلاً:

- «مرحباً محمود، ولكنني أريد أن أستفسر، ما الذي سيضمن لنا أن يقوم محمود بتوزيع الأعضاء والعودة لنا بالمبلغ كاملاً؟!»

نظر الجميع باتجاه حازم نظرة تعجب!، هنا تحدّث محمود قائلاً:

- «ما يضمن ذلك هو خوفي من رئيس المنظمّة!، وما أنا متأكد منه بنسبة ١٠٠٪ أنه يرانا الآن!، لا تسألوني كيف، ولكنني أعتقد ذلك، فهو يعرف كلّ شيء عنا، وكلّ شيء يحدث!، أنا كنت من أوّل من عمل بهذه المنظمّة وأعرف كلّ تلك الأشياء، لو تريدون الإثبات أكثر يمكنني أن أقصّ عليكم قصّة سلامة!»

هنا ضحك سامح ضحكة خفيفة ثم قال:

- «سُحقاً لتلك القصص!، إنها دائماً ورائي».

لم يلتفت له أحد، حتى أن محمود بدأ يقصّ تلك القصّة دون أن ينظر لسامح أصلاً!
- «سلامة هذا كان ضمن أفراد المنظمّة، بالضبط كان يعمل مثل وظيفتي الآن،

موزّع للأعضاء!، في فترة ما، وجدنا الأموال التي تعود لنا من العمليّات - رغم كثرتها - أصبحت أقلّ من السّابق!، وبالطّبع كلّ جديد يعرفه رئيس المنظّمة!، لذلك كلّفنا بالبحث وراء سلامة، واكتشفنا أنه يقوم بسرقة جزء من الأموال وأخذها له! نظر أحمد له ثم قال:

- «وماذا حدث؟»

أكمل محمود:

- «جاءت الأوامر من رئيس المنظّمة بالتعامل معه كضحيّة!، حتى أنني ذبحت يديّ ثم وزعت أعضاءه، هه، لقد درّت علينا الكثير من الأموال وقتها، أتذكر أنني أخذت صورة له بعد أن انتهيت منه، أظنها ما زالت على هاتفني!»
أخرج محمود هاتفه وظلّ يبحث عن تلك الصّورة حتى وجدها!، دعوني أصفها لكم، كانت جُنة مُتوسّطة الطول، تم التعامل معها مثل آخر ضحية، صالح أتذكره؟ مثله بالضبط، الاختلاف فقط كان في عبارة (الحانوتي) التي كان قد كتبها حازم بالنيران على الجُنة، لم تكن موجودة.

* * *

- «مرحبًا أستاذة سلمى».

- «مرحبًا حضرة الضّابط كامل».

- «سلمى من فضلك، أريدك في أمر هامّ وضروريّ بخصوص القضية».

- «ما الأمر؟»

- «أريد أن أدخل شقة والدك».

- «ماذا تقول؟ الشقة مُشمّعة بالشمع الأحمر!!»

- «سأفضّه، سأحتاج فقط إلى مفتاح باب الشقة منك، هل يمكنك إعطاؤه لي حينما أصل؟»

- «نعم، ولكن هكذا سأضّرّ أنا أيضًا».

- «لا تخافي، لن يحدث أيّ شيء!»

بعد مرور نصف ساعة كان كامل وسلمى أمام باب الشقة.

- «كامل، سريعًا من فضلك».

- «حسنًا».

قام كامل بفضّ الشمع الأحمر ببعض الأدوات التي كانت معه، ثم فتح الباب بالمفتاح الذي أعطته له سلمى ثم دخل سريعًا ليتفاجأ بشيء ما قد حدث!!

* * *

عودة سريعة إلى اجتماع أعضاء المنظمة، بعد أن رأى الجميع صورة ذلك المدعو سلامة بدأ محمود في استكمال حديثه قائلاً:

- «لذلك أنا لست مُستغنياً عن عمري يا حازم، ومُستحيل أن أفعل ما كنت تقول أنت».

ردّ السيّد عمرو قائلاً:

- «لا علينا من كلّ هذا الآن، كم المدة التي ستنتهي فيها من توزيع الأعضاء؟»

- «من يومين إلى ثلاثة أيام تقريباً».

- «حسنًا، وبما أنكم مُجتمعين، أريد أن أخبركم بشيء مهمّ، سيكون حازم المسؤول المباشر عنكم بعدي، وهو المسؤول عن التشريح وستساعدوه جميعكم!، حيث أنه بأوامر من رئيس المنظمة تم تغيير بعض الأشياء لتصبح بذلك الشكل!»

- «ماذا؟»

- «سيكون حازم هو المسؤول المباشر عنكم في المرتبة الموجودة أسفل مني، أمّا محمود فسيظلّ كما هو مُوزعاً للأعضاء، أحمد يكون المسؤول عن جلب الضحايا، أمّا سامح سيكون مسؤولاً عن أخذ الضحايا بعد إظهارها للشرطة إلى المقابر لدفنها».

ردّ سامح قائلاً:

- «وكيف سنأخذ الجثث وهي ستكون مع الشرطة أصلاً؟!»

- «لا تنس أن سيّد يعمل في مشرحة تابعة للشرطة، أليست هي من سيتم فيها تشريح الجثث لاستخراج تقارير الطبّ الشرعيّ؟ كما أن سيّد تأقّي له في المشرحة كلّ الجثث مجهولة الهوية لدفنها في مقابر الصدقة مرّة أخرى، وهذه هي مهمّتك يا سامح».

هُنا ردّ سيّد قائلاً:

- «وأنّا؟ لقد أخذ حازم كل مهمّتي تقريباً».

=====

رد السيّد عمرو قائلاً:

- «مُهمّتك موجودة، فأنت ستساعدهم أثناء التّشريح بالطّبع، إضافة إلى أنك حلقة الوصل بيننا والشرطة».

- «حسنًا».

- «نهايةً، بعد انتهاء كلّ عمليّة، وإتمام عمليّة التوزيع سيدخل في الحساب البنكيّ لكلّ منكم نصيبه من تلك العمليّة».

رد حازم قائلاً:

- «جيد، هل من شيء آخر؟»

- «نعم، الرسائل بيننا ستكون مشفرة، بالضبط كالتي وصلت لكلّ منكم اليوم قبل الاجتماع».

تحدّث أحمد قائلاً:

- «الفصل أيّ المنظّمة، التلاميذ أيّ نحن، الطّلاب أيّ الضّحايا، ركزوا جيّدًا في الفرق بين الكلمات، أمّا حفل الآباء فهو اجتماع أعضاء المنظّمة، إدارة المدرسة أيّ السيّد عمرو».

رد السيّد عمرو قائلاً:

- «مُعَلِّمك العزيز، هو رئيس المنظّمة، هذا كلّ شيء، وبقية محتوى الرّسالة ستفهمونه مضمونًا، كانت هذه هي المفردات الأساسيّة فقط».

هنا تحدّث أحمد قائلاً:

- «هل هناك ضحايا جديدة قريبًا؟»

- «آخر رسالة من رئيس المنظّمة قال فيها أن هناك ضحيّة جديدة سيُخبرني ببعض المعلومات عنها قريبًا، وحينها سيكون عليك يا أحمد جلبها إلى المشرحة!»

- «جيد، هل هناك أيّ أوامر أخرى؟»

- «يُمْكِنكم المُعَادرة الآن، أيّ شيء جديد سأخبركم به كما اتفقنا».

* * *

دخل كامل إلى شقة سالم الأسيوطي ليتفاجأ بالآتي! كلّ شيء في الشقة مقلوب رأسًا على عقب، منظر الشقة يُوحى أن أحدهم دخلها وعبث بكلّ شيء فيها، حينما

=====

تم تشميع الشقة بالشمع الأحمر كانت سليمة، هو يتذكر ذلك جيّدًا، ولكن ماذا حدث؟ أخذ كامل جولة سريعة في الشقة حتى وجد مكتبًا عليه عدّة أوراق مُتناثرة ووُجد عليها قلمًا، الأوراق والأقلام ليس عليها أي أثر، هذا يُفسّر أن أحدهم حينما دخل إلى الشقة قد استعمل تلك الأشياء، وعلى الفور، غادر كامل الشقة سريعًا دون أن يُخبر سلمى ثم عاد لمركز الشرطة مرّة أخرى ليتحدّث إلى صديقه الضابط كريم.

- «ما بك؟ لقد طلبت مني الحضور بسرعة!»

- «هناك شيء غريب حدث في الشقة، شكّي كان في محله!!»

- «ماذا وجدت؟»

- «وجدت كلّ شيء في الشقة مقلوبًا رأسًا على عقب، ووجدت الكثير من الأتربة مُتناثرة على أثاث الشقة».

- «وما الغريب في ذلك؟»

- «الغريب عندما أجد هذه الأوراق وذلك القلم ليس عليهما أي أثر، والأوراق عليها بعض العلامات لكتابة، أي أن أحدًا قام بالكتابة على ورقة كان أسفلها تلك الأوراق، هل فهمتني؟ هناك شيء غريب يحدث في هذه الشقة يا كريم».

- «وهل وجدت شيئًا آخر؟»

- «نعم، وجدت الكثير من الأوراق تملأ سلّة المهملات المتواجدة بالشقة، وجميعها مُقطّعة إلى أجزاء صغيرة جدًّا».

قام كامل برفع سلّة المهملات وكان قد وضعها في كيس بلاستيكيّ أسود ثم قام بوضعها على مكتب كريم، هنا تحدّث الأخير بضحك قائلاً:

- «لا تنتظر مني أن أجمعها لك، مُستحيل!»

- «بلى ستفعل، هذا هو الحلّ الوحيد يا كريم، ليس لدينا إلا هذا، حتى إن استغرق الوقت لإنجاز هذا شهر».

- «حسنًا، ماذا فعلت بخصوص البصمات التي كنتم قد وجدتموها على جُثة سالم الأسويطي وقت الحادثة؟»

- «لقد ذكرتني بهذا فعلاً، بحثنا ولم تتطابق مع أيّ بصمات لدينا».

- «من الأفضل أن تحتفظوا بتلك البصمات، علّها تفيدنا في شيء فيما بعد».

=====

- «هذا ما فعلته فعلاً، ماذا حدث بخصوص الجثة الأخيرة؟»
- «تم استخراج تصريح لدفن الجثة، واستلمها ذويها مُنذ ساعات، وما زال التحقيق مفتوحاً علناً نجد شيئاً جديداً».

* * *

يوم الجمعة ٢٢ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الواحدة صباحاً.
أنت الآن داخل المشرحة، ها هو سامح وحازم وأحمد يجلسان مع سيّد، ليبدأ الأخير في الحديث قائلاً:

- «ما بكم يا رجال، ما هذا الصمت؟»
ردّ حازم قائلاً:

- «في البداية أريد أن أعتذر لكم جميعاً عمّا بدر مني مُنذ أيّام ونحن هُنا!، ولكن أنتم تعلمون ما حدث لوالدي وما حدث لي بعدها، الأمر مُحيرٌ جدّاً، وحتى الآن لم يكتشفوا القاتل، لذا في تلك الفترة كنت مُدَمِّراً نفسياً، ولكني الآن أفضل بكثير». ابتسم سامح ابتسامة مأكرة لم يلحظها إلا حازم، ولكنه أكمل قائلاً:

- «لذلك من الآن ستساعدوني جميعاً في التشريح، وليس أنا وحدي كما فعلت في أوّل مرّة، حسبما أخبرنا السيّد عمرو». تحدّث أحمد قائلاً:

- «هكذا جيّد».

نطق سيّد بعبارة قائلاً:

- «هل قرأتم آخر ما كُتب في صفحة الحوادث في صحيفة (...)؟»
ردّ سامح:

- «لا، ماذا كُتب؟»

- «بعض الأخبار المبهمة عن الصّحية الأخيرة لنا!»
ابتسم حازم قائلاً:

- «هذا هُراء، من كتب ذلك المقال ليس محترفاً، إنه حقاً غبيّ، هه!»
ردّ سيّد قائلاً:

- «أظن أن تلك الصحيفة ستظلّ وراءنا!»

رد حازم متعجبًا:

- «ماذا تقصد؟»

- «تلك الصحيفة كانت تكتب عن الجرائم التي تحدث والضحايا الذين نتعامل معهم منذ زمن».

- «لا تخافوا، إن حدث شيئًا يضرنا، سنتعامل مع الصحفي بطريقتنا، هه».

ضحك الجميع، ثم رفع كل منهم يده لإكمال احتساء كوب الشاي الذي قد قارب على أن يفقد حرارته.

* * *

يوم الجمعة ٢٢ / ٤ / ٢٠١١ الساعة العاشرة صباحًا.

دعني أصف لك المشهد، داخل مبنى ليس كبيرًا للغاية، في مكتب ما يظهر عليه أنه مكتب للمدير، كانت سلمى تقف هناك، لتحدث بلهفة قائلة:

- «حقًا؟»

- «بالطبع، نحن نعلم كفاءتك يا سلمى لذلك فقد تمّ إسناد الكتابة في تلك القضية لك منذ الآن فصاعدًا».

- «شكرًا لك يا سيدي، ولكن لماذا هذا التغيير فجأة؟ هل كل هذا بسبب وفاء؟»

- «ليس وفاء فقط، ولكننا نحتاج صحفيًا جديدًا يا سلمى ليتولى النشر في تلك القضية، ألم تعلمي أن ياسر الذي كان يتولى النشر سابقًا فيها قد قُتل؟!»

صُغت سلمى لعلمها بهذا الخبر، لم تهتمّ ولكنها استأذنت وخرجت وهي تشعر بانتصار لرغبتها التي كانت تريد أن تُحققها، ستكتب في تلك القضية التي لطالما شغلته، وخاصة أن نظرتها لتلك الأمور قد تغيرت بعد مقتل والدها، وبعد الأزمات التي واجهتها منذ حدوث ذلك.

* * *

في نفس اللحظة كان كامل يقف أمام رئيسه في العمل، يبدو أن الأخير قد وصل إلى أقصى درجات الغضب، ليتحدث قائلاً:

- «كيف تفعل هذا يا حضرة الضابط، ألم أرفض طلبك هذا؟!»

- «ولكن يا سيدي، لقد وجدت بداخل الشقة ما يلفت النظر، (الحانوتي) له علاقة

=====

بهذا!!»

- «كلّ هذا هُراء، أريد الإثبات على كلامك، دون أيّ إثبات، فستظلّ موقوفًا عن العمل يا حضرة الضّابط! هيّا انصرف!!»
قالها الأخير بصرامة، بينما عاد كامل إلى مكتبه ليجد صديقه كريم هُناك ليتحدّث الأخير قائلاً:

- «ماذا قال لك؟»

- «أوقفني عن العمل».

- «قلت لك هذا من البداية».

- «لا يهم الآن، انعم بالقضيّة وحدك، ولا تحاول أن تُوقفني عن شيء أريد أن أفعله، إن لم نصل إلى حلّ لتلك القضايا بالقانون، فسأصل إليه أنا بطريقتي!»
- «لا تتسرّع يا كامل سيصيبك الضرر جرّاء أفعالك غير المدروسة».
- «لا يهمني يا كريم، الآن لا يهمني شيء، عن إذنك».

انصرف كامل وهو مُزعج لما حدث، بينما ظلّ كريم ينظر إلى سلّة المهملات التي أعطاهها له صديقه كامل من قبل، وقرّر أن يُعطيها لمن سيتمكّن من جمع تلك الأوراق وإرجاعها لحالتها الأصليّة، لا بُدّ أن في تلك الأوراق سرّ لا بُدّ أن يُكتشف.
* * *

يوم السّبت ٢٣ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الواحدة مساءً.

كان كامل يجلس في منزله مُنصتًا للأخبار التي تُقال عن الجرائم المُتتالية التي تحدّث، للعلم، فهو غير متزوج حتى الآن، رغم أنه قد قارب الـ ٣٠ من عمره، أمسك ببعض الأوراق التي كانت بحوزته ثم أمسك بها وبدأ يكتب ويحدّث نفسه:

- «قتل والد حازم، دخل حازم المصحّة، احترقت غرفة حازم، اختفى حازم، أخت حازم، سلمى، صحفيّة تعمل في باب الحوادث، لم يعد في العائلة إلا سلمى، شقتهم بها آثار دخول لأحد ما، النوافذ والأبواب سليمة، من دخل يملك نسخة من مفتاح الشقة! من يستطيع أن يدخل إذن والشقة كانت مشمّعة بالشمع الأحمر؟!»
ظل يخطّ الكثير من الخطوط حول تلك الجُمْل مُحاولًا الوُصول لحلّ، ولكن دون جدوى، استسلم للنوم على أريكته والتلفاز أمامه تُسيطر على شاشته عبارة واحدة

=====

غفل سريعًا قبل أن يراها:

* * *

أنباء عن حالة قتل جديدة، الجثة مشوّهة تمامًا، كُتب بخط كبير على الجثة بحرق من نار كلمة واحدة، (الحنوتي)!!

* * *

سابقًا في يوم الجمعة ٢٢ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الواحدة صباحًا. اجتمع جميع أفراد المنظّمة في المشرحة، وأمامهم جثة على المنضدة، أخذ أحمد يتكلّم قائلاً:

- «هاتفني السيّد عمرو وأعطاني بعض المعلومات عن الضحية الجديدة، ياسر، ٢٩ عامًا، متزوّج ولديه طفل، صحفي».

صُعق حازم حينما سمع كلمة صحفي، وكأنه حتمًا تذكر أخته ووظيفتها، إنها أيضًا صحفية، ثم أكمل أحمد قائلاً:

- «وضعت له المنوّم فيما كان يحتسيه وأنا جالس معه، أحاول أن أطلب منه أنني أبحث عن مُتبرّع بجزء من كبد لزوجتي، هه، هو لا يعلم أنني لست متزوّجًا أصلًا».

قاطعته سامح قائلاً:

- «دعك من هذا الهراء، دعنا نكمل العمل!»

تقدّم سيّد ووقف أمام المنضدة، ثم أخذ يتعامل مع الضحية كباقي الضحايا، المُختلف فقط والجديد الذي حدث أن حازم تقدّم وقام بسلخ جلد الضحية، وكأنها محاولة لتغيير الروتين، ثم حرق ما تبقى من الجثة وكتب عليها (الحنوتي)، ثم تحدّث قائلاً:

- «أنتم تعلمون ما عليكم فعله، يجب عليّ أن أنصرف الآن، أحمد، لا تنسَ أن تضع الصورة التي التقطتها للرجل مع جثته».

صُعق أحمد فهو فعلاً كان قد أخذ صورة للرجل وهو جالس معه، ولكنه لم يكن قد أخبر أحد بهذا من قبل!!

* * *

يوم السبت ٢٣ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الثالثة عصرًا. كانت سلمى تجلس أمام مكتبها، لتصيغ المقالة الجديدة التي ستصدر في الطبعة

=====

المسائيّة، وضعت عنواناً لها يقول: «كارثة (الحنوتي) قد تصل إلى منزلك»، مُرفق بالخبر صورة للصّحيفة الجديدة التي اكتشفتها الشرطة، وصورة لباب منزل والدها التي وجدت عليه تلك اللافتة التي تقول: «(الحنوتي) لم يمت»، كانت مقالة أقلّ ما يُقال عنها أنها تسحق أيّ مقالة لمن كان يكتب في تلك القضية قبلها، ثم أرفقت ذلك بإمضائها في الأسفل، (سَلَام الميّت)! أعطت المقالة لرئيس التحرير، قرأها سريعاً ثم أردف قائلاً:

- «رائعة مقالاتك كما هي العادة يا سلمى، سيتم نشرها بالطبع، ولكن ما تلك الصورة الأخرى المرفقة لصورة الحادثة؟»
- «سأتركك تقرأ المقالة بتركيز، حينها ستعرف كلّ شيء يا سيّدي».
خرجت وهي على وجهها نصف ابتسامة، لا تدري أهى فرحة أم حزينة؟!
* * *

في نفس الوقت كان كريم يجلس على مكتبه وهو يُفكّر فيما رآه، ما هذا؟! لا بدّ أن تلك الأسطورة المُسمّاة بـ(الحنوتي) ستقضي علي منصبه هذا، فهو لم يتمكن من حلّ أيّ قضية ذُكر فيها اسمه، وقتها تذكّر كامل فهااتفه أملاً في أيّ جديد، ليتكلّم الأخير قائلاً:

- «لقد سمعت عن الصّحيفة الجديدة أيضاً، أنا خارج الخدمة يا كريم هذه مُهمّتك أنت وليس أنا، إلى اللقاء!»
أنهى كامل المُكالمة سريعاً، خرج من منزله قاصداً مقهى مُقارب لمكانه، عاد وكان قد ابتاع جريدة ما يُتابعها دائماً من أسفل منزله، ثم صعد وأخذ يقرأ فيها، أمسك بها وفتح صفحة الحوادث، قرأ المقالة الأولى، جذبه العنوان: «كارثة (الحنوتي) قد تصل إلى منزلك»، أنهى المقالة وهو ينظر لها بتمعّن، اتسعت عيناه فجأة، لا بدّ أن وقع الصدمة كان كبيراً عليه، رفع عينيه لينظر على الحائط المُواجه ليجد عبارة كُتبت بخطّ كبير بلون أحمر!!

* * *

هنيئاً لك، كارثة (الحنوتي) وصلت إلى منزلك بالفعل!!
* * *

صُدِّم لقراءة تلك العبارة، ثم تبعها سماعه لباب شقته يُغلق بعنف! ظنَّ أنه كان قد نسيه مفتوحًا وأنه قد أغلق بسبب الهواء العنيف، ولكن كان ذلك مُجَرَّد مُبَرَّر لما حدث، لأنه كان قد أغلقه بالفعل!!

* * *

في نفس الوقت كان كريم يهَمُّ بالانصراف من مكتبه بعد أن عَجَزَ عن أن يفهم أيَّ شيء، بعد أن وصله تقرير الطَّبِّ الشرعيِّ، كان كمثل كلِّ التقارير، ولكنه أرفق في النهاية بعبارة معناها أن الجُثَّة سُلِخت بعد أن سُرقت أعضاؤها، كما أنه قد تم استخراج تصريح لدفن الجُثَّة واستلمها ذويها بعد أن تعرَّفوا عليها من الصَّورة المُرَافقة لها، ومن بقيَّة ملابسه المُلَطَّخة بالدماء المُرَفقة بالجُثَّة.

* * *

تحدَّث حازم قائلاً:

- «أحمد، لا تنسَ أن تضع الصَّورة التي التقطتها للرَّجل مع جثته».

صُعِق أحمد فهو فعلاً كان قد أخذ صُورة للرَّجل وهو جالس معه، ولكنه لم يكن قد أخبر أحد بهذا من قبل!!

- «أيَّ صُورة؟»

سكت حازم ثم أخرج من جيبه صُورة للضَّحيَّة وأعطائها لأحمد ليتحدَّث الأخير قائلاً:

- «من أين جلبتها؟»

- «أصبحت لا تركِّز أبداً، من هاتفك أيُّها الغبي، لقد أخذتها منك عنوة قبل أن نبداً وقمت بتحميميها».

- «ما تلك العبارة المكتوبة على ظهر الصَّورة؟»

- «هذا هو الخيط الذي ستسير عليه الشرطة، نحن من سنرسم هذا الخيط يا أحمد، حتى نضمن عدم وصولهم لنا».

سكت أحمد مُتَعَجِّبًا، ولكنه سلَّم للأمر الواقع، ووضع الصَّورة بجانب مُتعلِّقات الضَّحيَّة ثم أعطائها لسامح الذي قام بدوره وألقاها في المكان المُتفق عليه.

* * *

انصرف كريم قاصداً بيت كامل صديقه، بعد نصف ساعة تقريباً كان واقفاً أمام

=====

باب منزله، طرق الباب، لا أحد يُجيب، أخرج هاتفه وهمّ بالاتصال عليه، سمع رنين هاتفه بالداخل، قبل أن يأخذ أيّ خطوة، كان كامل قد فتح الباب وعلى وجهه أقصى علامات الخوف، نظر له كريم ثم تحدّث قائلاً بلهفة:

- «ما بك؟ وجهك شاحب اللون بطريقة غريبة، ماذا حدث؟»

- «...»

- «أجبني».

- «...»

ظل كامل صامتاً تدور عينيه حوله حتى سقط مغشياً عليه أمام كريم الذي همّ برفعه، ثم حمله إلى غرفته الكائنة بالقرب من الباب بمسافة بسيطة، ساعات حتى صباح اليوم التالي، أتى الصّباح وكريم بجانبه حتى استيقظ وقال بخوف:

- «ماذا أتى بك هنا يا كريم؟»

- «لقد أتيت لك بالأمس...»

قصّ عليه كريم كلّ ما حدث بالأمس إلى أن انتهى قائلاً:

- «ظلمت بجانبك حتى استيقظت الآن، ماذا حدث لك جعلك تُصبح هكذا؟»

نظر له كامل وأعطاه الجريدة، قرأ ما فيها، ثم تحدّث الأول قائلاً:

- «حينما قرأتها، كنت واقفاً في صالة الشقة، نظرت باتجاه الحائط المُقابل لأجد تلك العبارة...»

* * *

هنيئاً لك، كارثة (الحانوتي) وصلت إلى منزلك بالفعل!!

* * *

أكمل كامل قائلاً:

- «وبعدها سمعت صوت الباب يخلق بشدّة، رغم أنني متأكّد من أنني قد أغلقتة بيدي».

- «أين كانت العبارة بالضبط؟»

- «في الحائط الموجود خلف الأريكة».

خرج كريم بسرعة، ونظر على ذلك الحائط، وفي كافة أرجاء الشقة، ثم عاد لكامل

=====

قائلاً له:

- «لم أجد شيئاً!!»

- «ماذا؟!»

- «اهدأ يا كامل قد تكون مُتعب الأعصاب فقط جرّاء ما حدث لك».

قاطعته كامل قائلاً:

- «أنا لست مجنوناً يا كريم، أنا متأكد ممّا رأيته».

- «حسنًا، اهدأ، لا عليك من كلّ هذا، كنت أريد أن أستشيرك في بعض الأشياء

بخصوص آخر قضية».

- «أخبرتكَ أُنّي خرجت من الخدمة وهذا ليس عملي».

- «أنت خرجت من الخدمة، ليس لي دخل بهذا، ولكنني أريدك معي، أنت رافقتني

في تلك القضية منذ زمن، وسنُكملها معًا حتى نخرج بحلّ».

- «هيّا تكلم إذن».

- «القتيل الأخير».

- «ما به؟»

- «وجدنا بجانب جثته صورة له وهو يجلس على مقهى، وعلى الجانب الآخر

للصورة كُتب تاريخ التقاطها، إنه تاريخ اليوم، وأسفل التاريخ كُتبت عبارة ما».

السرّ سيكتشفه صديقك، كُن معه!

سكت كامل قليلاً ثم تحدّث قائلاً:

- «هو يقصد الإشارة إلى ما فعله (الحنوتي) اليوم في شقتي».

- «أنا أصدّق ما رويته عليّ، ليس لدي خيار آخر، ولكن...»

- «ولكن ماذا؟»

- «كيف مُحيت الجملة إذن من على الحائط؟»

سابقاً في يوم السّبت ٢٣ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة الثالثة عصرًا.

=====

في مقهى شهير بالقاهرة، أخرج أحدهم هاتفه، ثم كتب رسالة وأرسلها إلى شخص ما، كان محتواها كالاتي:

* * *

لقد خرج من منزله، سأصعد الآن، الحق بي!
* * *

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثانية عشرة صباحًا.
كان حازم يُرافق سامح في طريقه إلى المقابر، لا بُدَّ أن أمرًا مُهمًّا قد جمعهما، قطع الأخير الصَّمَت ليبدأ حديثه قائلاً:
- «غير أننا نعمل في تجارة الأعضاء البشريّة، فإننا نعمل في بقايا الجثث بعد تحللها».
- «تقصد العظام أليس كذلك؟»
- «نعم، نبيعها لطلبة كلية الطبّ بأسعار مقبولة بالنسبة لهم، أهم ما نريده هو إفادتهم».
ضحك الاثنان بسخرية ثم أكمل حازم قائلاً:
- «بالطبع».
وصل الاثنان إلى المقابر، خرج التريّ ثروت مُحييًّا سامح بشدّة، ثم قال:
- «لم تُعرّفني؟»
ثم وجّه نظره ناحية حازم ليتحدّث سامح قائلاً:
- «إنه حازم صديقي، لقد جاء ليتابع عمليّة إخراج العظام التي حدثتني عنها يا ثروت».
- «نعم نعم، لقد عرفت أن هُناك من طلب تلك العظام وسيأتي لي بعد قليل».
تحدث سامح قائلاً:
- «أنه العمليّة سريعًا، ثم عُد إلى غرفتك لتكمل لي قصّة صاحب التربة، لا بُدَّ أن حازم يُريد أن يستمع معنا».
شعر حازم بسُخف الحديث فتنحنح ثم قال:
- «سأذهب أنا لأنني مشغول».
- «تفضّل!»

غادر حازم بينما بعد دقائق عاد ثروت ليكمل لسامح بقية القصة.
* * *

يوم الجمعة ٢٠ / ٧ / ٢٠٠١ الساعة الثانية صباحًا.
بعد أن سقطت الفتاة مغشيًا عليه، أخذ أخوها يحاول أن يجعلها تستيقظ، وبعد دقائق استيقظت بالفعل، نظر إليها عابد ثم قال:
- «يُمْكِنُكم المَعَادرة الآن، سينتهي كل شيء قريبًا».
تحدّث أخوها قائلاً:
- «أتقصد أن الأمر قد انتهى؟»
ضحك عابد ضحكة مأكرة ثم قال:
- «سينتهي».

غادر الاثنان، وبعد ساعات من نفس اليوم كان الخبر الأليم يملأ الصُحف.
* * *

مقتل أخ وأخته في ظروف غامضة! عثرت على جثتي الاثنين مذبحين داخل شقتهم،
وُجِدَت عبارة محفورة على حائط غرفة الأخت بخط كبير.
* * *

تمّت الصّحيفة الثانية.

* * *

أرى من مكاني هذا شخصين يتحدّثان سويًا، يبدو أن الأمر مُهمّ، دعنا نقرب لنعلم ما هو ذلك الأمر:
- «الضحايا تتوالى، وهذا ما نريده».
- «ولكن في هذا خطر عليك سيّدي».
- «لا خطر سيكون موجودًا بعد اليوم، كلّ المخاوف ستنتهي الآن».
- «كيف ذلك؟»
- «ستعرف بعد دقائق».
- «ما زلت على نفس طبعك، غامض جدًّا».
أخذ الأخير يُردّد بعض الكلمات التي من الواضح أن لها تأثيرًا على الغرفة التي كانا

يجلسان فيها، أخذت الغُرفة تهتزّ بشدّة بينما أخذ الشّخص الآخر يصرخ من الخوف، وبعد عشر دقائق نطق الأول قائلاً:

- «انتهى».

- «أخبرني الآن يا عابد، أنا لم أفهم شيئاً».

تحدّث عابد بغضب قائلاً:

- «ستظل غيباً يا حسين، لقد كان هذا قُربانا، قُربانا من البشر، ألم يكن بعد كلّ ضحيّة تموت هناك عبارة تُكتب على حائط الغُرفة؟»

- «أتقصد الضّحيّة الأولى والثانية وهذا؟»

- «نعم، ليتقدّم القُربان كنت أحتاج إلى رجلين وامرأتين، على أن تكون الامرأتان هما الضحايا والرجلان هما المرافقان».

- «وماذا ستستفيد من هذا القُربان؟»

- «كل ما بين يديّ الآن، السلطة!، تلك السلطة التي قد لا تراها الآن، ولكنها معي، وحوالي في أي مكان أذهب إليه».

- «ألا تخاف أن يضرّك أحد من أهالي الضحايا؟»

- «لن يحدث شيء، وإن حدث فهناك من سينتقم لي».

سكت ثروت فجأة ثم اتسعت عيناه وهو ينظر إلى ظلّ أسود يمرّ خلف سامح، انزعج بسبب ذلك أيضاً سامح هو الآخر، فنظر خلفه فوجد هذا الظل فسقط مغشياً عليه!!

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الرابعة صباحاً.

كان حازم يجلس أمام السيّد عمرو بعد أن اتصل به الأخير يطلب منه المجيء على وجه السّرعة، ليبدأ الأول قائلاً:

- «ما الأمر يا سيّد عمرو؟»

- «هناك أمر أريد أن أستشيرك به يا حازم».

- «تفضل».

- «أظن أن ظهورك كثيرًا أصبح خطرًا عليك».

- «لماذا سيّدي؟»

- «لقد جاءتني أوامر من رئيس المنظمة أن تختفي بعض الوقت، فالشرطة قد تبحث عنك بعد ما فعلته».

* * *

اتسعت عيناه فجأة، لا بُدَّ أن وقع الصدمة كان كبيرًا عليه، رفع عينيه لينظر على الحائط المُواجه ليجد عبارة كُتبت بخط كبير بلون أحمر!!

* * *

هنيئًا لك، كارثة (الحنوتي) وصلت إلى منزلك بالفعل!!

* * *

صدم لقراءة تلك العبارة، ثم تبعها سماعه لباب شقته يُغلق بعنف! ظنَّ أنه كان قد نسيه مفتوحًا وأنه قد أغلق بسبب الهواء العنيف، ولكن كان ذلك مُجرّد مُبرّر لما حدث، لأنه كان قد أغلقه بالفعل!!

* * *

ابتسم حازم ثم قال بهدوء:

- «لقد كانت دُعاة صغيرة له، أعلم أنه قد تم إيقافه عن العمل بسبب مُحاولة فتح شقة والدي، وشكّه كان في محله، نعم، أنا من دخلت إلى الشقة وأنا من بعثت أثاثها حتى يشكّ بالأمر، وأنا من وضعت الورقة التي حملت اسم (الحنوتي) على الشقة قبل أن أهرب، كانت هناك الكثير من الأوراق التي كُتب عليها نفس العبارة، قمت بتقطيعها إلى قطع صغيرة وإلقائها في سلّة المهملات الموجودة بالشقة، أحد تلك الأوراق قمت بقطعها إلى قطع من السهل أن تُجمّع مرّة أخرى، وأنا مُتأكد أنه سيجمعها».

- «وما رغبتك في فعل كلّ هذا؟»

- «أريده أن يجدني، سألعب معه قليلًا، هه».

- «حازم، إنك تخالف أوامر رئيس المنظمة، وأنا لا أعلم ماذا سيقرّر فيما بعد جرّاء فعلتك هذه!»

- «دعنا الآن من رئيس المنظمة، لا تخف، سأجعله يصل إليّ حينما أريد أنا، مع كلّ ضحيّة سأبعث بجزء من الخيط الذي سيوصله إليّ، ولكنه لن يصل إليّ إلا بذكائه، وأنا أريد أن أختبر ذكاءه».

- «حسنًا، حازم، أقرأت ما كتبت عن آخر ضحيّة في جريدة (...)?»

- «بالطبع».

- «وما ردّك؟»

- «سأخبرك بما قد قرّرت أن أفعله بعد أن أنفد».

- «لا تتهور».

نظر حازم إلى السيّد عمرو نظرة مفادها أن لا يُحاول أن يجعله يعود عمّا قد قرّر أن يفعله، لا بُدّ أن حازم قد جُنّ، فهو قد تحالف مع الجاني الحقيقيّ ضدّ من كان قد يُساعده في يوم ما!

* * *

في نفس الوقت كان ثروت قد ترك سامح بعد أن سقط مغشيًا عليه، إلى أن استيقظ الآن، استمرّ بعدها ثروت في الضحك بطريقة جعلت سامح يُطلق سبّة بذيئة من فمه ليتحدّث قائلاً:

- «ما بك؟ كنت أنت السبب في هذا؟»

- «السبب في ماذا؟»

- «ما حدث منذ ساعات، الظلّ!!»

- «ولو كنت أنا السبب، فلماذا كنت سأصعق حينما أراه أيّها الغبيّ؟»

- «يبدو أن سلّطة عابد وصلت إلى هنا أيضًا».

ضحك الاثنان وهمّ سامح بالذهاب لولا أن ثروت قال:

- «الجزء المشوّق حقًا في القصة، هو القادم».

- «قصة موت الرّجل، أليس كذلك؟»

- «لا تتعجّل، ستعلم كل شيء في وقته».

خرج سامح من المقابر وهو ما زال يسبّ ثروت والأخير ما زال يضحك عليه بسبب تصرفاته.

* * *

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثامنة صباحًا.
في مقرّ جريدة (...)، كانت وفاء تجلس أمام صديقتها سلمى بشغف، تتحدّث معها
عن المقالة الأخيرة:
- «لقد تباينت ردود الفعل عن مقالتي الأخيرة، إلا أن كلّها اشتركت في أنك مُبدعة
حقًا».

نظرت سلمى إلى الأعلى مُتظاهرة بالتكبر وهي تقول:
- «أعلم أنني هكذا دائمًا».

ضحك الاثنان ثم تحدّثت وفاء قائلة:

- «ما سرّ اختيارك لذلك الاسم (سَلَام الميّت) الذي وضعته أسفل المقالة؟»
- «هه، أعجبك أليس كذلك؟ سَلَام هو اسم جدّي الأكبر، أما الميّت فهي صفته، لأنه
قد مات مُنذ أكثر من قرنين، غير أنني وضعته ليلفت الأنظار ليس أكثر».
في هذه اللّحظة دخل ساعي الجريدة مُمسكًا برسالة وجدها في صندوق بريد
الجريدة، لقد كانت بلا أختام ولا طوابع، إذن، أحدهم هو من وضعها داخل
الصندوق ولم تُرسل بشكلٍ رسميٍّ.
- «أستاذة سلمى، لقد وصلت تلك الرسالة إليك».
أمسكت سلمى بالظرف، كان مكتوبًا عليه: «يُوصَل إلى (سَلَام الميّت)»، كان ظرفًا
أسودًا، كُتب عليه بخطّ أبيض كبير: «هام جدًّا»، فضّته ثم أمسكت بالرسالة لتجد
مُحتواها جملة واحدة بخطّ أحمر باهت كبير.

* * *

كارثة (الحانوتي) ستصل إليك شخصيًا إذا وجدت منك الاستمرار على هذا النهج!!

* * *

قرأت سلمى الرسالة وهي ترتعش، العبارة كانت كفيلة أن جعلت جميع أطرافها
أصبحت باردة جدًّا، ما هذا؟ لقد فقدت سلمى وعيها!!

* * *

بعد ساعات كانت سلمى تستلقي في سريرها وبجانبها وفاء صديقتها، نسيّت أن

=====

أخبرك أمرًا مهمًا وهو أن سلمى قد تركت شقة السيِّدة دلال جارتها واستأجرت شقة صغيرة نسبيًّا تقع في مكان مُجاور لمقرِّ الجريدة!؛ استيقظت سلمى ونظرت إلى وفاء وهي شاردة الذهن.

- «ما بكِ يا سلمى؟ صحفِيَّة في باب الحوادث تكتب في أهم قضايا تجارة الأعضاء تخاف هكذا؟»

- «لا أدري يا وفاء، ولكنني تذكرت والدي فجأة».

* * *

هناك نافذة داخل غرفة القتل مكسورة، يبدو أن القتل حاول الهروب من القاتل ولكن الأخير تمكن منه في صالة الشقة وقام بذبحه، ملابسه مُلطَّخة بالدماء، رأسه مفصول عن جسده!!

* * *

- «رحمه الله يا سلمى، ولكن ماذا ستفعلي إذن؟»

- «سأكمل، رغم أنف ذلك الجاني، ولن يُهمَّني».

- «سلمى، أنتِ تخاطري بحياتكِ، ابتعدي عن هذا الموضوع من فضلك».

- «لقد بدأت، ويجب عليَّ أن أكمل، وفاء، أعطني هاتفِي من فضلك!»

أخذت سلمى هاتفها وبحثت في الأرقام إلى أن وصلت إلى رقم الضابط كامل.

* * *

رنَّ هاتفه، أمسك به وقام بالردِّ قائلاً:

- «مرحبًا أستاذة سلمى».

- «حضرة الضابط كامل، أريدك في أمر هام، هل يُمكنك أن تُقابلني في مقهى (...)?»

- «حسنًا».

نزل كامل وكريم صديقه الذي أصرَّ على مُرافقته، بعد نصف ساعة كانوا جميعًا على

طاولة واحدة في ذلك المقهى، بدأت سلمى في الحديث قائلة:

- «أسفة، لن أستطيع الحديث هكذا».

تنحنح كريم ثم قال:

- «أستاذة سلمى، أنا ضابط مثله، نحن الاثنان نعمل في نفس القضية مُنذ البداية».

=====

- «حسنًا، لقد وصلتني اليوم رسالة تهديد».
- أخرجت سلمى الظرف من حقيبتها وأعطته لكامل، طالع ما فيه ثم تحدّث قائلاً:
- «لقد استطاع أن يصل إلى شقتي بالأمس...»
- قصّ كامل ما حدث معه بالأمس ثم تحدث كريم قائلاً:
- «(الحنوتي) ليس سهلاً، إنه يلعب على جميع الأطراف، كما لو أنه يريد أن يجمعنا سوياً».
- تحدّث كامل قائلاً:
- «كريم، هل جمّعت الأوراق التي أعطيتها لك؟»
- «لا، ولكنني كلّفت من يقوم بهذا العمل عوضاً عني».
- «جيد، وأنت يا سلمى حياتك في خطر، يجب أن تتوقفي عن مقالاتك، حينما تصلك رسالة تهديد من أول مقالة تكتبها عن (الحنوتي) فهذا يعني أنك قد شكّلت تهديداً لهم».
- «مُستحيل، هذا عملي ولن أتخلّى عنه، حتى ولو كلّفني الأمر حياتي!!»
- «إذن لماذا اتصلت بي إذن؟»
- صمت الجميع لثوانٍ ثم تحدّث كريم قائلاً:
- «يجب أن نبقى على اتصال ببعضنا، وأنت بالأخصّ يا سلمى عليك أن تتصلي بي إذا لزم الأمر تصرّفًا سريعًا، فكامل قد أحيل للتحقيق وأوقف عن العمل بعد أن دخل شقة والدك».
- «علمت بهذا الأمر».
- «يجب أن ننصرف الآن، كما أن اجتماعنا هكذا سيكون خطر علينا جميعًا، سنتواصل بالهواتف إذا لزم الأمر».
- تبادل سلمى وكريم أرقام هواتفهما، انصرف الجميع، وبعدها بثوانٍ وصلت رسالة إلى شخص ما كان يتابع الحوار من طاولة بعيدة في نفس المقهى على هاتفه، قرأها ثم أرسل ردًا على الرسالة الأولى به كلمة واحدة: «نفذ»!!

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١، الساعة التاسعة صباحًا.

كان أحمد في اجتماع مع السيّد عمرو في مقرّ شركة تصدير الأدوات الطّبيّة، بدأ الأخير قائلاً:

- «أحمد، ستذهب أنت هذه المرّة لتسليم شحنة الأدوات الطّبيّة، لقد كنت قد أسندت الأمر إلى أحد العاملين في الشركة، ولكن يجب أن تظهر أنت الآن، هذه أوامر رئيس المنظّمة».

- «وما علاقة رئيس المنظّمة بالشركة سيّد عمرو».

- «تأسيس شركة لتصدير الأدوات الطّبيّة كانت فكرة رئيس المنظّمة، حتى نكون قريبين من المستشفيات، حتى نتمكّن من توزيع الأعضاء بسهولة».

- «حسنًا سيّدي».

خرج أحمد من الشركة قاصدًا السيّارة المحمّلة بالشحنة والتي ستذهب إلى مستشفى (...).

* * *

في نفس الوقت تقريبًا كان سيّد في المشرحة قد انتهى من تشريح إحدى الجُثث التي تصل إليه يوميًا في المشرحة، فطبيعة العمل في مصلحة الطبّ الشرعيّ مليئة بالجُثث، في ذلك الوقت كان سامح قد هاتفه بمكالمة لا داعٍ لها، ليضيّع وقته لا أكثر، أغلق سيّد الهاتف في وجهه سامح ثم ذهب ليكمل عمله، يبدو أن سامح يعشق تقليل الآخرين من كرامته، أو أنه تافه بحق كما يقول الكثيرون ممّن يعملون معه!

* * *

في مقرّ المنظّمة، كان السيّد عمرو يجلس أمام مكتبه ويرى أنه قد وُصّلت رسالة من رئيس المنظّمة، كانت بدايتها بنفس العبارة التي يفهم منها أنها من رئيس المنظّمة.

* * *

الدّماء تُحيط بكم، والجُثث تملأ غرفكم، مهما فعلتم فستصلكم جُثثكم!!

* * *

أخذ السيّد عمرو يقرأ الرسالة والتي كانت تحمل التعليمات الجديدة التي سينفذونها مع الضّحيّة التي تم إرفاق معلومات عنها، وليد، محامٍ في مقتبل العمر، بالضّبط في مثل عمّر حازم.

=====

* * *

انصرفت سلمى من المقهى بعد أن قابلت الضابطين كامل وكريم وفي طريقها إلى مقرّ الجريدة مرة أخرى صدمتها سيارة مُسرعة دون لوحات أرقام، انصرفت السيارة بسرعة دون أن يتمكن من إيقافها أحد، نُقلت على أثر تلك الصدمة إلى مُستشفى مُجاورة.

* * *

وصلت رسالة إلى شخص ما كان يتابع الحوار من طاولة بعيدة في نفس المقهى على هاتفه، قرأها ثم أرسل ردًا على الرسالة الأولى به كلمة واحدة: «نُفذ».

* * *

كان حازم يقف أمام النيل، مُنذ فترة كبيرة لم يشعر بصفاء الذهن هكذا، كان ينظر إلى النيل بشوق وحنين، يريد أن يستردّ حياته السابقة التي كان يعيشها سابقًا، تلك العائلة التي كانت تتكون منه هو وأبوه وأخته، شعر بقبضة قلبه فجأة، لا يدري لماذا، لقد دخل إلى طريق يعلم أنه لن يخرج منه إلا وهو ميت، ولكنها الحقيقة، تلك هي الطريقة الوحيدة التي سيتمكن منها من استرداد كل شيء، شخص مثله يعيش ببساطة، لا علاقة له بتجارة الأعضاء البشرية والضحايا والمقابر، وكلّ تلك الأشياء التي لا تشبهه، لقد كان شخصًا طبيعيًا جدًّا، ولكنه أدرك حقًا صدق المقولة التي قالت: «تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن».

* * *

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١ الساعة العاشرة صباحًا.
كان أحمد قد وصل بشحنة الأدوات الطبيّة التي استلمها إلى المُستشفى التي سيسلمها إليها، دخل إلى مكتب مدير المُستشفى، أنهى الإجراءات سريعًا، خرج ليتفاجأ بفتاة تدخل الطوارئ وهي مغشيّ عليها وتنزف الدماء، سمع المسعفين يقولون بسرعة:
- «لقد صدمتها سيارة».

نظر أطباء الطوارئ للحالة ثم قالوا:

- «يجب أن تدخل إلى العمليات فورًا».

نظر أحمد إلى الحالة، ليتفاجأ أنه يعرفها، نعم، إنها سلمى شقيقة حازم، لا يدري

لَمْ رَقَّ قلبه فجأة حينما رآها، هل لأجل أنها شقيقة صديقه، أم لماذا؟ انتظرها حتى تخرج من العمليات، قبل أن تخرج وصلت إلى المستشفى فتاة في مُقْتَبَل العُمر تقريبًا في مثل عُمر سلمى، إنها صديقتها وفاء، رآها أحمد فعَلِم أنها آتية لصديقتها سلمى، ليتحدّث قائلاً:

- «هل الآنسة سلمى صديقتكِ؟»

ردّت وهي تبكي قائلةً:

- «نعم، إنها صديقتي، لم أتعرف بك.»

- «أنا أحمد، إنها شقيقة صديق لي.»

- «حازم؟! لقد توفي.»

تنحنح أحمد ثم تحدث مُتظاهراً بالجهل بموته:

- «لا إله إلا الله، لم أكن أعلم، رحمة الله عليه.»

ظَلَّ الاثنان يتحدّثان حتى خرج الطبيب قائلاً:

- «لقد خرجت من العمليات، لقد تعرضت لنزيف جرّاء الاصطدام، ولكننا تمكنا من

إيقاف النزيف بفضل الله، لديها كسر في ذراعها الأيسر فقط وعدّة كدمات طفيفة،

ستبقى في العناية المركزة ليومين، ثم سيتم نقلها إلى غرفة عادية، وسيكتب لها على

خروج في خلال أيام بعدها حسب الحالة.»

ردّ أحمد قائلاً:

- «شكراً لك يا دكتور.»

قالت وفاء مسرعة:

- «متى سنتمكّن من الدّخول إليها؟»

- «الزيارة ستكون في السّابعة مساءً.»

انصرف الطبيب، ثم استأذن أحمد للانصراف، لا يدري ماذا يفعل، هل يخبر حازم

أم ماذا.

* * *

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١ الساعة السادسة مساءً.

طلب أحمد من حازم أن يلقاه في مقهى (...)، وبعد مرور دقائق كان قد وصل حازم

ليبدأ الأخير قائلاً:

- «ما بك؟ لماذا طلبت مني أن آتي، أنت تعلم أنني لا أود أن أقابل أحد».
- «سلمى».

اتسعت عينا حازم، ثم حدّق بأحمد قائلاً:

- «ما بها؟»

- «لقد أصابها حادث وهي الآن في مُستشفى (...).»

شعر حازم بدوار كاد أن يُسقطه أرضاً، لقد فهم لماذا قُبض قلبه اليوم إذن، رغم كل ما حدث في حياته إلا أنه لم ينسَ أخته يوماً، لم يرها منذ زمن، ولكنها في النهاية أخته، ظلّ صامتاً ثم تحدّث قائلاً:

- «يجب أن أذهب إليها فوراً».

- «حازم، تمهّل، كيف ستذهب إليها وأنت في علم الجميع ميّت».

- «لا يهم هذا، المهم أن أراها».

- «حازم، لقد أخبرت صديقة لها كانت هناك أنني أعرفك، وتظاهرت أنني لا أعلم أنك ميّت، فكيف ستظهر أنت بعد كلّ هذا؟!»

- «ماذا أفعل أنا الآن؟!»

- «سأذهب أنا للقائها وسأخبرك بحالتها، اهدأ الآن!»

- «كيف لي أن أهدأ يا أحمد، إنها شقيقتي، رغم كلّ ما حدث لي فهي لا تزال الوحيدة التي أشفق عليها من عالمنا هذا».

- «لم أعهدك هكذا يا حازم، دائماً ما كنت قوياً، ماذا حدث؟»

- «قوياً؟!»

ضحك حازم بسخرية ثم أكمل قائلاً:

- «القوّة ما هي إلا قناع، قناع للاختباء من الواقع».

- «اهدأ يا صديقي».

- «لا عليك من كلّ هذا، يجب أن تذهب وتراها».

- «حسناً سأذهب، ولكن لا تقم بأيّ تحرّكات عشوائية».

- «حسناً».

انصرف أحمد وهو يتجه إلى المُستشفى.

=====

الفصل الرابع: قبل البداية .

«تلك الفترة التي تسبق البداية، ليست سوى مُقدِّمة لأسوأ ما قد تُواجهه في حياتك، فهي تحتوي على جميع التفاصيل التي إن رتبتهـا جيِّدًا ستحصل على الصّورة كاملة، ولكن المشكلة تكمن في أنك تنجح في ترتيبها بعد فوات الأوان».

لقد وصلنا قُربان الإتيان والظهور، لقد آتينا لك ومنتظر الأمر للظهور بشكلنا الحقيقي

* * *

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١ الساعة السابعة مساءً.

انتهى أحمد وحازم من الحديث على أن يذهب الأول إلى المستشفى لزيارة أخت الأخير بعد أن تعرّضت لذلك الحادث، يبدو أن حازم لم يقتنع بهذا، فلقد حمل قبعته ووضعها على رأسه ثم انطلق بعد ذهاب أحمد بدقائق إلى نفس العنوان قاصداً المستشفى، مهما حدث، ومهما فعل فهو لا يمكنه ذلك، إنها أخته ويجب عليه أن يراها، انطلق حتى وصل إلى المستشفى، دخلها بسرعة ثم سأل عن الغرفة التي بها سلمى الأسيوطي، أرشده موظف الاستقبال إلى مكانها، ذهب هناك بسرعة ليجد أحمد بالداخل، وباب الغرفة كان مفتوحاً، هرولاً سريعاً ثم وقف أمام امرأة كانت في الممر، استطاع أن يرى منها أخته وهي تجلس على السرير، كانت يدها اليسرى مكسورة، دمعت عيناه حزناً على حالها وحاله، فهي ليست بحال أفضل منه، فكلاهما أصبح يتيمًا، ظلّ على هذه الحالة بضع دقائق حتى شعر أن أحمد سيهمّ بالانصراف فانصرف سريعاً ثم خرج من المستشفى.

* * *

في نفس الوقت كان كامل يجلس في منزله وهو يخطّ بعض الخطوط على ورقة بيضاء، كانت عديدًا من الخطوط المبهمة التي لا معنى لها، لا تعبر إلا عن باله المنشغل بنفس القضية، رغم أنه قد خرج من الخدمة، إلا أنه لم يستطع التوقف عن التفكير في الأمر، قطع حبل أفكاره اتصالاً تلقاه من كريم ليبدأ الأخير قائلاً:

- «دون أن أعطيك مقدمات، لديّ ما يهمّك».

- «ماذا حدث يا كريم؟»

- «سلمى».

- «لقد صدمتها سيارة!!»

- «ماذا تقول؟»

- «بعد أن تركناها صدمتها سيّارة وهي الآن في مستشفى (...)، هل أدركت حقًا أننا جميعًا في خطر؟»

- «يجب أن تأتي إلى منزلي حالًا».

أغلق كامل هاتفه دون أن يستمع إلى ردّ منه، ثم أكمل تلك الخطوط المبهمة التي كان يرسمها، وضع بعض الحروف بجانب بعضها والتي كوّنت في النهاية كلمة واحدة، (الحنوتي)!!

* * *

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الحادية عشرة مساءً.

كما هي العادة مساء كل يوم، كان سامح يجلس في غرفة ثروت ينتظر منه أن يعطف عليه ويكمل له بقيّة القصة، مُتلهفًا ببعض الأحداث المُشوِّقة التي وعده ثروت بها، كان الأخير خارج غرفته، ثم دخل بعد دقائق حاملاً في يده مشروباً أحمر اللون، يبدو عليه من مسافة بعيدة أنه شيء غريب، أمّا إذا اقتربت ستُدرك أنه مشروب الشاي، أعلم أنك اعتقدت غير ذلك ولكنني آسف لتخيب آمالك، لا يهم، تحدّث ثروت قائلاً:

- «لماذا أتيت؟»

- «أنت تعلم، إن لم تكمل لي باقي القصة الآن فسأقوم ب...»
قاطعته ثروت قائلاً:

- «ستقوم بلا شيء، في كلّ مرّة تقول نفس العبارة».

ابتسم ثروت ابتسامة ساخرة وهو ينظر إلى سامح الذي يظهر على وجهه ذلك التعبير الأبله الذي إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على أنه شخص تافه بحق، أكمل ثروت قائلاً:

- «سأكمل لك فقط لأنني أريد ذلك، ولكن يجب عليك الانتظار وعدم التلهّف بأن أكمل لك القصة كلها الآن، لأن ما بقي منها أهمّ ممّا قصصناه سابقًا».

* * *

يوم الأربعاء ١ / ٨ / ٢٠١١، الساعة العاشرة مساءً.

كان عابد يجلس كعادته في مكتبه يقرأ في كتاب معيّن، كان ذلك الكتاب يحمل اسم (لطائف العوارف)، كان يقرأ في أحد الفصول ذي العنوان (أسماء الله الحسنی)، كان

مُتعمِّقًا في قراءته، ثم أغلق الكتاب وأخذ يُتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، ولكن يبدو أنه كان يعلمها جيّدًا لأنه قام بتكرارها عدّة مرات ثم انطفأت جميع الأنوار التي تُحيط به فجأة! حتى جاءه صوت من الفراغ يقول له:

- «لقد وصلنا قُربان الإتيان والظهور، لقد أتينا لك وننتظر الأمر للظهور بشكلنا الحقيقي».

- «لكم الأمر، فاضهروا الآن».

ما أن أنهى تلك الجملة حتى تجسّد من الفراغ جسّدًا طويلًا جدًّا، بدأت ملامحه تظهر تدريجيًّا، كان وجهه أقلّ ما يُقال عنه أنه أقبح من أيّ شيء قبيح قد رأيته وقد تراه في حياتك، ومكان عينيه ممسوح تمامًا ولكن في جبهته كان هناك فراغ ما، يبدو أنه يرى منه، كانت أظافر يده طويلة بشكل مزعج يجعلك تقشعرّ، أمّا قدماه فكانت أصابعهما مُتوسّطة الطول، ولكنها ليست كأصابعنا العاديّة، كان جسده ككلّ مليء بالشعر الكثيف جدًّا، انتفض عابد حينما رأى ذلك الشيء، لا يمكنني أن أطلق عليه لقب (رجل) أصلًا، أمّا من خلفه فقد كان هناك الكثير والكثير ممّن هم مثله ولكنهم أقصر في الطول قليلًا، لا تدري أصلًا كيف كانوا يقفون في تلك العُرفة الصغيرة، نظر ذلك الرّجل إلى عابد نظرة مُتفحّصة ثم قال بصوته الأجشّ الغليظ:

- «عليك السلام».

رد عابد سريعًا:

- «عليك السلام».

- «اطلب ما شئت أيّها العابد».

- «السّطة والحماية، أريدهما».

- «هما لك، سلطتك في يُسراك بإذن الله، وحمايتك حولك في كلّ مكان، ولكن بشروط».

- «ما هي؟»

- «القُربان الأكبر، قُربان تحقيق الأمنيات، لقد وصلنا قُربان الإتيان والظهور، وأتيناك وظهرنا لك، عشيرتنا لا تظهر إلا لعظماء الشّأن مثلك».

سكت عابد قليلًا وأخذ يُفكّر في قُربان تحقيق الأمنيات وخطر على باله شيء ما

ولكنه لم يتفوّه بأيّة كلمة ليأتيه الصّوت بعصبية قائلاً:

- «سنحرقك إذا شعرنا أنك لن تُنفذ شروطنا».

وإذا بنار عالية تشتعل في العُرفة وتلتهم كلّ شيء فيها حتى أنها طالت يد عابد نفسه واحترق كفّ يده اليسرى بالكامل، لولا أنه قال بسرعة:

- «لكم طلبكم، لكم طلبكم».

فإذا بالنار تختفي وكأنها لم تكن موجودة، وكل ما حُرق قد عاد سليماً كما كان، إلا كفه الأيسر، فقد ظلّ محروقاً كما هو، فنظر له مُتعبجاً ليأتيه الصوت مرة أخرى:

- «سلطتك في يسراك، أما طلبك فهو لك، كلّ طلباتك مُجابهة، حتى تجلب لنا القُربان الأكبر وبعدها ستملك السّلطة للأبد، سيُرافقك خادم ليلبيّ لك طلباتك، عليك السلام».

أعادها عابد فاختمى الرّجل وكلّ العشيرة إلا أحدهم، فاقترب منه عابد وقبل أن يتفوّه بسؤاله عن اسمه قال له الخادم:

- «أنا خادمك المطيع ميمون، حينما تنادي عليّ أظهر لك بإذن الله وحينما تطلب مني الاختفاء أختمني بإذنه».

أوماً عابد برأسه ثم قال له:

- «اختمني».

اختمني ذلك الخادم وما زال عابد ينظر في أرجاء العُرفة حتى جاءه صوت في أذنه يقول:

- «لا أحد هنا سيّدي إلا أنا وأنت، سيطرق الباب الآن حسين مساعدك».

ما هي إلا ثوانٍ حتى سمع عابد صوت طرقات على غرفته ليدخل حسين قائلاً:

- «كيف حالك، ماذا كنت تفعل؟»

نظر عابد على المكتب ليتفاجأ بعدم وجود الكتاب ليسمع صوت ميمون يقول له:

- «الكتاب أسفل المكتب يا سيّدي».

ردّ عابد قائلاً:

- «لا شيء يا حسين، ولكن السّلطة الكاملة على مشارف الوصول إليّ، إلا أن بعضاً

منها قد أتااني».

سكت عابد ثم أردف قائلاً:

- «اظهر له يا ميمون».

تشكّل الخادم من الفراغ في شكل شابٍّ مُتوسّط العمر وكان يجلس وهو يضع قدمًا فوق الأخرى وينظر إلى عابد بابتسامة ثم أردفها بأن أقفل عينه اليُسرى ثم فتحها بسرعة أي ما نسّميه نحن أنه (عَمَزَ) له، ابتسم عابد بابتسامة لم يفهمها حسين ثم قال:

- «ما رأيك في خادمي الجديد؟»

- «خادم جيّد، هل يمكنك أن تريني أيّا ممّا تستطيع فعله».

ابتسم ميمون ثم اختفى وبعدها بثوانٍ شعر حسين بيد تصفّعه على رقبته، بعد ثوانٍ مرّت سريعاً عاد ميمون بالتشكّل مرّةً أخرى على نفس الشكل في نفس المكان ثم قال:

- «ما رأيك؟»

ضحك حسين كثيراً مُتعباً ممّا حدث ثم قال:

- «خادم لطيف».

* * *

- «هناك شعور غريب ينتابني، لا أعرف سبباً له للآن، أعتقد أنه يمكن تفسيره بشعور للانتقام؟ الرغبة في إنهاء الأمر؟ الهروب من الحقيقة التي كنت سبباً لها من البداية؟ الحقيقة التي بدأتها وكادت لتقضي عليّ، الحقيقة التي قضت عليّ فعلاً ولكن بشكل غير مباشر، الحقيقة التي كانت سبباً في انتهائي للأبد، انتهاء الحقيقة والفكرة، السبب والشخص، الحقيقة المُسمّاة بالحقيقة المرّة!!»

أنهى ذلك الشخص حديثه وأمسك بالسكّين الموجود على المنضدة ومرّ بهبطاً على عنقه ما نتج عنه تطاير سيل من الدماء انفجر في وجهه وملابس الشخص الواقف أمامه، لا يُمكنني أن أنسى تلك الابتسامة الماكرة التي كانت على وجهه قبل أن يقوم بذبح نفسه، ابتسامة لم يفهمها الشخص الآخر، ولكن لا بُدَّ أن ما حدث له بعد ذلك فسّر له سر ابتسامته، فسّر له رغبته في أن يقول له أن كلّ شيء قد انتهى!، وأن الحديث له بقيّة ولكن لا بُدَّ أن يكتشفها بنفسه، هذا إن تبقى له مُتسعٌ من الوقت

لفعل هذا قبل بداية نهايته.

* * *

يوم الأحد ٢٤ / ٤ / ٢٠١١، الساعة الثامنة مساءً.

وصل كريم إلى منزل كامل، طرق الباب، ففتح له كامل وأذن له بالدخول، ثم انطلق بعد ذلك كامل إلى غرفته دون أن يتفوه بكلمة، وكريم يتبعه وعلى وجهه علامات الاستفهام من تصرفات كامل، ولكنها اختفت بعد أن أمسك كامل بالورقة التي كان يخط عليها الخطوط التي كوّنت اسم (الحانوتي) في النهاية وقام بإعطائها لكريم، سريعاً أخرج كريم قلمًا كان في جيبه ثم كتب بجانبها عبارة: «لم يمّت»، أمسك كامل بالورقة ثم نظر لكريم قائلاً:

- «ماذا تقصد؟»

نظر له كريم بنظرة ما فهمها كامل ثم أخرج من جيبه ورقة كُتب عليها: «(الحانوتي) لم يمّت»، كانت الورقة تحتوي على الكثير من اللصقات الشفافة، يبدو أن الورقة كانت مُمزّقة من قبل وقام بتجميعها أحد ما.

* * *

تحدث كامل قائلاً:

- «كريم، هل جمّعت الأوراق التي أعطيتها لك؟»

- «لا، ولكنني كلّفت من يقوم بهذا العمل عوضاً عني.»

- «جيد.»

* * *

ظلّ كامل ينظر إلى الورقة وقال بعد سكوت دام لوهلة:

- «لقد قلّت هذا، أنا متأكد جدًا من أن (الحانوتي) هذا قد دخل الشقة من قبل،

إن فرضنا - جدلاً - أن تلك الصحيفة المدعّوة سلمى هي من وضعت الورقة، فكيف

ستدخل إلى الشقة ومُمزق ورقة مثلها وتضعها في سلّة المهملات؟»

- «أنا أصدقك يا كامل، ولكن نحن نريد دليلاً مادياً لنتمكّن من إلقاء القبض عليه،

وبعدها نحتاج إلى أن نجده أصلاً.»

- «القضية مُعقّدة جدًا يا كريم، ولكن يجب...»

ما كاد يُتِمَّ الكلمة حتى سمع صوت أحد يطرق باب منزله قائلاً: «(بوسطة)»، من المُتعارف في عالم رسائل البريد أن ساعي البريد يظَلُّ واقفاً حتى يتأكد من استلامك للظرف، ولكن كامل مُجَرَّد أن فتح الباب حتى تعجَّب من عدم وجود أحد إلا ظرفاً أسوداً كان بجوار موضع قدميه على الأرض، أمسك به ودخل إلى غرفته حيث يوجد كريم، قام بفتحه وإذا به يجد الآتي:

* * *

من الجيِّد أنك تمكَّنت من قراءة مُحتوى الورقة، فأنا كنت أقصدك حقاً، وكنت أعلم أنك ستتمكن - عاجلاً أم آجلاً - من قراءتها، ولكن يا حضرة الضَّابط كيف ستجديني إذن؟ بإمكانني أن أظهر في حياتك وأتحدث معك وتُصبح صديقي حقاً، ولكنك لن تتمكَّن مع معرفة الحقيقة، حقيقة أنني هو (الханوتي) أبداً، (الханوتي) حولك في كل مكان، عليك أن تعلم أن (الханوتي) شخصية مُستمرة ولن تموت، ثم إنني لا أحتاج لمعرفة كل ما يدور بداخلك الآن لأنني أعرفه حقاً، كل ما تشكُّ به صحيح، ذكرتني، أنا أسف جداً لخروجك من الخدمة، ولكنك من تهوَّرت ولم تستمع لأحد وحاولت الدخول لتلك الشقة التي قُتل بها ذلك المدعوُّ سالم الأسيوطي، يبدو أن نهايتك أصبحت قريبة جداً، لذلك، احترس!!

* * *

انتهى كامل من القراءة ثم ألقى الظرف على سريره وأشار إلى كريم بأنه لا يريد التحدث إلى أحد، ففهم كريم وغادر على الفور.

* * *

يوم الخميس ٢٨ / ٤ / ٢٠١١ الساعة التاسعة صباحاً.
مرت عدَّة أيَّام مُنذ الحادثة التي تعرَّضت لها سلمى، والتي لم يتمَّ التعرُّف على من صدمها بسيَّارته حتى الآن، ولكن لا يُهمُّ، فهي ظنت أنها حادثة عادية ككلِّ الحوادث التي تحدث لأيِّ شخص يسير في الشوارع، ولكنها لم تكن تعلم أنها كانت مقصودة بذلك، لا يُهمُّ ذلك، بعد أن ظلَّت في المُستشفى لعدَّة أيَّام حتى تحسَّنت حالتها، وما أن أخبرها الطَّبيب المُتابع لحالتها أنها تستطيع مُغادرة المُستشفى، غادرت على الفور، وارتدت ملابسها التي أحضرتها لها وفاء صديقتها وانطلقت مُسرعةً إلى مقرِّ

الجريدة مرّة أخرى، وبعد فترة قصيرة كانت سلمى قد وصلت إلى مقرّ الجريدة، وما أن دخلت مكتبها حتى وجدت شابًا في مثل عُمرها أو أكبر تقريبًا يجلس على كرسيّ، شرع في الحديث قائلاً:

- «أستاذة سلمى؟»

- «نعم أنا سلمى، ما الأمر؟»

- «أنا مُحامٍ، لقد كنت صديقًا لياسر زميلك رحمه الله».

- «ياسر».

* * *

- «نحن نحتاج صحفيًا جديدًا يا سلمى ليتولى النشر في تلك القضية، ألم تعلمي أن ياسر الذي كان يتولّى النشر سابقًا فيها قد قُتل؟!»

* * *

- «قبل أن يُقتل بأيّام، طلب مني أن أحتفظ بنسخة من المعلومات التي كان ينشرها، لقد شنّ حملة صحفية قويّة على تلك المنظّمة التي تتاجر بأعضاء البشر، ولكنه لم يكن لديه الوقت الكافي حتى يُكمل، لذا كلّفني بأن آخذ نسخة منها، وأعطيتها لمن سيتولّى النشر من بعده».

- «ولكن، ولكن ما هي تلك المعلومات الخفيّة التي قد يُؤدي نشرها إلى قتله؟»

- «يمكنك أن تطلّعي عليها بنفسك، تلك هي النسخة الوحيدة من تلك المعلومات، وأنا أرى أنكِ الأحقّ بها».

- «وأنت؟»

- «لا بدّ أن تُستكمل التحقيقات في قضية قتل ياسر، سوف أذهب وأدلي بالمعلومات التي أخبرني بها قبل قتله، وعلى كلّ، فتلك المعلومات هي نفسها التي معك الآن».

- «الأمر خطير، لذا عليك أن تأخذ حذرك، نحن في حرب، حرب جميعنا أطراف فيها، وجميعنا مُهدّدون بالقتل في أيّة لحظة».

- «يمكنني أن أحمي نفسي، فقط توخي الحذر في الفترة القادمة، عليّ أن أذهب الآن».

- «لم تعرّفني باسمك».

- «وليد، اسمي وليد!!»

* * *

أخذ السيّد عمرو يقرأ الرّسالة والتي كانت تحمل التعليمات الجديدة التي سينفذونها مع الضّحية التي تم إرفاق معلومات عنها، وليد، محامٍ في مستقبل العمر، بالضّبط في مثل عمّر حازم.

* * *

خرج وليد تاركًا سلمى في حيرة من أمرها، لا تدري هل تُجازف وتكمل ما بدأه ياسر، ولكن ماذا؟ لقد قُتل جرّاء دخوله في تلك الدّائرة، وهي لمقالة واحدة تعرّضت لحادثة كادت تُودي بحياتها، هل تكمل؟ أم تكتفي بهذا وتنسحب؟ لقد كانت في صراع تفكير.

* * *

في نفس الوقت، كان كامل يجلس في غرفته، يُفكّر فيما حوله من أحداث، ماذا حدث؟ لقد أوقف عن العمل، ولكنه قد أخذ القرار من قبل ذلك، لا بدّ أن يصل إلى حلّ في تلك القضية، حتى ولو بشكل غير قانوني، الأمر أكبر من هذا، هناك الكثير من الأبرياء الذين يُقتلوا كلّ يوم، حتى أنه لم يعلم حتى الآن ما العلاقة التي تربط الضّحايا ببعضهم، قاتل مُحترف كـ(الحنوتي) لا يُعقل أن تكون ضحاياه عشوائية، هناك سرٌّ لا بدّ أن يكتشفه، ظلّ في تفكيره هكذا حتى أخذ قلمًا من الجوار وخطّ به على ورقة أمامه العبارة الآتية:

* * *

حلّ القضية في اكتشاف العلاقة بين الضّحايا والقاتل، لقد استخدمنا الطرق القانونية ولم نأخذ منها إلا الإيقاف عن العمل، إذن لِمَ لا نجرب الطّرق غير القانونيّة؟!

* * *

أنهى كلماته وأخذ الورقة وعلّقها على حائط خشبيّ لديه مُمتلئًا بالكثير من الأوراق بنفس الطّريقة.

* * *

يوم الخميس ٢٨ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة الثانية عشرة مساءً.

لم يكن حازم بحالة جيّدة من بعد حادثه أخته، ولكن حالته تحسّنت قليلاً حينما علم أنها خرجت من المُستشفى، كم يجلس دائماً مع نفسه ويُفكّر، متى سيعود إلى حياته الطبيعيّة من جديد؟ وأيّ حياة كانت هذه أصلاً، قطع تفكيره العميق اتصالاً هاتفيّاً من صديقه أحمد ليبدأ الأخير قائلاً:

- «حازم، أريد أن أتحدث معك قليلاً».

- «تفضّل».

- «لن أستطيع قول ما أريده في الهاتف، أريد أن أقابلك».

- «قابليني في مقهى (...) بعد ساعتين».

- «حسنًا».

أغلق حازم المُكالمة وهو يفكّر، ما الأمر الذي قد يجعل أحمد يريد مُقابلته على وجه السّرعة هكذا؟ من الأفضل أن ينتظر حتى حُلُول الموعد ليفهم كلّ شيء.

يوم الخميس ٢٨ / ٤ / ٢٠١١، السّاعة الواحدة مساءً.

كان كريم يجلس على مكتبه وهو يحتسي كوباً من الشاي، كان يُمسك بقلم صغير في يده ويخطّ به بعض الخطوط، لوهلة إن رأيته من بعيد قد تظن أنه يحاول اكتشاف شيء مهم، إلا أنك إذا اقتربت قليلاً لن تجد إلا أنه يرسم وجه أبله ضاحك لا قيمة له، وكلّما رسم جزءاً منه نظر إلى الأعلى بغرور وهو يُردّد: «كم أنا فنان!»، لقد أدركت فعلاً من صاحب ذلك الوجه الأبله، بالطبع هو، لا أدري أصلاً كيف قبلوه في كليّة الشرّطة، ظلّ يُضَيّع وقته هكذا حتى قطع عليه ذلك البله عسكري وهو يقول:

- «حضرة الضّابط كريم، هُناك شخص ينتظرك بالخارج ويريد مقابلتك».

- «من هو؟»

- «هو محام اسمه وليد شرف، أخبرني أنه يريدك في أمر مهمّ بخصوص قضية مقتل ذلك الذي كان اسمه ياسر».

اعتدل كريم بعد أن سمع اسم ياسر وتذكر القضية، وطلب أن يُؤذن له بالدخول، وبعد ثوانٍ مرّت سريعاً كان وليد جالساً أمام كريم، ليبدأ الأوّل قائلاً:

- «مرحبًا حضرة الضابط، لن أضيع وقتك، ولكنني لدي الكثير من المعلومات التي أريد أن أدلي بها بخصوص قضية مقتل ياسر سيف الدين».

- «ما هي تلك المعلومات؟»

- «من الأفضل أن يكون حديثنا رسميًا، حتى لا تُضيع وقتي ووقتك».

تفهم كريم وطلب من العسكري أن يرسل له الكاتب حتى يسجل أقوال وليد ليتمّ ضمّها لملفات القضية.

* * *

في نفس الوقت كان سامح قد قرّر العودة إلى ثروت ليُكمل له تلك القصة التي لا تنتهي، وما لنا غيرها، نعم، إنها قصة صاحب تلك التربة الملعونة، لم يمرّ الكثير من الوقت بعد ذلك حتى وصل سامح وكان أمام ثروت ليبدأ الأخير في رواية الأحداث سريعًا.

* * *

يوم السبت ٤ / ٨ / ٢٠١٠ الساعة الحادية عشرة مساءً.

كان عابد يجلس مع حسين ليتحاورا في أمر مهمّ، بدأ الأوّل الحديث على وجه السرعة مُوجهًا حديثه للآخر وهو يقول:

- «الآن وبعد أن حصلت على القوّة والحماية، لا بدّ أن آتي بالقرّبان الأكبر حتى أحصل على باقي ما أريده، الطريق الذي طرقت بابه منذ سنين، قاربت على بلوغ نهايته».

ردّ حسين مُتسائلًا:

- «وما هو ذلك القرّبان الأكبر؟»

في تلك اللحظة تشكّل خادم عابد، ذلك الجنّي ميمون من العدم بنفس شكل ذلك الشابّ المعهود، ثم تحدّث قائلاً:

- «القرّبان الأكبر سيدي هو الإتيان بضحيّة واحدة، والتأثير عليها بأيّة طريقة حتى تقوم الضحيّة بقتل تسعة من الأفراد المقربين لها بحجّة الحصول على أمر معيّن تريده الضحيّة، القتل يتم في ظروف معيّنة بتحضير من السيّد عابد».

ردّ عابد قائلاً:

- «وما هي تلك الظروف؟»

- «أولاً، يجب أن يجهل كلّ منهم بأمر كونه أحد الأفراد الذين سيُكملوا القربان الأكبر، ثم يأتي إلى غرفة جلسات الحضور الخاصّة بك سيدي، وهُنا عليك أن تقرأ عليه طلسمًا معيّنًا سأخبرك به وقتها، ومُجرّد قراءتك لذلك الطلسم، سيُسيطر الاهتزاز على المكان، ثم سيختفي ذلك الفرد لمُدّة يومين وبعدها سيظهر لك مرّة أخرى في نفس الغرفة في وقت مُحدّد من الليل، وهُنا يجب عليك تتخلّص من جثته فوراً».

- «وبعد أن يُقتل التسعة ماذا يحدث؟»

- «بالتأكيد سيأتي لك الضحيّة مرّة أخرى، ووقتها ستقتله بنفس الطريقة، مع اختلاف الطلسم المقرّوء عليه فقط، وبعد أن تتمّم عشرة وتنتهي تلك الأشياء، ستظهر لك العشيرة كاملة كما ظهرت لك أوّل مرة ووقتها بتقبّل ذلك القُربان، ستملك القُدرة على تحقيق جميع الأمنيات التي تريدها بمساعدة من العشيرة كلها، وكلّما ازدادت القربانين، ستزداد قوّتك أكثر، وستزداد عهودك مع عشائر الجن».

تحدّث حسين متسائلاً:

- «وماذا إن خالف العهد ولم ينفذ؟»

اختفى ميمون فجأة من مكانه وكأنه لم يكن موجوداً وبعد مرور ثوانٍ اشتعل المنزل كله بالنيران، كانت نيراناً سوداء وكأنها قد أوقد عليها كثيراً حتى تصل لتلك المرحلة، وأتاه صوت من وسط النيران يقول:

- «لقد خالفت العهد الذي بيننا، ذلك العهد الذي أقمته مع عشيرتنا بأكملها، لذا سينتقم منك كلّ أفراد العشيرة، هذا إن بقيت على قيد الحياة بعد ما سأفعله بك الآن!!»

بعد سماع تلك العبارة شعر عابد وكأن أحدهم يحمله بسرعة جدّاً إلى أعلى ثم ألقيه فاصطدم بقوّة بالأرض، وأثناء مُحاولته للهروب تشكّل له من وسط النيران ميمون مرّة أخرى وهو يقول:

- «ليعد كلّ شيء كما كان».

اختفى كلّ شيء، اختفت النيران، اختفى عابد من على الأرض، ليجد نفسه ما زال جالساً في مكانه مع حسين، لا يشعر بأيّ شيء ممّا حدث له سابقاً، ثم تشكّل ميمون

مرّة أخرى بنفس شكل الشاب وقال:

- «هذا جزء ممّا سيحدث إذا خالفت العهد، ما رأيك؟»

ابتسم عابد بخوف وهو يقول:

- «سيتحقق العهد، سيتحقق».

نظر له ميمون وهو يضحك على خوفه الشديد، ثم اختفى مرّة أخرى وهو يقول:

- «أستأذنك بالاختفاء».

ليردّ عليه عابد قائلاً:

- «لك الإذن!»

* * *

يوم الخميس ٢٨ / ٤ / ٢٠١١ الساعة الثانية مساءً.

حسب الموعد المطلوب، التقى أحمد بحازم في المكان المتفق عليه لبدء الأوّل حديثه سريعاً قائلاً:

- «حازم، لقد خرجت شقيقتك من المستشفى اليوم».

- «هذا ما كنت تريدني لأجله؟!»

قالها حازم متعجباً وهو يتأهّب للذهاب ليقاطعه أحمد قائلاً:

- «حازم، حينما تحدثت مع صديقة أختك أخبرتني بشيء مهم بخصوص المقالات التي تصدر عن المنظمة».

- «ماذا تقصد؟»

- «(سلام الميّت) يكون أختك سلمى يا حازم! لحسن الحظّ أنه لم يعلم أحد بهذا حتى الآن، حياة سلمى في خطر يا حازم».

انتفض جسده جراً سماعه لتلك الجملة من أحمد، لم يكن يتوقع أن تكون أخته هي التي تنشر تلك المقالات، إذن، الحادثة التي تعرّضت لها فعلاً كانت مُفتعلة وكانت هي المقصودة، ولكن من يمكن أن يُنفذ ذلك؟ كانت تلك الجملة تشغل باله ويبدو أنه قد علم إجابتها فعلاً فقرّر الذهاب سريعاً!!

* * *

جاءت مكالمة لسامح من السيّد عمرو يطلب منه أن يُقابل وليد على وجه السرعة،

- هاتفه ثم تقابلا بعدها، ليبدأ الأول قائلاً:
- «أستاذ وليد، لقد علمت أنك قدّمت شهادة جديدة في قضية مقتل صديقك ياسر».
- «كيف عرفت ذلك؟»
- «لم أعرفك بنفسي، أنا الرائد سامح الرفاعي من مباحث أمن الدولة، وكنت أودّ أن أعرف منك بعض الأشياء، هذا إذا سمحت طبعاً».
- «بالتأكيد!»
- «هل تقرأ جريدة (...)?»
- «نعم، أنا مُتابع جيّد لها».
- «هل سمعت عن صحفيّ بها يُدعى (سلام)?»
- ردّ وليد بعفويّة:
- «أتقصد أستاذة سلمى؟»
- ابتسم سامح ابتسامة خبيثة ثم أردف قائلاً:
- «نعم، لقد كنت أريد أن أقابلها للحديث في أمر مُهمّ جدّاً».
- «يمكنك أن تقابلها في مقرّ الجريدة، أغلب الأوقات ستجدها هناك».
- «شكراً لك جدّاً، سعدت بلقائك!»
- انصرف وليد، ثم هاتف السيّد عمرو وأخبره بكلّ شيء لينتهي الحوار بقول الأخير:
- «اتفاقنا قيد التنفيذ، حينما أخبرك بالوقت المناسب سنُنفذ».
- * * *
- في مركز الشرطة، بالتحديد داخل مكتب الضابط كريم، كان المشهد كالآتي: يقف ضابط أمامه وهو يقول:
- «لقد عثرنا عليه، حارس العقار الذي كان يسكن به سالم الأسيوطي».
- «أين كان كلّ تلك الفترة؟»
- «لقد كان في الإسكندرية، لقد استدعيناه وها هو يقف بالخارج».
- ردّ كريم بعصبية:
- «وماذا تنتظر، هيا أدخله لي فوراً!!»

وبعد ثوانٍ كان حارس العقار يقف أمام كريم ليبدأ الأخير قائلاً:

- «أين كنت كل تلك الفترة؟»

- «لقد سافرت الإسكندرية مع أسرتي».

- «سافرت ليلة الحادث، شيء جميل، أتعرف أنك إن لم تعترف ستتحمل قضية مقتل سالم الأسيوطي، ولم لا تكون أنت من قتلت كل تلك الضحايا الذين لم نستدل على قاتلهم حتى الآن».

فزع حارس العقار ثم نطق بسرعة:

- «لم أقتله أنا، هناك شيء حدث ليلة الحادث قبل أن أسافر، حوار دار بين الأستاذ سالم وشخص ما لم أكن أعرفه، ولكنني سمعته يقول له يوسف».

- «جيد، اجلس وأخبرني ماذا حدث بالضبط في تلك الليلة!»

هدأ حارس العقار وأخذ يقص على كريم كل ما حدث بالضبط في تلك الليلة المشؤومة.

لقد اقتربت النهاية جدًّا، ليست نهايتي، بل نهايتهم هم، نهاية كل شيء قد بدأ، أو ما كنت أظنها النهاية، يبدو أن للأحداث رأي آخر في تحديد نهايتها، ولكنها حتمًا ستظل مُستمرة كثيرًا.

يوم الخميس ٢٨ / ٤ / ٢٠١١ الساعة السادسة مساءً.

جاءت رسالة إلى أفراد المنظمة ليجتمعوا في هذا الوقت لتلقي التفاصيل عن الضحية الجديدة، ليبدأ السيد عمرو قائلاً:

- «لقد وصلني موعد التنفيذ، غدًا في العاشرة مساءً».

ردّ سامح قائلاً:

- «أرى أن وليد هذا من الأفضل له أن يموت، خاصة بعد ما قاله في التحقيقات».

نظر حازم له بحدة، وكأنه يفكر في شيء ما، فتابع السيد عمرو قائلاً:

- «التنفيذ ككل مرة، لا أريد أي أخطاء».

رد حازم وهو يبتسم بمكر:

- «طبعًا».

- «يمكنكم أن تنصرفوا الآن، لقد هاتفت سيّد لُجْهَز لكم المشرحة، أمّا أنت يا أحمد فستقابل الضّحيّة لتستقطبه».

- «عَلِم سيّد عمرو».

انتهى الاجتماع وانصرف الجميع، فضّل أحمد أن يخرج ويذهب إلى سلمى، لا بُدّ أن يُنبّئها لما قد يحدث، لأنها ليست مُجرّد أخت صديقه المقرب، لقد كانت ستكون في يوم من الأيام زوجته، ولكن دائمًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

يوم الخميس ٢٨ / ٤ / ٢٠١١، الساعة العاشرة مساءً.

كان سيّد يجلس في المشرحة، يتناول كوبًا من الشاي وهو يتحدث في الهاتف إلى أحدهم قائلاً:

- «نعم، غداً في العاشرة مساءً».

- «جيدٌ أنني أخذت منه ما كنت أريده قبل التنفيذ، حسنًا، اذهب أنت».

أغلق ذلك الشّخص المكالمة وهو ينظر لأعلى ويفكر، ثم انصرف من حيث كان، أمّا سيّد فأكمل كوب الشاي الخاصّ به وهو يقول:

- «إنه حقًا محظوظ».

في نفس الوقت كان سامح يجلس أمام ثروت، كان كلاهما ينظر للآخر نظرة غريبة، الأوّل يُريد الأخير أن يقصّ عليه بقية القصة، والأخير ينظر للأوّل نظرة، يمكنك أن تسميها نظرة سخرية أو يمكنك أن تطلق عليها أيّ اسم، ظلّ كلّ منهما صامتًا إلى أن تحدث الأوّل قائلاً:

- «سنظّل نُضيّع الوقت هكذا؟ ألا تريد أن تبدأ شيئًا جيّدًا؟!»

- «أنا أفصّل ذلك أيضًا، أين توقفنا في المرّة السابقة؟»

- «حينما تجسّد له ميمون وأخبره بما قد يحدث له إذا خالف العهد».

- «جيدٌ».

يوم الأحد ٥ / ٨ / ٢٠١٠ الساعة الحادية عشرة صباحًا.

جلس عابد يفكر فيما سمعه من خادمه ميمون، هل حقًا ستنتصر قواه ويتمكن من إكمال القربان الأكبر؟ أم سيفشل وسيعجز عن ذلك، ولكن، بالنسبة لما قد سمعه من ميمون أنه لا توجد لديهم كلمة الفشل، وأنه لو فشل سيري عذابًا أبدية لا هروب منه، إذن فهو التنفيذ، لم يكمل جملته حتى سمع حسين يتحدث مع شخص بالخارج ثم سمح له بالدخول، ليتحدث ذلك الشخص قائلاً:

- «شيخ عابد، أريدك في أمر مهم جدًا، ولكن يجب أن لا يعلم أحد بمجيئي لك مطلقًا».

- «لا عليك، ما الأمر؟»

- «أريد المال، أريد أي وسيلة أفعلها للحصول على المال».

- «هل أنت جاد في هذا الأمر؟»

- «وإن لم أكن، فلم قد جئت إليك؟»

- «ستحصل على ما تريده من أموال، ولكن».

- «ولكن ماذا؟»

- «ولكن يجب عليك أن تنفذ كل ما سأطلبه منك، الأمر ليس سهلاً».

- «وأنا رهن التنفيذ، أخبرني بالتفاصيل».

- «يجب أن تستقطب تسعة أشخاص بالطريقة التي سأخبرك بها حتى تحصل على ما تريد».

- «ولم ذلك؟»

- «يجب أن تقدم قربانا لعشيرة الجن التي ستساعدك!»

- «وأنا جاهز للتنفيذ».

- «أولاً عليك أن تتأكد من جهل كل ضحية للحقيقة، أخبرهم بأنك تريد منهم أن يذهبوا برفقتك إليّ لأساعدك في القضاء على عمل سُفليّ قد أنشئ لك، قل لهم أي شيء غير الحقيقة طبعًا».

- «وبعد ذلك؟»

- «بعد يومين، ستأتي بكلّ منهم على حدى، ثم ستقرأ عليهم طلسمًا مُعيّنًا سأعطيه

لك وقتها، وبعد أن تنتهي من فعل ذلك ستأتي لي، ووقتها ستحصل على كل المال الذي تريده».

- «حقاً؟»

- «بالطبع، ولكن أهم شيء هو السريّة، حتى تستطيع استقطاب الضحايا!»

- «حسنًا، شكرًا لك يا شيخ عابد، إن حصلت على المال، لك هديّة قيّمة مني، لا تنسى أني ذو مكانة مهمّة في المنطقة هنا!»
- «أنفهم ذلك».

انصرف الرّجل من منزل الشيخ عابد، والأخير على وجهه ابتسامة مأكرة وهو يهمس:
- «غبيّ، حقًا غبيّ!»

* * *

يوم السّبت ٣٠ / ٤ / ٢٠١١، الساعة العاشرة صباحًا.

في مقرّ الجريدة التي تعمل بها سلمى، وصلت مبكرًا لتجد أحمد في انتظارها هناك، ليبدأ الأخير سريعاً:

- «أستاذة سلمى!»

- «أهلاً يا أحمد تفضّل بالجلوس».

- «ليس هناك وقت، سلمى، لقد جئت لك اليوم لأنك شقيقة صديقي المُقرّب رحمه الله، ولكن الأمر لا يحتمل».

- «ما الأمر، تحدّث يا أحمد».

- «حياتك بخطر يا سلمى».

- «ماذا؟!»

- «الحادثة التي تعرضتي لها منذ عدة أيّام ليست صدفة، كنتِ المقصودة بذلك!»

- «كيف عرفت ذلك؟»

- «لا وقت لأشرح لك، يجب أن تتوقفي عن الكتابة في القضية، سيقتلونك يا سلمى!!»

- «ماذا تقول؟ وكيف عرفت هذا أصلاً؟»

- «لا وقت، ولكن يجب أن تستمعي لحديثي، توقفي من فضلك!»

- «اعذريني يا أحمد، لن أستمع لنصائح أحد هذه المرّة، لقد خضت التجربة وأنا لست

=====

على استعداد أن أنازل عن كل ما وصلت إليه، لم يعد الأمر ذا أهمية لديّ مُطلقًا، أقصد حياتي».

- «تأكدي أنني أردت مصلحتك، ولكن إن كان هكذا، فيجب عليك أن تحذري ممن حولك، والأيام ستثبت لك صدق حديثي».

أنهى كلماته سريعًا وهو يجفف قطرات العرق من على جبينه ثم استأذن وانصرف، لم يكن يستطيع أن يوضح لها أكثر من ذلك، ماذا سيقول؟ سيقول أنه يعمل مع المنظمة التي قتلت والدها؟ سيقول أن شقيقها ما زال على قيد الحياة وهو من يقتل الضحايا، أي شيء يمكن أن يُقال في هذا الموقف؟ الأمر حقًا صعب!

* * *

يوم السبت ٣٠ / ٤ / ٢٠١١ الساعة التاسعة مساءً.

اجتمع الجميع في المشرحة بعد التنفيذ، انتهت عملية قتل وليد بالطريقة المرجوة، تم سلخ الجثة وذبحها، تم سرقة الأعضاء كالعادة، وفي النهاية، وُضعت صورة شخصية لوليد بجانب الجثة عليها تاريخ اليوم وُكتب في الجانب الآخر للصورة الآتي:

* * *

حقًا أنا أشفق عليك، لا أدري لِمَ تبذل كل هذا الجهد في سبيل الوصول إليّ، مُشكلتك أنك لم تدرك حتى الآن أن الحل بجانبك وأنت لا تريد أن تنظر إليه، لا أدري أَجهلُ منك هذا أم ماذا؟ ولكنك في كل مرة، تثبت لي أنك حقًا غبيّ!، استمرّ على هذا، فالنهاية قد اقتربت.

* * *

انتهى الجميع من أداء مهامهم ثم جلسوا يتحدثون سويًا، ليبدأ حازم مُتناولًا أطراف الحديث بقوله:

- «أتدرون أنه لو فكّر للحظة، سيعلم أن حلّ القضية حقًا بجانبه وهو حتى الآن لا يريد أن ينظر إليه، أو أن يشكّ حتى!»

نظر له أحمد بتعجب ثم سأل:

- «ماذا تقصد؟»

- «إن كان يُفكّر ولو لحظة واحدة، فسيدرك أن كل شيء حوله مُدبّر، كل ما حدث

له أنا كنت السبب فيه، ودائمًا أعطيه الخيط الذي يسير فيه ليكتشف الحقيقة، وهو يفضل أن يسير على العكس، لا أدري هل هذا غباء بالوراثة صراحة أم ماذا». ردّ سيّد قائلاً:

- «وهل تريده أن يصل إلينا يا حازم؟ هكذا ستقضي علينا وينتهي كل شيء». -
- «ليس بهذه الطريقة يا سيّد، ولكن يمكنني أن أقول لك أنني أريده أن يصل إلينا بطريقتي، وحينما يصل لن يجد إلا سرابًا، ذلك السراب الذي سيكتشف أنه سار في الطريق المؤدّي إليه دون جدوى، وقتها سيكون قد خسر كل شيء بالطبع، وظيفته، مكانته، كل شيء يملكه». -
نظر سامح إليه ثم قال:

- «وما النتيجة من كل ذلك، لِمَ لا نقتله ونتخلّص منه حتى نُنهي كل شيء؟» -
- «ستبقى غيبًا يا سامح دائمًا، ولكني لا يمكنني أن أوضح لك الآن لِمَ لا يمكننا قتله، سأترك الأيام تُبيّن لك السبب». -
لم يكن حازم يريد التحدّث أكثر من هذا، رغم أنه كان يكره الجلوس معهم جميعًا، إلا أن ذلك الحديث كان لا بُدّ أن يتمّ في يوم من الأيام، لينهيه قائلاً:
- «سامح، لقد أخبرتك أين تضع الجثة، وأنت يا أحمد أخبر السيّد عمرو بالتفاصيل الجديدة، أما بالنسبة لك يا سيّد، فمهمّتك معروفة، ستصلك الجثة مرّة أخرى بعد أن يجدها الشرطة، الآن يجب عليّ الرحيل». -
* * *

في نفس الوقت، كانت سلمى تتحدّث مع صديقتها وفاء التي قد جاءت لمنزلها بعد طلب الأوّل ذلك، لتستكمل سلمى الحديث قائلةً:
- «هذا كلّ شيء قد حدث». -
- «وبعد كلّ هذا يا سلمى هل تريدين الاستمرار، لقد جاءكِ التحذير أكثر من مرّة، ورغم كل ذلك تُصمّمين على المُجازفة؟» -
هنا تحدثت سلمى بغضب قائلةً:
- «المعلومات المُهمّة الموجودة لديّ تُحتمّ عليهم أن لا يفعلوا أيّ شيء معي، لأنهم سيقضون على أنفسهم إن فعلوا هذا!» -

- «أَيَّة معلومات تلك؟! لا يُهَمَّنِي أَيُّ شيء، المهم هو أنتِ، أنتِ تسيرين في طريق شائك وخطر نهايته غير معلومة يا سلمى، وأنا لا أريد أن أفقدك».

لم تستطع الصمود أكثر من هذا فانهارت بالبكاء وهي تقول:

- «وماذا سأستفيد من حياتي؟ أنا فتاة فقدت أباهَا وشقيقها وأمها وكل من وقفوا بجانبها لمرة، ماذا تنتظري مني بعد ذلك؟ تريدني أن أنجح في حياتي أو أبتعد عن المخاطر؟ لن تصدِّقيني إن أخبرتك أنني أزداد رغبة في الاستمرار لأني أريد أن أموت، لقد مللت الحياة يا وفاء، حياتنا ما هي إلا ساحة معركة، وليتها معركة مُتكافئة، إنها حقًا معركة دموية كل من يدخلها يخرج خاسرًا ولا يستفيد أي شيء، مُشكَلتي أنني قد أدخلت في تلك المعركة رغمًا عني، ولم أكن أملك الخيار الذي يُخرجني منها، ما المُفترض عليّ فعله بعد كل ذلك؟»

أخذت وفاء تُهدئ من روعها وهي تقول بعطف:

- «نحن نريدك يا سلمى، كيف لي أن أرى صديقة عُمري تدخل في معركة خطيرة كهذه دون أن أحذرُها، إن لم تكوني في مكانة غالية لديّ لن تجدني معكِ على الإطلاق، ولكنكِ صديقتي، وذلك واجبي عليك، لذا من فضلك يا سلمى، ارجعي عن هذا القرار، ابتعدي عن تلك القضية، لم أطلب منك أن تبتعدي عن صفحة الحوادث، ولكن ابتعدي عن تلك القضية بالذات!»

- «سأفكر في الأمر، ولكن عِديني أن لا تبتعدي عني أبدًا، مهما حدث».

- «أعدكِ».

- «على كلِّ يا وفاء، لا بُدَّ أن تعلّمي أنني مهما فعلت فسأموت، عاجلاً أم آجلاً».

- «سأتقبَّل تلك الجملة فقط لأنك أعطيتيني وعدًا بأن تبتعدي عن ذلك».

- «حسنًا».

أنهت سلمى حديثها مع وفاء وهي تفكر جديًا في الابتعاد عن تلك القضية، ولكن دائماً تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن!

* * *

يوم الأحد ١ / ٥ / ٢٠١١ الساعة الثانية مساءً.

هناك سيارات شرطة كثيرة تُحيط بذلك المكان، الكثير من الضباط يقفون مُكوّنين

دائرة حول شيء ما، ما هذا؟ يبدو أنه كيس بلاستيكي يحتوي على جُث... نعم، يحتوي على جُثة لشخص ما، الجُثة مشوّهة تمامًا، ضباط كثيرون يتحدثون، ليتحدّث أحدهم قائلاً:

- «الجُثة كغيرها من الجثث التي يتم العثور عليها، اسم الضحية: (وليد شرف)!!»
* * *

اجتمع الجميع في المشرحة بعد التنفيذ، انتهت عملية قتل وليد بالطريقة المرجوة، تم سلخ الجُثة وذبحها، تم سرقة الأعضاء كالعادة.
* * *

تم حَمْل الجُثة إلى المشرحة، وأنت الآن في مركز الشرطة حيث تسير الأمور بشكل مُختلف قليلًا، بالتحديد أمام مكتب الضابط كريم، كان يُتابع سير التحقيقات حول القتل الأخير، ويستمع لشهادة الشهود التي تقول:

- «اسمي (...)، أعمل في متجر صغير بجوار المكان الذي عُثِر فيه على الجُثة، وقتي في العمل يبدأ من الساعة التاسعة مساءً وحتى السادسة صباحًا، في الساعة الحادية عشرة مساءً رأيت من بعيد سيارة تقف في مكان ما بجوار المتجر، كان ذلك المكان بعيدًا قليلًا عن المتجر ولكنني أراه، خرج من السيارة شاب في ثلاثينياته من العمر، أخرج من جواره من السيارة ذلك الكيس البلاستيكي الذي عثرت عليه، ثم وضعه على الأرض، وركب السيارة مرّة أخرى وانصرف، تمكّنت من مشاهدة ملامح وجهه قليلًا نظرًا للضوء القريب من ذلك المكان الذي كان مُضاء وقتها، وتمكّنت أيضًا من أخذ بيانات السّيارة، (٣٦١٣٩، ملّاكي القاهرة)»

- «لتذهب سيارّة إلى ذلك المكان، لا بُدّ أن تمرّ أولًا على محطة الوقود التي أعمل بها، كانت سيارة فخمة نوعها (شيفروليه)، أذكر أن صاحبها توجّه ليملاها بالبنزين حينما كان موعد عملي في المحطة في ذلك اليوم، كانت رائحة السيارة غريبة، لا يمكنني أن أسمّيها رائحة جُثث، لقد كانت رائحة مُعطرّ كثيفة، يبدو أنهم وضعوها قبل أن تقترب السيارة من المحطة حتى لا ينكشف أمرهم، كان زجاج السيارة مُظلل، لذا لم أتمكّن من رؤية أحد، ولا حتى قائد السيارة الذي لم يفتح إلا جزءًا صغيرًا جدًّا من الزجاج وطلب مني أن أملأ خزّان السيارة ببنزين ٩٢، ثم أعطاني كثيرًا من المال ولم

يأخذ المُتَبَقِّي له وانصرف سريعاً».

- «هناك الكثير من السيَّارات التي مرَّت في تلك اللَّيلة، أتذكر أنني رأيت واحدة فعلاً بنفس المواصفات التي أخبرتني بها، (شيفروليه، ٣٦١٣٩ مَلَاكِي القاهرة)».

انتهى كريم من الاستماع إلى شهادة الشهود وهو يأمر أحد الضُّباط العاملين معه بالآتي:

- «حصلنا على مواصفات للسيَّارة، وبياناتها، بالإضافة إلى مواصفات ضئيلة لمن وضع الجُثة، ماذا ننتظر إذن؟ لتقبضوا عليه فوراً».

انتهى كريم من حديثه، حتى وجد العسكريَّ الخاصَّ به يطلب الدَّخول وهو يقول:

- «سيادة الضَّابط، رئيس المباحث يطلب حضورك فوراً».

خرج كريم مُسرِعاً وبعد ثوانٍ كان أمام رئيس المباحث الذي بدأ الحديث سريعاً وهو يقول:

- «كريم، من المُتعارف عليه أنك صديق الضَّابط كامل».

- «نعم سيّدي».

- «لتخبره أن يعود إلى العمل، نحن بحاجة إليه الآن، وأنت لن تستطيع أن تعمل في هذه القضية وحدك، الأمر صعب جداً».

- «عَلِم سيّدي، سأخبره على الفور».

خرج كريم وهو يتجه إلى منزل كامل الذي استقبله بفتور كعادته مُنذ أن أوقف عن العمل ليبدأ الأوَّل حديثه قائلاً:

- «ألا تريد أن تعرف سبب مجيئي؟»

- «بالطَّبع لن تخبرني بمحتوى الصَّورة التي عثرتم عليها مع الجُثة، لأنني توصلت بنسخة منها اليوم بنفس الطَّريقة».

- «لا أتحدَّث عن ذلك، رئيس المباحث طلب أن تعود إلى عملك من جديد».

اعتدل كامل في جلسته وهو يقول بلهفة:

- «ماذا؟»

- «ما سمعته كان صحيحاً، لتستردَّ عملك من الآن يا حضرة الضَّابط».

- «ولكن ما السرُّ في هذا التغيير؟»

- «يقول أن القضية في حاجة إليك، وخاصة أن الرسائل التي تُترك خلف صور الضحايا جميعًا موجهة إليك شخصيًا».

لم ينتهِ كريم من جملته حتى سمع كامل طرقات مُتزنّة على الباب، فذهب ليفتحه ليجده ظرفًا أسودًا كالعادة، فضّه ليجد الآتي:

* * *

هنيئًا لك العودة إلى عملك، أرايتُ أني قد أسديتُ إليك معروفًا؟! هذا ما كنت أريده من البداية، القضية بحاجة إليك يا حضرة الضابط، أتمنى أن تستغلّ تلك الفرصة ولا تُكرّر نفس الأخطاء السابقة، فأنت أصبحت على مقربة جدًّا من الحقيقة.

* * *

أنهى القراءة وهو لا يدري ما سرّ هذه الكلمات، دائمًا ما تجعله تلك الكلمات يُفكّر في أن يسير في طريق ما، ولكن هل سيفعل ذلك فعلاً؟! ظلّ في شروده هكذا حتى تحدّث كريم قائلاً:

- «هل ستظلّ صامتًا هكذا كثيرًا؟»

- «وماذا تريدني أن أفعل؟»

- «لو أنني مثلك، سأذهب الآن لمباشرة عملي».

- «هل ترى ذلك؟»

- «بالطبع!»

لم يظهر على وجه كامل الاقتناع، ولكنه جهّز نفسه ليعود للعمل مرّة أخرى، ولم يُحدّد وقتًا لذهابه، فضّل أن يترك الأمر سرًّا لنفسه فقط!

* * *

كان سامح يجلس مع ثروت ويدور حديثهما عن التربة الملعونة، ليتحدّث الأول قائلاً:

- «ومتى ستنتهي تلك القصة؟ لقد قاربنا على الشهر وأنت لم تُنتهها بعد».

- «وماذا ستستفيد إن أخبرتك بالقصة كلها مرّة واحدة، أنا أعمل على عنصر التشويق يا غبي».

- «حقًا؟ يبدو أنك تخاف على مصلحتي جدًّا».

- «دعنا من هذا الهراء، إن كنت تريد أن تكمل فاستمع!»
- «حسنًا».

اعتدل ثروت في جلسته وهو يقول:
- «يبدو أن أحداث القصة قد أعجبتك بالفعل، أتعلم أنني أفكر في سردها بأسلوبي
وإنزالها في المكتبات؟»
أطلق سامح سبةً بذئنة من فمه، فتفهم ثروت لغضبه وبدأ في إكمال القصة.
* * *

يوم الإثنين ٦ / ٨ / ٢٠٠١، الساعة الرابعة مساءً.
كان عابد يجلس في منزله، أو مكتبه، كما تريد أن تطلق عليه، يقوم ببعض الأشياء
الغريبة التي لا علاقة لنا بها الآن، حتى دخل عليه ذلك الرجل الذي أتى له آخر مرة،
أذكرونه؟ أدخله مُساعد عابد إلى الدّاخل ثم أغلق عليهما الباب وانصرف، ليتحدّث
الرجل قائلاً:

- «لقد استطعت جلب أول ضحية».
- «جيد، وهل أخبرته بالتفاصيل المهمة التي أخبرتك بها؟»
- «نعم، لقد كان غيبًا ولم يهتمّ بتفاصيل الأمر».
ابتسم عابد ابتسامة مأكرة وكأنه يودّ أن يقول: «أعتقد أنه هو الغبيّ وليس أنت؟»،
ثم تابع قائلاً:
- «حسنًا، تناول تلك الورقة، يكفي أن تجلب لي كلّ ضحيةً واحدًا تلو الآخر حينما
أخبرك، وبعد أن أنهى ذلك احضر لي أنت مرةً أخرى، ولكن عليك أن تتحرّى السريّة
أن لا يعلم أحد سبب مجيئك إليّ مطلقًا، لأنك ستأتي إليّ كثيرًا في الفترة المقبلة».
- «حسنًا».

- «لقد اقترب ما تريد تحقيقه، اقترب جدًّا».
استأذن الرجل وانصرف تاركًا عابد وهو ما زال يُردّد: «غبيّ».
* * *

يوم الأحد ١ / ٥ / ٢٠١١، الساعة السادسة مساءً.
شاعت من مصادر الصحفيّة سلمى الأخبار عن جريمة القتل الجديدة، ولید، حقًا إنها

في خطر، ولكن قتله لم يزلها إلا استماتة في الإكمال، فعلى الفور كتبت المقالة التي ستصدر في الطبعة المسائية لعدد الجريدة اليومي، والتي ما إن تداولت أخبار تلك المقالة في أرجاء الجريدة عن ما تحويه من كلمات يمكنك أن تسميها حقائق عن تلك المنظمة، حتى جاءت وفاء صديقتها إليه لتتحدث معها قائلة:

- «يبدو حقاً أنك ستتوقفي، ما الذي قمتي بكتابته هذا؟»

- «وفاء!، من فضلك، تجاهلي وعودي لك بالأمس، لن أتوقف، بعد كل ما حدث هذا، فأنا لن أتوقف أبداً».

- «لقد قُتل وليد يا سلمى وليس مُستبعداً أن تكوني أنتِ التالية!!»
ردت سلمى بعصبية قائلة:

- «لا يهمني، كل ما يجب أن تعلميه أني لن أتوقف، لن أتوقف ولن تتوقف مقالاتي إلا عندما أموت، هل تعلمي هذا؟!»

ما أن أنهت عبارتها، حتى انصرفت وهي غاضبة تاركة لها المكان كله.
* * *

لم يحدّد كامل موعداً لذهابه للعمل مرة أخرى، لأنه فضّل أن يذهب في الليل، حتى يتمكن من الجلوس بهدوء ليتمكن من ترتيب أفكاره وتصرفاته التي يجب أن يفعلها منذ اللحظة الحالية، فعلى الفور دخل إلى مكتبه وجلس على أريكة موجودة هناك بجانب النافذة ثم أمسك بظرف كان على المكتب، أخبره كريم أنه قد جهّز له كلّ التحقيقات السابقة، أخذ يقرأ فيها بهدوء وهو يمسك بيده الأخرى بقلم ويخطّ على ورقة أمامه النقاط المهمة التي سيسير عليها بعد ذلك، ظلّ في هذه الحالة قرابة الساعة ثم أمسك بقلمه وخطّ عبارة واحدة في نهاية الورقة تبعها أن طوى الورقة ووضعها في جيبه وانصرف.

* * *

يوم الأحد ١ / ٥ / ٢٠١١ الساعة الحادية عشرة مساءً.
التقى السيّد عمرو بسامح في أحد الأماكن المهجورة، يبدو أنه يريد أن لا يسمعه أحد فاختار ذلك المكان، ظلّ سامح منصتاً لسكوته، حتى بدأ السيّد عمرو قائلاً:
- «لقد طلبتني يا سيّد عمرو، ما المشكلة؟»

=====

- «أنت تعلم أنني أحتاجك دائماً في تنفيذ المهام الخارجة عن إطار عمل المنظمة».
- «بالطبع، ولكن ما الأمر؟»
- «أتعرف الصحيفة التي تكتب عن المنظمة؟»
- «سلمى؟»
- «نعم هي».
- «اقتلها!!»
- «ماذا؟»
- «طلبت منك أن تقتلها، هل سمعت شيئاً مختلفاً عن الذي قلته؟!»
- «نعم ولكن...»
- قاطعته السيّد عمرو بحدة قائلاً:
- «اقتلها أو سأقوم أنا بقتلك!!»
- أخرج السيّد عمرو من جيبه مُسدّساً ثم صوّبه تجاه سامح وهو كان قد جهّزه للإطلاق مباشرة ثم قال:
- «ما رأيك؟ لك حُرّية الاختيار».
- «حسنًا، حسنًا، سأقتلها».
- ألقي السيّد عمرو المُسدّس أمام سامح وهو يقول:
- «التنفيذ سيكون في الغد، الثالثة صباحًا، أي رسميًا يوم الثلاثاء ٣ / ٥».
- «وكيف سأصل إلى شقتها في ذلك الوقت؟»
- «كما وصلت إلى شقة أبيها بنفس الطريقة أيّها الغبيّ، هي لا تعود إلا في العاشرة تقريبًا، يمكنك أن تنتظرها بالدّاخل».
- «حسنًا، وبعد أن أنفذ؟»
- «تخلّص من المُسدّس على الفور واختبئ، لا أريد أن أراك إلا حينما أطلب منك ذلك، أظنّ حقًا أن شقيقها حازم لن يريد أن يراك بعد كلّ ما فعلته».
- «ولكن لماذا تطلب مني هذا؟»
- «أنت لا تملك حُرّية طرح الأسئلة، ولكني سأجيبك، الأوّل، لأن مقالاتها أصبحت تشكّل خطرًا كبيرًا علينا، أما الآخر، أن شقيقها هذا أصبح يقوم بالكثير من التصرفات

دون أخذ رأيي، لقد نسي أنني المسؤول هنا!»

- «ولكن هكذا قد ينقلب علينا».

- «هذا ما أريده، أنا أصلاً أريد أن أتخلص منه، وحين وقت القيام بذلك!»

- «عَلِمَ سيدي، سيتم التنفيذ حسب تعليماتك».

- «سأصل إليك حينما أريدك، ولكن لا تُسافر، لأنني سأحتاجك مرةً أخرى بعد عدة أيام».

- «حسنًا».

أنهى سامح حوارهِ مع السيّد عمرو مُستأذناً ثم انصرف تاركاً إيّاه يقف مُتأملاً ذلك المكان الموحش.

* * *

في مثل هذا الوقت كان حازم يقف في شرفة مليئة بالأتربة، لا يمكنكَ الجزم بكميّة الأتربة المُتواجدة بها، ولكنها كثيرة جداً، كانت هناك الكثير من الأفكار التي تدور في خاطره حول مُستقبله المجهول، ذلك المُستقبل الذي اختفت معاملهُ مُنذُ أوّل لحظة بعد مقتل والده، لم يكن يعلم أن ذلك المُستقبل قد كُتبت أوّل فصول نهايته في نفس اللحظة التي يقف فيها الآن.

* * *

يوم الثلاثاء ٣ / ٥ / ٢٠١١، السّاعة الثالثة صباحاً.

صوت السّكون يملأ المكان، لم يكن هناك ما يدعوها للاستيقاظ في مثل هذا الوقت، ورغم ذلك كانت تتحرك باتجاه غرفتها من صالة المنزل، شبح الظلام يُسيطر على الغرفة، ما هذا؟ يبدو أن شبح الظلام لم يكن وحده هو المُسيطر على الغرفة، فقد ظهر من وسط الظلام من يُمسك مُسدّساً به كاتم للصوت، ثم رفعه ببطء ناحيتها، يُصوّب، انطلقت الرّصاصة باتجاه قلبها فانفجر جسدها دمًا، لقد قُتلت سلمى وعلى وجهها علامات الدهشة! أخفى المُسدّس وانصرف من حيث أتى.

* * *

يوم الثلاثاء ٣ / ٥ / ٢٠١١، السّاعة الرّابعة مساءً.

سيّارات الشّرطة تُحيط بالمكان، الكثير من الضّبّاط يملؤون الشارع، وعلى السّلم

المُؤدِّي لشقة سلمى كان الكثير من الأشخاص يقفون، من بينهم يمكنك أن ترى وفاء وهي تجلس في أحد الأركان الموجودة بجوار باب الشقة، أمّا بالداخل، ضباط المعمل الجنائيّ موجودين ومن بينهم يقف كريم ليُتابع ما يحدث، كلّ شيء سليم في الشقة سوى تلك المنطقة الموجودة أمام باب غرفتها التي أصبحت بركة كبيرة من الدماء، تم رفع البصمات، وُجد بجوار الباب فارغ طليقة مُسدّس، تم التحقّق على الجُثة لحين إجراء تقرير الطبّ الشرعيّ لاكتشاف المزيد من المعلومات حول عمليّة القتل، انتهى كريم ممّا كان يفعله ثم اتجه إلى مكتبه في مركز الشرطة، مُجرّد دخوله وجد صديقه كامل ينتظره هناك، ليبدأ الأخير قائلاً:

- «ما بوجهك عليه تلك التعبيرات الغامضة؟»

- «سلمى!»

- «ما بها؟»

- «لقد قُتلت!!»

- «كيف؟ متى حدث ذلك؟!»

- «لقد أخذوا الجُثة لاستخراج تقرير الطبّ الشرعيّ حول القتل، الأمر كبير جدّاً يا كامل، تلك المنظّمة لا تُريد إلاّ خراباً».

- «وماذا بخصوص الشّهود؟»

- «تم جمعهم وسيتمّ عرضهم عليّ الآن».

- «إذن ماذا تنتظر؟ هيّا!»

طلب كريم أن يُدخل إليه الشهود واحداً تلو الآخر، لم تكن شهاداتهم مُجدية سوى شهادة حارس العقار، لقد كانت مُفيدة بعض الشيء.

- «اسمي (...)، أنا حارس العقار الذي كانت تسكن فيه أستاذة سلمى يرحمها الله، من المُعتاد أنها دائماً وحيدة، أقصد أنه لا يتوجّه أحد لزيارتها سوى إحدى صديقاتها والتي علمتُ أن اسمها وفاء، أمّا بالأمس، فقد جاء أحدهم لزيارتها، شخص لم أره من قبل، لم يطيل ونزل مُسرّعاً فوراً».

اعتدل كامل ثم سأله قائلاً:

- «هل يمكنك أن تصف لي شكله؟»

أخذ حارس العقار في وصف ذلك الشَّخص لهم، وما لبث أن انتهى حتى قال كريم سريعا:

- «لقد سمعت تلك الموصافات من قبل، يوسف!!»

* * *

فزع حارس العقار ثم نطق بِسُرعة:

- «لم أقتله أنا، هُناك شيء حدث ليلة الحادث قبل أن أسافر، حوار دار بين الأستاذ سالم وشخص ما لم أكن أعرفه، ولكنني سمعته يقول له يوسف».

- «جيد، اجلس وأخبرني ماذا حدث بالضبط في تلك الليلة!»

هدأ حارس العقار وأخذ يقصُّ على كريم كلَّ ما حدث بالضبط في تلك الليلة المشؤومة.

* * *

ردَّ كامل قائلاً:

- «ولماذا لم تقبضوا عليه حينها؟ يجب إلقاء القبض عليه فوراً!!»

- «لقد كانت عمليَّات البحث عنه مُستمرةً ولكننا لم نعثر عليه».

- «ألم تعطوا جميع أقسام الشرطة تلك الصَّورة التي رسمها الرَّسام بالموصافات التي أخبركم بها حارس العقار الآخر؟»

- «نعم».

لم يلبث كريم أن انتهى من تلك الكلمة حتى جاء صوت أحد الضبَّاط في جهازه اللا سلكيَّ يقول:

- «حضرة الضَّابط كريم لقد تمَّ العثور على يوسف في أحد الكمائن المؤدَّية للإسكندرية وها هو الآن في طريقه بسيَّارة الشرطة إلى المركز!»

تأهَّب الاثنان بعد سماع تلك العبارة، وأخذ كلُّ منهما يُجهِّز نفسه لاستقبال ذلك المُشتبه فيه، في نفس الوقت الذي قال فيه كامل:

- «أنا في مكنتي، حينما يصل، أخبرهم أن يُحضروه إلي!»

خرج كامل بينما أكمل كريم استجواب حارس العقار الذي قال له:

- «قبلها بعدة ساعات رأيت رجلاً آخر يصعد بحجَّة أنه قد آتى لإصلاح عُطب في شقة

أحد السكّان، وسألني عن رقم شقة الأستاذة سلمى». - «صفه لي الآن».

أخذ حارس العقار يصف ذلك الرجل الآخر، ليتفاجأ كريم أن نفس هذه الأوصاف هي التي قد وصفها الشهود الذين رأوا حادث مقتل وليد!!

في نفس الوقت تقريبًا كان سامح يجلس أمام السيّد عمرو في مكتبه حتى نطق الأول قائلاً:

- «لقد تمّ كل شيء حسب توجيهاتك سيّدي».

- «جيد، الآن لا أريدك أن تظهر حتى أمرك بذلك».

- «علم سيّدي».

انصرف سامح سريعًا بينما كان السيّد عمرو يُردّد:

- «كل ما أريده سوف يبدأ الآن!»

يوم الثلاثاء ٣ / ٥ / ٢٠١١ الساعة الخامسة مساءً.

وصلت سيارة الشرطة التي تحمل يوسف، وسريعًا كان يقف أمام الضابط كامل، والذي كان موجودًا معه كريم أيضًا، ليبدأ كامل حديثه بهُدوء قائلاً:

- «يوسف عادل إبراهيم، مُتخرّج من كلية الحقوق، دفعة السنة الحالية، لِمَ لا تُخبرني لماذا قتلت كلاً من سالم الأسيوطي وسلمى سالم الأسيوطي دون استعمال وسائل العُنف؟»

ردّ يوسف بفزع قائلاً:

- «أقسم لك يا حضرة الضابط أنني لم أقتلهم، سالم الأسيوطي كان أستاذي في الجامعة، فلم أقتله؟»

- «أنا من يجب أن أسألك هذا السؤال وليس أنت، حسنًا، دعك من هذا، أعطني مُبرّرًا واحدًا لزيارتك لسلمى في ذلك الوقت المتأخر من الليل؟»

- «لقد ذهبت لأحذرهما من خطر قد يُصيبها جرّاء مقالاتها».

- «وهل من يريد أن يحذر أحد يذهب إليه في الثالثة صباحًا؟»

- «لم أستطع زيارتها إلا في هذا الوقت».

- «ولماذا؟»

- «لأن حياتي مُهدّدة بالخطر!!»

- «قل كلامك كلّ مرّة واحدة!»

نظر يوسف نظرة خوف إلى كريم ثم تبعها بأن قال:

- «لن أستطيع أن أقول أكثر من هذا».

- «هكذا إذن؟ ما دام هذا هو ردّك فتحمل عواقب تصرّفاتك!!»

نطق كامل تلك العبارة ثم تبعها بأن قام وصفع يوسف صفعة سمعها العسكريّ

فدخل مُسرّعاً ثم حمل يوسف وأخذه إلى الحجز، وبعد ثوانٍ تحدّث كريم قائلاً:

- «لقد استعجلتهم حتى يستخرجوا تقرير الطبّ الشرعيّ لها وأخبروني أنه سيكون

جاهزاً خلال ساعتين».

- «نحن لا نملك الوقت، يجب أن يُستخرج في أسرع وقت ممكن».

- «حسنًا، لا تتعجل هكذا».

نظر له كامل نظرة عصبية ثم أرجع كرسيّه للخلف ووضع قدميه على مكتبه وهو

يزفر بغضب!

* * *

في نفس ذلك الوقت وجد أحمد اتصالاً يأتيه من رقم ما لا يعرفه، قام بالردّ سريعاً

ليسمع الآتي:

- «أحمد!، أنا وفاء صديقة سلمى».

- «مرحباً وفاء، ما الأمر؟»

- «لقد قُتلت سلمى يا أحمد!!»

صُدم أحمد جرّاء سماعه لذلك الخبر، سقط الهاتف من يده وقطرات دمه تتساقط

على وجنتيه من الصدمة، ظلّ على هذا الوضع دقيقتين تقريباً ووفاء ما زالت على

الهاتف حتى رفع يده وقال:

- «متى حدث هذا؟»

- «لقد اكتشفنا الأمر اليوم في الرابعة مساءً، لقد اتصلت عليها مراراً ولم تردّ، ذهبت

إلى شقتها وطرقت الباب ولكنها لم تُجب، استعنت بأحد الجيران ليقوم بكسر باب الشقة، دلفنا إليها فوجدناها غارقة في بحر من دماؤها».

- «وفاء أنا لست قادراً على الحديث الآن، سأتصل بك في وقت آخر!»

أغلق المكالمة ثم سارع بالاتصال على حازم، طلب منه أن يزوره في منزله بسرعة، وبعد وقت قصير كان حازم يقف في شرفة منزل أحمد وهو يبكي بحرقة فور سماعه لحديث صديقه أحمد، ليرد الأخير قائلاً:

- «اهدأ يا حازم، إنه قدرها».

- «قدرها؟! قدرها أن تؤخذ بذنب ليس ذنبها؟»

- «دائماً ما كنت أحذرهما من هذا ولكنها لم تستمع لرأيي!»

- «تحذرهما?!»

- «لقد أخبرتك من قبل أن (سَلَام الميَّت) هو اسم مُستعار لسلمى يا حازم، حتى أنني ذهبت إليها من قبل وحذرتها من الإكمال في هذا الطريق».

كانت الصدمة تُسيطر على حازم، لم يكن يدري ماذا يفعل، فقد فقد أخته، وفقد معها لذة الحياة الأخيرة التي كان يُحاول الحفاظ على وجودها، رغم أنها كانت صورة فقط ليس أكثر، حتى أنه لم يلبث حتى غادر منزل أحمد وهو يهيم على وجهه لا يدري ماذا يفعل، في نفس اللحظة التي تأهّب فيها أحمد للذهاب إلى السيّد عمرو!

* * *

يوم الثلاثاء ٣ / ٥ / ٢٠١١، الساعة السابعة مساءً.

وصل تقرير الطب الشرعيّ إلى مركز الشرطة، أخذ كامل يقرأ التقرير بصوت مسموع فكان كالآتي:

تقرير الطب الشرعيّ للحالة رقم: ٦٤٥ سلمى سالم الأسيوطي، صحفية.

الوقت المُقدّر للوفاة: يوم الثلاثاء ٣ / ٥ / ٢٠١١، الساعة الثالثة صباحاً.

سبب الوفاة: ثُقِب في القلب نتيجة مرور طلقة نارية من مسدّس سمكه ٩ ملم.

كانت المجني عليها تتحرّك باتجاه غرفتها، وما أن رأت الجاني حتى سارع هو بإطلاق النار عليها، كانت طلقة واحدة صوّبها باتجاه القلب، تم إطلاق الطلقة من مسافة خمسة أمتار تقريباً، المسدّس المُستخدم في عمليّة القتل سمكه ٩ ملم، الجاني استخدم

يده اليمنى في إطلاق النار على المجني عليها، جُثّة المجني عليها لم يكن عليها أية بصمات سوى بصماتها فقط، ظَلَّت الجُثّة ١٣ ساعة تقريباً وحتى اكتشاف الجريمة.

أنهى كامل قراءة التقرير ثم ألقاه على المكتب بعد أن أخذ نسخة منه ثم انصرف سريعاً إلى منزله، بينما ظلّ كريم ينظر إلى التقرير بحدّة ثم انصرف هو الآخر، وصل كامل منزله وأمسك بأحد الأوراق المتواجدة بجوار سريره وأخذ يخطّ فيها بعض العبارات والتي كانت أبرزها عبارة واحدة.

لم تصل أية رسالة لي اليوم، هذه الجريمة ليست بطريقة (الحنوتي) ولا بأسلوبه، هنّاك سرّ.

أنهى كتابة العبارة، ثم علّقها بجوار الأوراق الأخرى على الحائط الخشبيّ.

يوم الأربعاء ٤ / ٥ / ٢٠١١، السّاعة الثانية عشرة صباحاً. ظلّ أحمد يسير في الشوارع دون وجهة محدّدة، رغم علمه أنه سيذهب إلى السيّد عمرو، حتى وصل أخيراً إلى مكتبه فبدأ بالحديث قائلاً:

- «هل قتلت سلمى؟»

- «ما بك؟! أيهمك الأمر حقّاً؟»

- «أجبنّي».

- «يبدو أن الأمر يُهمّك جدّاً».

- «نعم، هل قتلتها؟»

- «إن كان هذا ما تريد سماعه، فنعم، أنا من أمرت بقتلها».

- «ومن قتلها؟»

- «سامح! هو من قتلها وقتل والدها».

- «ولمّ ذلك؟»

- «ألا تقرّ الصحف يا أحمد؟ ألا ترى ماذا تكتب عنا كلّ عدد؟»

- «هذا ليس مُبرَّرًا لقتلها».

- «أحمد! انصرف من أمامي الآن، حتى لا تلاقي نفس المصير الذي لاقته تلك الصحفية الغبية!!»

خرج أحمد من مكتب السيّد عمرو لا يدري ماذا يفعل، هل يُخبر حازم بما علمه، أم يتركه هكذا.

* * *

كان حازم يجلس في مكان غريب كعاداته، المُختلف في هذه المرّة أنه كان يبكي، كان يبكي بحرقة، أيّ شخص في مكانه كان سيفعل أكثر من ذلك، شخص فقد جميع عائلته كلّها ولم يتبقّ له أحد في هذه الحياة سوى الجرائم التي يرتكبها إشفاءً لجليله، ولكن يبدو أن أفعاله انقلبت عليه فتسبّبت في مقتل شقيقته، فما العمل إذن؟ لقد تأكّد ممّا كان يُريده، ولم يتبقّ له إلا خيار واحد فقط، الانتقام!!

* * *

الفصل الخامس: البداية .

«البداية هي أول خيار لدينا القُدرة للرجوع فيه، ومع أولى الخطوات نفقد هذه القُدرة، إذن لا بُدَّ أن نعيش الأحداث بجميع تفاصيلها ما دامت البداية منّا، وأيَّ أحداث نعيشها وقد ماتت بداخلنا جميع مُقوّمات الشعور، ولم يتبقَّ منها سوى الرّغبة في الانتقام؟!»

لقد أزعجني وأحدث لرأسي صُداً لا يمكن إسكاته إلا بقتله، رغم أنه كان صامتاً طوال الوقت، لا أدري لماذا لم يُخبرك بكل التفاصيل التي كان يعرفها، والتي كانت تُزعجني شخصياً لذلك قتلته، المهم، من الأفضل أن تسير وراء الخيط الذي أعطاه لك، سيساعدك كثيراً.

يوم السبت ٧ / ٥ / ٢٠١١ الساعة الثالثة صباحاً.

انظر معي إلى هذا المكان المظلم! الظلام يُحيط بالمكان جيداً، لا يُمكنك أن ترى أي شيء، كما لو أنك وضعت يدك على عينيك وأغلقتهم جيداً وأنت داخل غرفة ليس بها أية إضاءة، رائحة تُشبه رائحة الموت! رائحة الموتى بالطّبع بعد تحلّل جُثثهم، لو ظننت مثلي هكذا أودّ أن أخبرك بأنك أخطأت، أنت الآن في غرفة عادية لم تُفتح منذ فترة طويلة، فترة طويلة جداً تقدر بالسنين، أرى أن هناك شخصاً ما يجلس على مقعد صغير، لو دققت النظر في الظلام قد ترى أنه يُمسك بورقة ما في يده، سأتعبك معي، ولكن هل يُمكنك النظر إلى ما في الورقة؟ هذا صعب ولكن يُمكنك فعل هذا، إن لم تتمكّن من ذلك فلا مشكلة، يُمكنني إخبارك بسهولة، يبدو أن هذه الورقة بها بعض الكلمات التي كان قد أخبره بها من قبل شخص آخر، ها هو يتلوها الآن!

انطلق حازم متجه إلى مقرّ المنظمة، تلك المنظمة التي قضت على حياته بأكملها، الأمر ليس إلا خطوة مُتسرّعة أخذتها في حياتك فأودت بحياتك كلّها، لم يكن يملك إلا هذا الخيار، هو والمواجهة كانا وجهان لعملة واحدة، إمّا المواجهة أو الموت، وهو قد اختار المواجهة، وفي قانونه الآن، لا يُعرف للموت معنى!، بعد مدّة، كان حازم يقف أمام السيّد عمرو في حضور أحمد، سامح ومحمود أيضاً، بالإضافة إلى سيّد الطّبع، كانت الغرفة مظلمة، مُحوشة، رائحتها غريبة، رائحة الموت! يُمكنك أن تشعر بكل ذلك فقط لأنك تُكّنّ لهذا المكان كلّ الاحتقار، مكان تافه لا قيمة له، ظل حازم في صراع مع نفسه لثوانٍ حتى بدأ حديثه قائلاً:

- «هل تظنون أنكم سوف تُفعلون بفعلتكم هذه؟ لقد عرفت كلّ شيء».

استدار السيّد عمرو بكرسيّه ليصبح في مواجهة حازم وهو يُصَفّق بيده بهُدوء قائلاً:
- «هنيئاً لك يا حازم، لقد تخلّصت من حازم الخوف وتمكّنت من القضاء عليه، وأوّل إنجازاتك هو محاولة تهديدنا!»

سكت السيّد عمرو برهة، ثم أكمل بعصبيّة:

- «استيقظ يا حازم، أنا من صنعتك! لقد كنت لا شيء، مُجرّد شخص تافه لا قيمة له في هذه الحياة، انظر حولك، كلّ ما تملكه الآن أنا السّبب فيه، أموالك وكلّ ما لديك، لقد كنت مُجرّد مُمرّض غبيّ، لا يفقه شيئاً في هذه الحياة، ومن كلّ تلك التفاهة انتزعتك أنا وصنعت منك شيئاً، شبحاً يهابه الجميع، انظر لذلك اللقب الذي أصبح مُلازماً لك، (الحنوتي)! لقد أصبحت كلّ شيء بعد أن كنت لا شيء!، والآن ترفض ما حدث وتريد أن تنتقم؟!»

- «أنت من كان وما زال لا شيء، أخبرني ماذا فعلت منذ أن تولّيت مسؤولية المُنظمة؟ لا شيء، مُجرّد شخص تافه يتلقّى الأوامر ويطلب تنفيذها، رئيس المُنظمة يُحرّكك بأصبعه وأنت كالدمية تُنفذ أوامره.»

استمرّ الشّجار طويلاً بين الاثنين في ظلّ محاولات عديدة لإيقافه من بقيّة الحاضرين، حتى ثار السيّد عمرو وصفع حازم على وجهه وهو يقول:

- «أحمد، تخلّص من هذا الحُسالة الآن!!»

صُدّم أحمد لهذا الأمر، لم يكن يتوقع أن يقف أمام حازم في مواجهة في مرّة من المرّات، ظلّ صامتاً لثوانٍ حتى أخرج السيّد عمرو مُسدّساً من جيبه وقال:

- «أو أن لديك رأي آخر!!»

قال تلك العبارة ثم غادر الغرفة هو والبقية، لم يتبقّ سوى حازم وأحمد أمام بعضهما، المواجهة المُستحيلة من وجهة نظر أحمد، ظلّ صامتاً حتى تحدّث حازم قائلاً:

- «سُتنفذ الأوامر بالطبع، لأنك مُجرّد دُمية لا قيمة لها.»

- «حازم، الزم حدودك ولا تُثير غضبي، أنا لا أريد أن أوذيك!»

- «بلى تريد، إن كنت فعلاً لا تريد أن تؤذيني، فلم تكن لترضى بأن يُقتل والدي، أتُنكر أنك لم تكن تعرف بهذا؟»

- «أنا حقّاً لم أكن أعلم بمقتله، لقد كان ذلك قراراً للسيّد عمرو أمر به سامح فقط،

ولم يُخبرنا به، فكيف أتحمّل مسؤولية ما لا أعلمه؟»
- «إن كنت تُريد أن تعلم لعلمت، لا تنس أولاً أنك السَّبب في هذا، أليس أنت من حضرت لتضمّني لتلك المُنظمة الحقيرة مُنذ البداية؟!»

* * *

- «حازم، أنت ستجلب لنا ضحايا! ستُحضر لنا بعض المرضى من المُستشفى لديك ليقوموا بالتبرّع بأعضائهم لنا، وستحصل على نسبة مقابل كلّ مُتبرع تجلبه لنا.»

* * *

- «ولأنني رفضت العمل في مهنتكم الحقيرة تلك، ماذا كانت النتيجة؟ قُتل والدي، قُتل من لا ذنب له بسببكم! والآن لن أترككم حتى آخذ حقي منكم واحداً واحداً، جميعكم ستموتون، سأقتلكم جميعاً!!»

ما لبث حازم أن انتهى من تلك العبارة حتى لكمه أحمد لكمة قويّة أطاحت به على الأرض، ثم أخذ يُسدّد إليه اللّكُمات، هُنا وهُنَا، في رأسه وفي بقيّة أجزاء جسده، حاول حازم الوقوف ليطرحه الآخر أرضاً ثم يسدّد إليه الضربات بقدميه، استمرّ على هذه الحالة لمُدّة دقائق حتى خرّ حازم صريعاً، لقد قتل أحمد حازم! أدرك أحمد ما فعله بصديقه فجلس على الأرض وأخذ يبكي، يبكي على الذكريات، ذكريات طفولته مع صديق عمره الذي قتله بيديه الآن، يبكي على كلّ ما حدث، لم يكن صديقه وحده هو الذي فقد كلّ شيء، فقد فقد أحمد كلّ شيء هو الآخر، لقد فقد صديق عمره الذي لم يكن يملك غيره، ظلّ في هذا الصّراع لثوانٍ حتى دخل السيّد عمرو ومعه سامح ومحمود ليقول الأوّل:
- «احملوه وقوموا بدفنه فوراً.»

نطق سيّد قائلاً:

- «ألا نقوم بالتأكّد من موته أولاً قبل الدّفن؟»

- «لا وقت لذلك الآن، نفذوا ما قُلته الآن!!»

انصاع الجميع لقول السيّد عمرو، ونتيجة لذلك قاموا بحمله ووضعوه في سيّارة، وانطلقوا فوراً إلى المقابر، حيث نفس المقابر التي تُدفن فيها الضّحايا، وصلوا سريعاً فاستقبلهم ثروت وهو يبتسم قائلاً:

- «ضحية جديدة؟»

غضب سامح وقال سريعًا:

- «جهّز لنا أيّ تربة فورًا، لا وقت لدينا».

أخرج الجميع جثة حازم من السيارة ليتفاجأ ثروت حينما رآها، حاول إخفاء دهشته من ذلك، وقام بجلب أحد الأكفان المتواجدة لديه، ثم وضعوا حازم بداخلها ثم ألقوا جثته بداخل أحد القبور وانصرفوا، أمسك ثروت بيد سامح مُوجِّهًا إليه الحديث ثم قال:

- «ألن تخبرني ما الأمر؟»

- «حينما ألتقي بك، لن أتمكّن من سرد ذلك الآن».

انصاع ثروت لحديث سامح، ثم انصرف الأخير وما زال الأوّل ينظر لتلك التربة وهو مُتعبّب، في نفس اللحظة التي كانت فيها تلك التربة الملعونة تحترق مُجددًا!!

* * *

يوم السبت ٧ / ٥ / ٢٠١١، الساعة العاشرة صباحًا.

تمرّ الساعات حتى ظهور الصباح، لم يكن لكامل رغبة أخرى سوى في اكتشاف الحقيقة، حقيقة الوصول لـ (الحنوتي)، لا بُدّ أن تنتهي سلسلة الجرائم التي بدأت، ظلّ في هذا الصراع حتى قرّر أن يُنهيهِ في نفس اللحظة التي دخل فيها كريم إلى مكتبه ليقطع عليه هذا الصراع، ليقول:

- «ما بك؟ لِمَ حالتك مُتغيّرة الآن عن كلّ مرة، ليست أوّل جريمة تُرتكب».

- «(الحنوتي)، (الحنوتي) ليس هو القاتل هذه المرّة يا كريم».

- «وما الذي يُؤكّد لك ذلك؟»

- «الأسلوب، طريقة القتل، وما الدافع الذي يجعله يقتل صحفيّة؟»

- «هل نسيت المقالات التي كانت تكتبها عن منظماتهم؟»

- «نعم، ولكن هناك سرّ، هناك سرّ لا بُدّ أن أكتشفه».

- «ما الطريق الذي يجب أن نسير فيه لكشف ذلك إذن؟»

- «هناك شكّ يدور في خاطري الآن، ولكنني سأؤكد منه قريبًا».

همّ كامل بالانصراف فورًا لينطق كريم سريعًا:

- «إلى أين أنت ذاهب؟ انتظر، انتظر، سآتي معك!»
- «اتركني وحدي الآن، حينما أصل لشيء سأخبرك».
خرج كامل وهو يتجه إلى مكان ما، يبدو أن تفكيره قد قاده إلى أوّل الطريق الذي سيسير فيه.

* * *

في نفس ذلك الوقت كان السيّد عمرو يجتمع مع باقي أفراد المُنظّمة، لقد كان الأمر عاجلاً، ذلك الذي جعل السيّد عمرو ينفعل وهو يقول:
- «ما بكم؟ أمقتل فرد حقير في المُنظّمة يجعلكم هكذا».
صمت الجميع حتى تحدّث نادر وهو أحد أفراد المُنظّمة قائلاً:
- «معك حق سيّدي عمرو، يجب أن تتذكّروا أن حازم لم يكن إلا فرداً من المُنظّمة، ومُنظّمتنا لا تتوقف على أحد، أتذكرون كيف بدأت هذه المُنظّمة؟ لم يكن بها حازم ولا غيره، لا وجود للخائنين بيننا!»
التفت إليه سامح قائلاً:
- «هذا هو المفيد، حتى أنت يا نادر، ألا ترى أن دورك أصبح معدوماً منذ أن أتى حازم هذا وانضمّ إلينا».
انفعل نادر وهو يقول:
- «أيّ دور تتحدّث عنه؟ أنا من مؤسّسي هذه المُنظّمة التي تعمل بها الآن، اسأل أيّ أحد كان موجوداً فيها منذ البداية وسيخبرك من هو نادر فوّاز!!»
أخذ أحمد يُحاول تخفيف حدّة الجدل بين سامح ونادر قليلاً، لم يتسع الوقت لتتمكّن من التعرّف على نادر عن قرب، ولكن نادر كان ولا يزال حلقة الوصل بين المُنظّمة في مصر وفرعها الرّئيسيّ في المكسيك، تلك المُنظّمة التي بدأت عملها منذ عهود طويلة، تجارة أعضاء، مواد مُخدّرة، أسلحة، وكلّ شيء قد تتوقعه، صمت الجميع قليلاً ثم تحدّث نادر مُجدّداً:
- «حقاً، لم لا يتوسّع مجال مُنظّمتنا في مصر حتى يشمل بقيّة المجالات التي تعمل بها المُنظّمة الرّئيسية؟»
ردّ السيّد عمرو قائلاً:

- «هل سنأخذ هذا القرار دون مُخاطبة رئيس المنظمة؟»
 - «ما دمتم قد اتفقتم على ذلك، فالأمر قد وصل له، وما علينا إلا انتظار الردّ قريباً». التفت أحمد قائلاً:
 - «ومن سيكون مسؤولاً عن كلّ تلك المجالات الجديدة؟ من أين سنحصل على المخدّرات وصفقات الأسلحة؟ من أين لنا كلّ هذا؟»
 ردّ نادر بهُدوء:
 - «ستعلمون كلّ شيء في الوقت المُحدّد». كان للسيد عمرو الكلمة الأخيرة حيث قال:
 - «جيد ما توصلنا له حتى الآن، أمّا أنتم فكلّ منكم يجب أن يتصرّف بطبيعيّة حتى يأتي لنا الخبر الأكيد، وحين حدوث ذلك سنُخبركم بموعد العمليّة القادمة». انصرف الجميع بينما أخذ السيد عمرو يُحيي نادر قائلاً:
 - «مرحباً بك! لقد طالت غيبتك يا نادر، أين كنت كلّ هذا؟»
 - «لحديثنا بقيّة، لا بُدّ أن تعلم الكثير من الأشياء التي حدثت في فترة غيابي».

في مقرّ الجريدة التي كانت تعمل بها سلمى، كانت صديقتها وفاء تجلس على مكتبها، حيث كانت تضع بعض اللّمسات الأخيرة على مقالاتها الأولى في تلك الصّفحة، صفحة الحوادث! فضّلت أن تُكمل الرّحلة التي بدأتها صديقتها، أنهت كتابة مقالاتها والتي كان جزءاً من مُحتواها.

بداية نهاية أم نهاية بداية؟!
 قد ترى أن محتوى هذه المقالة قد يُثير تفكيرك، أو يقودك إلى الجنون، إلا أن كلّ كلمة فيها ستُحيي بداخلك شعوراً كان مُهملاً، أو بمعنى أصحّ، يُمكننا أن نقول أنه كان ميتاً، مدفوناً بداخلك، لم يكن إلا سراًباً يقودك إلى واقع مُنطفئ الملامح، لا تدري أحقّاً ستعيشه، أم ستبقى دفين ذلك الواقع المُميت للأبد، قد يموت شخصاً وتبقى فكرته حيّة من بعده، وهذا أفضل بكثير من أن تموت الفكرة ويبقى صاحبها على قيد الحياة، لذا فمن الآن، جهّز نفسك للسراب الحقيقي الذي لا بُدّ أن تعيشه، ما

=====

دمت قد اخترت أن تكمل القراءة، لذا لا بُدَّ أن تعلم أن (سَلَام المَيِّت) ما زال حيًّا!!
* * *

- «ما سرَّ اختيارك لذلك الاسم (سَلَام المَيِّت) الذي وضعته أسفل المقالة؟»
- «هه، أعجبك أليس كذلك؟ (سَلَام) هو اسم جدِّي الأكبر، أما المَيِّت فهي صفته، لأنه قد مات مُنذ أكثر من قرنين، غير أنني وضعته ليُلفت الأنظار ليس أكثر».
* * *

على جانب آخر، صُدِم كامل حينما قرأ مُحتوى تلك المقالة، وعلى الفور أخرج هاتفه واتصل بهاتفها، نعم، سلمى، لقد كان يعلم أن صديقتها قد أخذت هاتفها، ظلَّ ينتظر لتردَّ عليه صديقتها وفاء قائلة:
- «مرحبًا سيدي!»

- «ما تلك المقالة المنشورة في الجريدة يا وفاء؟»
- «كما قرأت، إنه الوهم الذي يجب أن يعيشه أفراد المُنظَّمة جميعًا مُنذ الآن».
- «أنتِ تُدخلين نفسك في مغامرة لستِ قادرة على إكمالها يا وفاء!»
- «ولمَ أضيع ما بدأته سلمى؟ يجب أن تظهر الحقيقة كاملةً يا سيّد كامل».
- «وأنا خلفك، إذا حدث أيّ جديد أخبريني به فورًا».
- «عُلم».

- «اهتمّي بنفسك».

- «لم يعد الاهتمام مفيدًا!»

قالت هذه العبارة ثم أغلقت الهاتف بأكمله، فهم كامل مُرادها، ثم عاد على الفور إلى تفكيره السَّابق، أمسك بجميع الأظرف السوداء التي تلقاها من (الханوتي) سابقًا، جميع الصور، جميع الرِّسائل التي أتت إلى منزله، ثم أخذ يقرأ في تلك الرِّسائل واحدةً تلو الأخرى!

* * *

شريف جاد، جثة دون كبد أو كلية، لن تتمكّنوا من العثور على الجاني لأنكم أغبياء!!
* * *

هنيئًا لك، كارثة (الханوتي) وصلت إلى منزلك بالفعل!!

=====

* * *

السر سيكتشفه صديقك، كُن معه!

* * *

(الحنوتي) لم يمِت!!

* * *

من الجيّد أنك تمكّنت من قراءة مُحتوى الورقة، فأنا كنت أقصدك حقًا، وكنت أعلم أنك ستتمكّن - عاجلاً أم آجلاً - من قراءتها، ولكن يا حضرة الضابط كيف ستجديني إذن؟ بإمكانني أن أظهر في حياتك وأتحدّث معك وتُصبح صديقي حقًا، ولكنك لن تتمكّن من معرفة الحقيقة، حقيقة أنني هو (الحنوتي) أبدًا، (الحنوتي) حولك في كلّ مكان، عليك أن تعلم أن (الحنوتي) شخصية مُستمرة ولن تموت، ثم إنني لا أحتاج لمعرفة كلّ ما يدور بداخلك الآن لأنّي أعرفه حقًا، كلّ ما تشكّ به صحيح، ذكّرتني، أنا آسف جدًّا لخروجك من الخدمة، ولكنك من تهوّرت ولم تستمع لأحد وحاولت الدّخول لتلك الشقة التي قُتل بها ذلك المدعوّ سالم الأسيوطي، يبدو أن نهايتك أصبحت قريبة جدًّا، لذلك، احتس!!

* * *

حقًا أنا أشفق عليك، لا أدري لِمَ تبذل كلّ هذا الجهد في سبيل الوصول إليّ، مُشكلتك أنك لم تُدرك حتى الآن أن الحلّ بجانبك وأنت لا تُريد أن تنظر إليه، لا أدري أَجهلُ منك هذا أم ماذا؟ ولكنك في كلّ مرّة، تثبت لي أنك حقًا غبيّ!، استمرّ على هذا، فالنهاية قد اقتربت.

* * *

هنيئًا لك العودة إلى عملك، رأيت أيّ قد أسديت إليك معروفًا؟! هذا ما كنت أريده من البداية، القضية بحاجة إليك يا حضرة الضابط، أتمنى أن تستغلّ تلك الفرصة ولا تُكرّر نفس الأخطاء السابقة، فأنت أصبحت على مقربة جدًّا من الحقيقة.

* * *

أخذ يقرأ في ذلك المُحتوى المليء بالكثير من علامات الاستفهام، هناك الكثير من الأشياء المجهولة التي يجب عليه اكتشافها، حتى يتمكن من السير في حلّ تلك

=====

القضية، شعر أن هناك شيء ما قد وصل لتفكيره فاتجه بنظره إلى ذلك الحائط الخشبي الذي كان يحتوي على الآتي:

* * *

حلّ القضية في اكتشاف العلاقة بين الضحايا والقاتل، لقد استخدمنا الطرق القانونية ولم نأخذ منها إلا الإيقاف عن العمل، إذن لم لا نُجرب الطرق غير القانونية؟! *

لم تصل أية رسالة لي اليوم، هذه الجريمة ليست بطريقة (الحانوتي) ولا بأسلوبه، هناك سرّ.

* * *

أخذ ينظر من حوله ويقرأ من جديد، مرة وراء أخرى، اتسعت عيناه من الدهشة، كيف لم يفكر في السير في ذلك الاتجاه من التفكير؟ حقًا، لقد وصل إلى الحلّ فعلاً، تأهب ثم حمل بعض أشياءه وانصرف فورًا.

* * *

يوم السبت ٧ / ٥ / ٢٠١١ الساعة الثانية عشرة مساءً.
قرّر سامح أن يخفف من حدة التوتر الذي يعاني منه منذ قتل حازم، فذهب إلى ثروت الذي أسرع باستقباله بحفاوة على غير العادة مُحييًّا إياه قائلاً:

- «مرحبًا بمن لم يُخبرني بشيء».

- «ما بك يا ثروت؟»

- «لقد قلت لي أنك ستُخبرني بقصة ذلك الشخص الذي دفنتموه بالأمس».

- «أحد الخائنين الذين كانوا يعملون في المنظمة، تخلصنا منه!»

- «ولم حدث ذلك؟»

- «ثار لأننا قتلنا شقيقته، تلك الصحيفة التي تكتب عنا!»

تظاهر ثروت بعدم الفهم ثم قال:

- «أنت تعلم أنني لا أتابع الصحف».

- «هل سنظل نتحدّث هكذا ونُضيع الوقت، أشكّ أنك نسيت أن هناك قصة مُعلّقة يجب عليك أن تكملها».

- «لم أنسَ، حسنًا تابع، لقد قاربنا على الوصول إلى منطقة التشويق».
- «سأسبِّك! أتعلم أنك قلت لي هذه العبارة أكثر من خمسين مرّة؟!»
- «وماذا أفعل، القصة جميعها مُشوَّقة أصلًا!»
- «كفاك مضيعة للوقت وهيا أكمل».

اعتدل ثروت وهو يبدأ بسرد بقية القصة لسامح، في نفس الوقت الذي كان هناك ظل أسود يمرّ خلف سامح، لم يلحظه إلا ثروت فابتسم ثم قال:

- «لقد حضر».

- «ماذا تقصد؟»

- «لا شيء لا شيء، تابع معي».

* * *

يوم الثلاثاء ٧ / ٨ / ٢٠٠١، الساعة الثالثة صباحًا.

حضر ذلك الرّجل الذي كان قد أتى إلى عابد مرّة أخرى من جديد، لم يكن بمفرده هذه المرّة، بل كان معه رجل آخر، يبدو على وجهه التأهّب لدخول مثل هذا المكان، لقد كان المكان غريبًا عليه بعض الشيء، فهو لم يتعوّد على الذهاب لمثل تلك المنازل، منازل الشيوخ، أو ما كانوا يُطلقون عليهم اسم العارفين بالله، حتى هذه أيضًا كانت كذبة، فهم لا يعلمون عن الله سوى اسمه فقط، لقد كانت أعمالهم بعيدة كلّ البعد عن طريق الله، أخذ ذلك الرّجل يستكشف المكان ببطء وهو يُقدم قدمًا ويؤخر الأخرى، حتى لم يكن من الرّجل الذي أتى به إلى هنا إلا أن قام بدفعه حتى يسير، ليظهر لهم عابد ويتحدث بصوته الأجش ويقول:

- «مرحبًا بطالبي القرب!»

فزع الرّجلان من دخوله المفاجئ والذي سرعان ما تحوّلت طريقة حديثه إلى الطبيعي وهو يقول:

- «لا تخافا، أتيتما في الموعد المحدّد، تفضّلا!»

دخل الاثنان إلى غرفة عابد الخاصّة، والتي كان مكتوب عليها (غرفة جلسات الحضور)، ثم جلسا على مكتبه الخاصّ، كان ذلك الرّجل الجديد ينظر إلى كلّ شيء حوله بتعجّب، وكأنه يُحاول استكشاف ومعرفة مُحتويات تلك الغرفة، حتى تعلّق

نظره بقلادة كان منظرها غريبًا، كان عابد يُعَلِّقها على الحائط المُقابل له، بالتحديد أعلى مدخل باب العُرْفَة، إن أردت أن أصفها لك فلا مانع، لقد كانت قلادة مُختلفة في الشكل، لا يُمكنني أن أطلق عليها قلادة ذهبية، فاللون الذهبي فيها لم يكن خالصًا، كان عليها طبقة من لون غريب، لا تستطيع أن تُميّز ماهيّته من بعيد، أما إذا اقتربت وحاولت لمسها، ستجد أن ملمسها كملمس جلد البشر! في الحقيقة، كانت تلك الطبقة الموجودة على القلادة جزءًا من جلد بشريّ، أو بالأحرى عدّة قطع منه، أي أنها ليست من جلد شخص واحد! ابتسم عابد حينما رأى من الرّجل مدى تعلّقه بمحاولة تفسير شكل هذه القلادة فتحدّث قائلاً:

- «ما تبادر إلى ذهنك كان صحيحًا، إنه جلد بشريّ حقًا».

دُهِش الرّجل حينما سمع هذا، ولكنه سرعان ما قال:

- «كيف حصلت عليها؟ ومن أين؟»

- «من العهد الذي أتممته مع عشيرة الخدّام التي تساعدني، أحد هؤلاء الخدّام يقف خلفك الآن!!»

فزع الرّجل حينما سمع تلك العبارة، والذي سرعان ما التفت خلفه، حتى تعلّق نظره بأحد الأشياء الموجودة والتي كانت تتحرّك بمفردها، فردّ عابد قائلاً:

- «إنه يُحاول أن يثبت وجوده لتتأكّد من صدق حديثي فقط».

- «حسنًا، دعنا ندخل في المُفيد».

- «لقد أتيت اليوم برفقة صديقك حتى نخلّصه من ذلك العمل السفليّ؟»

قال عابد تلك العبارة ثم نظر إلى الرّجل الآخر، والذي كان قد اتفق معه بخصوص استقطاب الصّحايا، فردّ قائلاً:

- «نعم».

- «هل نفذت المطلوب؟»

- «نعم».

- «حسنًا، لا تخف، سينتهي كلّ شيء بسرعة».

أنهى عابد عبارته ثم قام واستدار حتى كان في مواجهة ذلك الرّجل وقال له:

- «انظر هناك، دقق النظر في القلادة!»

أخذ الرَّجُل يدقق النظر في القلادة، في نفس الوقت الذي أمسك فيه عابد برأس ذلك الرَّجُل وهو ينظر إلى القلادة ويُرَدِّد بعض الكلمات الغريبة، بالطَّبْع من قبل أن تعرفها فقد كانت ذلك الطلسم المُتَّفِق عليه مع خادم العشيرة الذي جاء إلى عابد من قبل، ظل يُكْرِر في الطلسم ويعيدده مرارًا وتكرارًا حتى اهتزت الغُرْفَة بأكملها، وتساعد دخان كثيف لا يمكنك أن تُحدِّد مصدره، طغى على الرُّؤْيَة في الغُرْفَة بأكملها، ظلَّ المشهد هكذا لثوانٍ حتى اختفى الدخان ووضحت الرُّؤْيَة وظهرت الغُرْفَة مرَّةً أخرى، ولكن، أين الرَّجُل؟! كان نظر عابد ما زال مُعلَّقًا بالقلادة الموجودة على الحائط، والتي لو دققت النظر فيها مرَّةً أخرى، ستشعر أن هُناك طبقة ما تتكوَّن عليها، لقد كانت طبقة جلد بشريٍّ أخرى، ثم بقطرات دم أسود كانت تتساقط من القلادة على الحائط، تكوَّنت العبارة التالية:

* * *

تمَّت المرحلة الأولى.

* * *

اندهش الرَّجُل حينما رأى ذلك المشهد أمامه، فسُرَّعان ما تحدَّث مُوجِّهًا حديث لعابد قائلاً:

- «أين ذهب؟»

- «ألم أخبرك بكلِّ تلك الأشياء من قبل، لقد قمت بتقديمه قُربانا للعشيرة».

- «هل أحضر التالي غدًا؟»

- «لا، عليك أن تنتظر يومين، حتى تظهر جثته مرَّةً أخرى وأتخلص منها، وقتها يمكنك إحضار التالي».

- «حسنًا».

- «كلَّما أحضرت الصَّحايا، وكلَّما اكتمل القُربان بِسرعة، كلَّما حصلت على مال أكثر!»

أغرى عابد الرَّجُل بكثرة حديثه عن المال، فتفهَّم الرَّجُل وقرَّر الذهاب، وما أن رحل ذلك الرَّجُل حتى ظلَّ عابد ينظر إلى القلادة وهو يقول:

- «قريبًا، سيكتمل قريبًا!»

* * *

- «هذا ما حدث إلى الآن».
- «تتفنن في اقتطاع الأحداث وزيادة رغبتى في استكمال استماعها!»
- ضحك ثروت ثم أكمل قائلاً:
- «حظك دائماً يجعلنى أفعل ذلك فى المناطق الأكثر تشويقاً».
- «تقول ذلك دائماً، على الرحيل الآن».
- «على الرحب والسعة».
- انصرف سامح بينما كان ثروت مُنشغلاً بالنظر على ذلك الظل الذى كان يذهب يميناً ويساراً طوال فترة سرده للقصة ثم نظر له وقال:
- «انتهى».

* * *

- يوم السبت ٧ / ٥ / ٢٠١١ الساعة الخامسة مساءً.
- كان كريم يجلس فى مكتبه، لا أدري أهو حقاً يحاول كشف غموض قضية مقتل سلمى أم أنه يؤدّي دوره فقط حتى يُقال أنه قد أدّاه، ظلّ يُحاول البحث عن أيّ مخرج، أيّ خيط يسير وراءه ولكنه فشل، استدار بكبرسيّه ناحية الحائط ثم أغلق عينيه قليلاً وظلّ فى شروود تام، ما لبث أن دخل فى هذه الحالة حتى فاجأه هاتفه باتصال من رقم ما، ردّ على الفور حينما رأى ذلك الرقم ليسمع الآتي:
- «هل هناك جديد؟»
- «لا جديد يذكر، جميع الأمور على ما هي عليه، ولكن يبدو أنه يُفكّر فى شيء لم يخبرني به».
- «حسنًا، سأتولّى أمر كلّ هذا، أكمل ما اتفقنا عليه».
- «حسنًا».
- انتهت المكالمة سريعاً بينما ظلّ كريم يُفكّر فى ما سمعه من قبل، ماذا يريد منه هذا الشخص حقاً؟! ظلّ فى شرووده هكذا حتى طلب من العسكريّ الواقف خلف الباب أن يجلب له يوسف من الحجز، وبعد دقائق كان يوسف يقف أمامه، ليبدأ الأوّل قائلاً:
- «كيف حالك اليوم؟»

- «سَيِّدِي، أَنَا لَا أَعْرِفُ لِمَ أَنَا مُحْتَجَزٌ حَتَّى الْآنَ!»
- «أَلَا تَعْرِفُ أَنَّكَ مُتَّهَمٌ فِي جَرِيمَتِي قَتْلِ، لَيْسَ وَاحِدَةً حَتَّى، بَلِ اثْنَيْنِ، اثْنَيْنِ!!»
- «أَقْسَمُ لَكَ بِأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ أَيَّ مِنْهُمَا».
- «لَا يُهْمَنِي كُلُّ هَذَا، سَنَرَى مَاذَا سَتُخْبِرُنَا التَّحْقِيقَاتُ بِخُصُوصِ ذَلِكَ!»
- «وَلَكِنْ سَيِّدِي، أَنَا حَقًّا لَمْ أَقْتُلْهُمَا، لَقَدْ زَرْتُ سَلْمَى الْأَسْيُوطِي؛ لِأَحْذَرُهَا مِنْ خَطَرِ كِتَابَةِ تِلْكَ الْمَقَالَاتِ، كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَحْذَرُهَا، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ فَاتَ».
- «يَا يُوسُفُ، قُلْ كَلَامًا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُصَدِّقَهُ، لَقَدْ تَمَّتِ الْجَرِيمَةُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي رَأَى فِيهِ حَارِسُ الْعَقَارِ تَخْرُجَ مُسْرِعًا مِنَ الْعِمَارَةِ الَّتِي تَسْكُنُ بِهَا سَلْمَى، أَعْطَانِي مُبَرَّرًا وَاحِدًا يَجْعَلُنِي أَصْدَقَ».
- لَمْ يَلْبَثْ يُوسُفُ أَنْ يَرُدَّ حَتَّى وَجَدَ الضَّابِطَ كَامِلَ يَدْخُلُ مُسْرِعًا إِلَى مَكْتَبِ الضَّابِطِ كَرِيمٍ ثُمَّ قَالَ:
- «لَا مُبَرَّرَاتٍ تُقَالُ، يَا يُوسُفُ، تَكَلِّمْ، قُلْ أَيَّ شَيْءٍ، سَتُحَالُ لِلْنِّيَابَةِ فِي الْغَدِ وَمِنْهَا إِلَى الْمَحْكَمَةِ، سَيُحْكَمُوا عَلَيْكَ بِالْإِعْدَامِ أَيُّهَا الْغَبِيُّ!!»
- «لَيْسَ لَدَيَّ شَيْءٌ لِأَقُولَهُ».
- جَلَسَ كَامِلٌ عَلَى الْكَرْسِيِّ بَيْنَمَا كَانَ يُوسُفُ يَضَعُ إِمْضَاؤَهُ عَلَى أَقْوَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْعَسْكَرِيُّ وَأَعَادَهُ مِنْ حَيْثُ أَتَى، لِيَتَحَدَّثَ كَرِيمٌ سَرِيعًا:
- «وَمَاذَا سَنَفْعَلُ إِذْنُ؟ هُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ».
- «سَنَسِيرُ وَفَقِ الْإِجْرَاءَاتِ الْقَانُونِيَّةِ وَنَسْتَكْمِلُ الْبَحْثَ، كَمَا أَنَّنَا سَنَقُومُ بِعَمَلِ عَرْضِ مَرَّةٍ أُخْرَى لِمَنْ هُمْ مُحْتَجَزِينَ لَدَيْنَا عَلَى حَارِسِ الْعَقَارِ وَالشُّهُودِ، لَنَرَى هَلْ سَيَتَعَرَّفُونَ عَلَى يُوسُفَ أَمْ لَا».
- «جَيِّدٌ، الْآنَ أَخْبِرْنِي، هَلْ وَصَلْتَ لِأَيِّ شَيْءٍ جَدِيدٍ؟»
- «لِلْأَسَفِ لَا».
- «كَامِلُ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَرِيحَ، أَلَا تَرَى كَيْفَ أَصْبَحَ وَجْهَكَ شَاخِبَ اللَّوْنِ؟»
- «مَنْ هُمْ فِي مِثْلِ وَظِيفَتِنَا لَا يَسْتَرِيحُونَ يَا كَرِيمُ، سَأُظَلُّ هَكَذَا حَتَّى أَتِمَّكَ مِنْ حَلِّ الْقَضَايَا».
- «أَتَمْنَى أَنْ تَتَوَقَّفَ الْجَرَائِمُ السَّابِقَةُ، لَقَدْ مَلَلْتُ مِنْ تَوَالِي الْقَضَايَا الْغَامِضَةِ!»

- «القاتل ليس هو، إذن قد تتوقف وقد لا، ليس علينا إلا الانتظار، لنعرف ماذا سَتُخَبِّئُ لنا الأيَّامُ المُقْبِلَة».

- «حقًّا هذا هو الخيار الوحيد».

* * *

في نفس الوقت تقريبًا، كان نادر يجلس مع السيّد عمرو في مقرّ المنظّمة، يمكننا القول أنه كان اجتماعًا مُغلَقًا بينهما فقط، أخذ نادر يشعل سيجارة من تلك العلبة الموجودة في جيبه، ثم أخذ دخانها يتصاعد في الهواء ليبدأ بعدها في الحديث قائلاً:

- «طال غيابي، حتى ظن الأغبياء أن دوري قد انتهى!»

- «ومن يستطيع أن يقول هذا يا نادر، لا عليك بهذا الهُراء الذي يقولونه».

- «هُراء فعلاً، ولكنهم سيتأكدون من هذا فعلاً حينما يروا ما سيحدث في المنظّمة قريبًا».

- «ماذا تقصد؟»

- «الفترة التي اختفيت فيها، لقد عدت إلى المكسيك مرّة أخرى، كان عليّ أن أرى كيف يعمل أفراد المنظّمة هناك في بقيّة المجالات، أسلحة، مُخدّرات، حتى جرائم القتل وتجارة الأعضاء، لقد كان كلّ هذا هو محطّ نظري، الشيء الوحيد الذي لفت نظري، الأسلوب الذي اتبعتموه في الفترة الأخيرة في التعامل مع الصّحايا!»

- «لقد كنت أتمنّى أن أريك صاحب تلك الأفعال، ولكنه لم يعد موجوداً الآن».

- «لماذا؟»

- «لقد تخلصنا منه».

- «ماذا تقول؟ كيف تتخلصون منه وهو قد قام بكل ما يخدم المنظّمة، ألا تعرفون أن ذلك الأسلوب هو المفيد لنا، بل أنه هكذا يُبعد الشّرطة عن إمكانية العثور علينا إطلاقاً!!»

- «لم يكن الأمر ليكتمل بعد أن قتلنا أخته!»

اعتدل نادر في جلسته وهو ينظر للسيّد عمرو ثم قال:

- «ولماذا قتلتموها من البداية؟»

- «لقد كانت أخته هي الصحفيّة التي تكتب عنا المقالات، لا أدري كيف تحصّلت

- على تلك المعلومات أصلاً، ولكن ما أعرفه أننا إذا تركناها فقد كانت ستُهدّد مُستقبل عمل المنظّمة، وليس غريباً أنه كان سيُقبض علينا بسببها!»
- «وكيف لم يفعل شيئاً هو حيال ذلك؟»
- «لقد كان الأمر سرّاً بيني وسامح، هو من أمرته بفعل ذلك دون إخبار البقيّة».
- «وهل أخبرت رئيس المنظّمة بهذا؟»
- «نادر، لا يجب علينا أن نخبره بكلّ شيء، هذه مُجرّد أمور تافهة لا ينبغي له أن يعلم عنها شيء».
- «لا أدري، ولكنني لا أثق في قولك، يبدو أن هناك أشياء ستحلّ على المنظّمة لم نُعطي لها بالاً».
- «لا عليك بكلّ هذا، أخبرني الآن، إذا ما وافق رئيس المنظّمة على الصّفقات الجديدة، كيف سنبدأ؟ أو كيف ستسير الأمور؟»
- «لا تتعجّل، فور وصول أمر الموافقة سأخبركم بكلّ شيء».
- * * *

يوم السّبت ٧ / ٥ / ٢٠١١، السّاعة الحادية عشرة مساءً.

كانت وفاء تجلس في حجرتها التي سيطر عليها الظّلام، لا تدري كيف تخرج من هذه الحالة التي دخلتها منذ أن قُتلت صديقة عُمرها سلمي، تُريد أن تُعيد لها حقها الذي سُلِب، ولكنها لا تدري ماذا تفعل، لقد اختارت أن تُكمل الطريق محلّ صديقتها، تذكّرت أنها هي من كانت تُحذرها من الإكمال، ولكن لا وقت لذلك، لقد مات قلبها منذ أن ماتت صديقتها، لم تجد إلا أن تُكمل وتسير في نفس الطّريق الذي قطعت صديقتها فيه شوطاً كبيراً، ليتبيّن لها أن صديقتها قد كانت على حقّ، وأن هذا هو الاختيار الوحيد، لا تدري، هل المقالات وحدها كافية لتتمكّن منها من كشف الحقائق؟ أم أنها لا بدّ أن تسير في اتجاه آخر، لقد كان صراعها مع نفسها صراعاً قاتلاً، لذا لم تجد مخرجاً منه إلا النوم وتركت التفكير في أمره للصّباح، علّها تجد حلاً يعفيها من هذا الصّراع الطّويل.

* * *

يوم الإثنين ٩ / ٥ / ٢٠١١، السّاعة الحادية عشرة مساءً.

حاول سامح أن يأتي لثروت كثيرًا في الأيام السابقة، ولكن انشغاله بأعمال المنظمة كان يحول بينه وفعل ذلك، حتى تمكّن من الإفلات في أحد المرات وأتى إليه ليُكمل له تلك القصة التي لا تنتهي، ليبدأ الأخير قائلاً:

- «تذكّر أنك من لا يأتي، لقد كنت أودّ إكمالها لك سريعًا ولكنك السبب».

- «كفاك مُزاحًا يا ثروت، أنت تعلم ما أعانيه الآن، لا عليك بكلّ هذا، هل ستُكمل لي أم أذهب؟»

- «اجلس، سأُكمل لك الآن، أين توقفنا؟»

- «اكتمال المرحلة الأولى من القُربان الأكبر».

يوم الخميس ٩ / ٨ / ٢٠١٠ الساعة الثالثة صباحًا.

كان عابد يجلس في تلك الغرفة التي عهد الجلوس فيها منذ بداية مُحاولته لتحقيق القُربان الأكبر، كان بصره مُتعلّق بتلك القلادة المُعلّقة على الحائط، كان بصره شاردًا تجاهها حتى قطع شروده أن اهتزّت الغرفة كلّها فجأة وانطفأت جميع الأنوار، وسيطر الظلام على كلّ ما في الغرفة، ومن وسط هذا الظلام انطلق غبار كثيف كأنه يُحيط بالمكان كلّهُ، أخذ هذا الدخان يتحرّك حول الغرفة ثم تجمّع في منتصفها وكأنه يكوّن شكل ما، هو لم يكن شكل غريب على عابد، في الحقيقة، لقد كانت جُثة، نعم، الرّجل الذي أخذ لإتمام المرحلة الأولى من القُربان الأكبر، ظلّت الغرفة تهتزّ سريعًا ثم عادت جميع الأنوار بطبيعتها ليجد عابد الجُثة موجودة ولكن هناك شيء غريب، في الحقيقة لم يكن مُندهشًا لرؤيته، ولكنه غريب بالنسبة لك، لقد كانت يد الجُثة اليسرى مسلوخ جلدًا بالكامل!

كان نظر عابد ما زال مُعلّقًا بالقلادة الموجودة على الحائط، والتي لو دقت النظر فيها مرّة أخرى، ستشعر أن هناك طبقة ما تتكوّن عليها، لقد كانت طبقة جلد بشريّ أخرى.

ظلّ عابد يدقق النظر بالجُثة وما لبث أن أطلق النّداء إلى حسين الذي دخل مُسرّعًا

=====

هو الآخر مُتفهِّمًا الأمر وحمل الجُنَّة ليتكلَّم الأوَّل قائلاً:
- «كما اتفقنا».

- «حسنًا، سألقي الجُنَّة في المكان الذي اتفقنا عليه».
خرج حسين سريعًا وأخذ عابد يُطلق النداء مرَّة أخرى ولكن في هذه المرَّة كان نداؤه
لخادمه المُطيع ميمون الذي ظهر سريعًا هو الآخر وأخذ يتحدث قائلاً:
- «سيدي يُقرئك السَّلام على أَدائك الجيِّد».
- «أخبره أن المراحل العشرة ستكتمل كُلها سريعًا».
- «عُلم!»

اختفى ميمون مرَّة أخرى بينما كان عابد ما زال نظره مُعلَّق بالقلادة من جديد وهو
يقول:

- «ستكتمل قريبًا!»
مرَّت ساعات حتى حلَّ الصَّباح من جديد ولكنه كان مُختلفًا عن بقيَّة المرَّات، إذ أن
الصَّحف كُلها كانت تضجُّ بخبر واحد.

* * *

العثور على جُنَّة مجهولة الملامح كانت مُلقة بأحد صفائح القُمامة، يد الجُنَّة اليُسرى
مسلوخ جلدها بالكامل!!

* * *

وصل ذلك الرَّجل إلى عابد حينما قرأ تلك الأخبار ليتحدَّث معه قائلاً:
- «لقد اكتُشف أمرنا!!»

- «اهدأ يا رجل، لن يتمكَّن أحد من العثور عليك، الأمر مجهول ولا خوف منه».
- «عليَّ أنا؟!»

اعتدل عابد في جلسته وأخذ يتكلَّم بأسلوب ساخر كأنه يُبعد التُّهمة عنه:
- «أنت من كنت مع الرَّجل قبل الحادث بأيَّام، وأنا لم أظهر في الصَّورة مُطلقًا،
ولم يرني أحد وأنا أسير معه، أو بمعنى أصحَّ هو نفسه لم يكن يعرفني، فما الذي
سيجعلني أتحمل مسؤوليَّة ما لم أفعله، أنت من ستتحمل مسؤوليَّة كلِّ شيء إذا
حدث في الأمور جديد».

=====

غضب الرجل ثم وقف وهو يقول:

- «ولكن هذا لم يكن اتفاقاً!!»

- «تذكر أنك إذا خالفت العهد ونقضته أنت من ستتعرض للأذى وليس أنا».

- «والعمل؟»

- «عليك أن تهدأ أولاً، واعلم أنه لن يحدث شيء ما دمت لم تتحدث لأحد بخصوص

هذا الموضوع».

- «حسناً».

- «الآن عليك أن تنصرف، حتى لا تلفت الانتباه، وبعد أيام اجلب لي الضحية التالية،

وهكذا، ولكن لا تنس الشروط!»

- «بالطبع لم أنس، ما دمت سأحصل على المال».

انصرف الرجل وعابد ما زال يُلقي نظره عليه وهو مُتَعَجِّب منه، في تلك اللحظة التي

دخل عليه مساعده حسين ليتحدث إليه قائلاً:

- «والآن أخبرني، ما العمل؟»

- «لا تتحدث بمثل طريقته الحمقاء تلك!»

- «صدّقني يا عابد، الأمر في غاية الخطورة، ويجب أن يتم التخطيط له جيّداً حتى

لا نقع في مشاكل».

- «لن تحدث مشاكل، ما دُمنّا نسير بنفس الطريقة، تأتي الضحايا وأتلو عليها الأمر،

ثم تختفي وتظهر بعد يومين وتتخلص منها أنت بنفس الطريقة، وحينما يكتمل

الجميع، سيحضر لي الرجل وسنكرر نفس الخطوات، ما المشكلة في ذلك؟»

- «أنت تتحدث عن إلقاء الجثث وكأنها مباراة كرة قدم يلعبها أطفال أمام منزلهم،

إنها جثث يا رجل، جثث!!»

- «لا عليك، في كل مرة سأخبرك بمكان معيّن تضع فيه الجثة وتنصرف، في ذلك الوقت

لن تجد أحداً في الشارع أبداً، إذن أنت في أمان».

- «لا أخاف إلا من أسلوبك الواثق هذا، دائماً ما أقع في المشكلات بسببك أنت!»

- «إن كنت لا تدرك كمّ ما سأحصل عليه فأنت لا تدرك شيئاً على الإطلاق».

- «أعلم ما تريده، ولكن هذه مجازفة خطيرة».

- «مُجَرَّد مُجَازَفَة في مُقَابِل مَاذَا؟ في مُقَابِل الْحَمَايَة وَالْقُوَّة وَكُلِّ شَيْءٍ أُرِيدُهُ، سَتَزِدَاد سِلْطَتِي وَسَيَزِدَاد تَحَكُّمِي فِي الْجَمِيع، وَهَذَا مَا أُرِيدُهُ».

- «تَذَكَّر أَنِّي حَذَرْتُكَ مِنْ هَذَا فِي الْبَدَايَة، أَنَا مُجَرَّد مُسَاعِد لَكَ، إِنْ حَدَثَ شَيْءٌ مُخَالَفٌ، أَنْتَ مِنْ سَتَتَعَرَّضُ لِلضَّرَر وَلَيْسَ أَنَا، تَذَكَّرْ مَا أَرَاهُ لَكَ خَادِمَكَ عَنِ الْعَذَابِ الَّذِي قَدْ تَتَعَرَّضُ لَهُ إِذَا خَالَفْتَ التَّعْلِيمَاتِ».

استدار عابد للخلف بارتباك وهو يتذكّر ذلك المشهد ثم عاود الحديث قائلاً:

- «لَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ، كُلُّ شَيْءٍ مُرْتَبٍ».

- «لَيْسَ عَلَيَّ إِلَّا أَنْ أَصَدِّقَكَ حَتَّى نَنْتَهِيَ مِنْ هَذَا».

- «سَتَرَى مَا سَيَحْدُثُ بِعَيْنِكَ، وَقْتُهَا فَقَطْ سَتَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قُرْبَانَا كُلِّ سَاعَةٍ، وَلَيْسَ كُلُّ يَوْمَيْنِ حَتَّى».

- «سَتَرَى».

انتهى الاثنان من حديثهما وحسين ما زالت نظرة القلق تُسيطر عليه بينما كان عابد غارقاً في تخیلٍ ما سيحصل عليه في مُقَابِل تحقيق هذا القُربان، لقد أعمى نظره حقاً.

أنهى ثروت حديثه ثم أعاد نظره إلى سامح الذي تذرّ من توقفه ككلّ مرّة، ولكن الأول تحدّث قائلاً:

- «قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسَ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَقُولُهَا كُلَّ مَرَّةٍ، هَذِهِ الْمَرَّةُ تَوَقَّفْتُ لِأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ وَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُجِيبَنِي بِصَرَاحَةٍ».

- «مَاذَا تَرِيدُ؟»

- «الْجَنَّةُ الَّتِي دُفِنْتَ آخِرَ مَرَّةٍ».

- «حَازِمٌ؟ مَا بِهِ؟»

اعتدل ثروت وكأنه يُنصت إلى سامح ثم قال:

- «لَمْ تُخْبِرْنِي بِقِصَّتِهِ بَعْدَ».

- «كَفَاكَ مُضِيعَةً لِلْوَقْتِ يَا ثَرَوْتُ، وَمَاذَا يُهَمِّكَ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ؟»

- «حَسَنًا، هَكَذَا سَأَتَوَقَّفُ عَنْ سَرْدِ بَقِيَّةِ قِصَّةِ عَابِدٍ لِلْأَبَدِ».

- «تَسْتَعْمَلُ مَعِيَ أَسْلُوبَ الْمُقَايِضَةِ؟! حَسَنًا، سَأُخْبِرُكَ، كَانَ يَجِبُ أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْهُ

لأنه سيضرب بعملنا في المنظمة، لأننا قتلنا أخته، تلك الصحفية التي كانت تتولّى كتابة المقالات عنا!»

- «وهل كان هذا هو الحلّ الوحيد؟ بالطبع لا».
- «وما يُهمُّك في مثل هذا الموضوع أصلاً، لا تدخل نفسك فيما لا يعنيك حتى لا تسمع ما لا يرضيك».
- «يبدو أن الأمور لن تسير كما تريدون أبداً».
- «ماذا تقصد؟»
- «طلبت مني أن لا أتدخل وسأفعل هذا وسأصمت».
- «حسنًا، كما تريد، عليّ أن أذهب الآن».
- «سأكمل لك في المرّة القادمة، ولكن، ستتشابه الأحداث تقريباً في بقيّة أفراد القُربان، لذا فسأسردها لك بسرعة حتى نصل إلى المرحلة المُهمّة».
- «حسنًا».
- لم يُعرّ سامح أفكار ثروت انتباهه بخصوص رأيه في سير الأمور في المنظمة ثم انصرف سريعاً والأخير ما زال يحدّقه وهو يقول:
- «لم أكذب حينما قلت عليك مُنذ النظرة الأولى أنك غيبي، تحمّلوا عاقبة تصرّفاتكم يا أغبياء!»

* * *

- كان نادر في هذا الوقت يُجري مُكالمة إلى شخص ما، لا يُهمُّ من هو، ولكن المُلفت للنظر كان محتوى المُكالمة الذي كان مُبهماً، فقد بدأ نادر حديثه كالآتي:
- «مرحباً سيّدي».
 - «ما الأمر؟»
 - «لقد سارت كلّ الأمور حسب ما أمرت».
 - «جيد، سيكتمل كلّ شيء في الأيام المُقبلة، والبداية ستكون غداً».
 - «و بخصوص ما اتفقنا عليه؟»
 - «أحدهم سيكون الأوّل وبعدها سيخرج لتبدأ رحلة البحث التي كنت أريدها مُنذ البداية».

- «وأنا أين سأذهب؟»
 - «ستعود من حيث أتيت، وقتها سيكون قد انتهى دورك بالفعل، أمّا البقية فاتركهم لي، سأتعامل معهم بطريقتي».
 - «أشكر سيدي!»
 أغلق نادر المكالمة وعلى وجهه أشدّ علامات السعادة، لا يمكنك أن تترجمها أنها علامات سعادة فقط، بل أنها أيضًا تشير إلى شماتته في أحد ما.
 * * *

يوم الأربعاء ١١ / ٥ / ٢٠١١، الساعة الواحدة مساءً.
 كان جميع أفراد المنظمة يجلسون في اجتماع مغلق، يبدو أن الرّهبة تُسيطر عليهم جميعًا بسبب شيء ما، إذ بدأ السيّد عمرو حديثه قائلاً:
 - «لقد وصلنا الرّدّ من رئيس المنظمة بالموافقة».
 ردّ أحمد قائلاً:

- «جيد، وكيف ستسير الأمور المُقبلة؟»
 - «كانت الأوامر تنصّ على أن نتوقف عن ضحايا تجارة الأعضاء، ونتجه إلى صفقات المواد المخدّرة كبداية، ومن بعدها سيأتي دور صفقات الأسلحة ومن ثمّ سنستكمل ضحايا تجارة الأعضاء مرّة أخرى».
 التفّت محمود إلى السيّد عمرو ثم قال:
 - «ومتى ستكون الصفقة الأولى؟»
 - «يوم الإثنين المُقبل!»
 - «وكيف سيتمّ استلامها؟»
 - «سيخبرك نادر بذلك».
 أخذ نادر يدور حول الغُرّة ثم قال:
 - «لقد نصّت الأوامر على أن تستلم أنت أوّل صفقة».
 فزع محمود وهو يقول:
 - «ماذا؟!»
 - «هدئي من روعك يا رجل فالأمر سهل جدًّا».

- «كيف ذلك؟»

- «كلّ ما ستفعله أنك ستذهب إلى مصلحة الجمارك، وهناك ستجد شحنة أدوات طبيّة باسمك، ستقوم باستلامها وتأتي بها إلى هنا، هذا كلّ شيء».

- «وهل يعقل أن أستملمها بكلّ سهولة، هل نسيت أن بداخلها مخدرات يا نادر؟»

- «لم أنس بالطبع، ولكنها مُعبأة بداخل الأدوات الطبيّة بطريقة تجعلها غير قابلة للكشف عن طريق الأجهزة، فكما مرّت من المسكيك، فستمرّ هنا أيضًا، أين ما يُثير الخوف إذن؟»

- «الأمر مُقلق».

- «لا عليك بكلّ هذا، يكفي أن تتعامل هناك بشكل طبيعي، ليس هناك ما يثير القلق، أنت مندوب الشركة وقد أتيت لاستلام شحنة الأدوات الطبيّة وفقط!»
- «حسنًا».

تحدّث السيّد عمرو قائلاً:

- «وحينما تصل الشحنة إلى مخازننا، ستبدأ عمليّة التوزيع بالسياسة التي سأخبركم عنها قريبًا، أمّا الآن فيمكنكم المغادرة».

غادر الجميع بينما نظر محمود نظرة أخيرة إلى نادر فهم منها أنه سوف يتحدّث إليه قبل الموعد المُحدد ليخبره بما سيحتاجه في مثل هذا اليوم.

يوم الإثنين ١٦ / ٥ / ٢٠١١ الساعة الثانية عشرة مساءً.

كان كامل يجلس في مكتبه، كان شارد الذهن كعادته، يُفكّر في الكثير من الأشياء، أهمّها هو ذاك الطريق الذي اهتدى إلى السّير فيه مُنذ فترة، ولكنه لم يكن يعلم كيف يبدأ، أو بمعنى أصحّ، كان ينتظر شيء ما ليحدّث حتى يبدأ في السّير فعلاً، لقد كانت تكهّناته صحيحة، إذن أنه في وسط هذا الشرود دخل عليه العسكري ليقول:
- «حضرة الضّابط كامل، هناك ظرف أتى لسيادتك الآن».

اعتدل كامل في جلسته ثم تحدّث بهدوء:

- «أيّ ظرف هذا؟»

أخرج العسكري من جيبه ظرفاً أسود اللون، فزرع كامل حينما رآه، إن لم أقل أنه

=====

قفز من مكانه ثم أمسك به سريعاً وأمر العسكري بالانصراف، كان ظرفاً كمثلاً تلك الأظرف التي كانت تأتي له كلّ مرّة، ولكن الشيء المُختلف كان الظرف من الدّاخل، إذ أنه حينما فضّ الظرف وجد بداخله تراباً كثيراً، في وسط هذا التراب وجد الرّسالة، أمسك بها ثم أخذ يقرأ مُحتواها الذي كان كالآتي:

* * *

أعلم بالطّبع أنك توقعت أن الجرائم ستوقف، ولكنك لا تعرف شيئاً، فالجرائم الحقيقيّة ستبدأ قريباً جدّاً، كلّ ما عليك فعله هو محاولة كشف غموض ذلك التراب الموجود بجوار تلك الرّسالة، إن تمكّنت من معرفة ذلك، ستمكّن من التوصل إلى القاتل، يمكنني أن أسهّل عليك الأمر قليلاً وأعطيك بداية، هناك شحنة معدّات طبيّة سيتم تسليمها من مصلحة الجمارك بعد أقل من ساعة من الآن، اذهب إلى هناك واعثر على من يدعى محمود، اجلب معك سيّارة الشّركة لأنّي أعلم أنك ستقبض عليه، بالطّبع نزاهة العدالة لن تسمح بدخول كميّة ولو كانت بسيطة من المواد المُخدّرة إلى البلاد في ظلّ هذه الظروف، أنت في سباق مع الوقت، عليك أن تفوز، فاللّعبة لم تبدأ بعد!

* * *

إن قلت لك أن كامل قفز من مكانه وتحرك سريعاً حتى وصل إلى سيّارته وانطلق سريعاً إلى مصلحة الجمارك فلن أكون كاذباً، فلقد أخذ الطريق بسرعة لم أعدها عليه من قبل، لقد كان الأمر حقّاً مهمّاً ولا يستحقّ التأخير لحظة، بعد نصف ساعة كان قد وصل وأخبر ضباط مصلحة الجمارك بالأمر، والذين لم يلبثوا أن أعدّوا عدّتهم لاستقبال الأمر، وبعد أقل من ربع ساعة خرجت الحاوية من مكانها مُتجهّة إلى يابس الميناء، ذلك المكان الذي كان يقف عنده محمود بعد أن وقع على جميع أوراق استلام الشحنة ومن ثم حُمّلت على ناقلة كبيرة كان هو يستعدّ ليقودها، في نفس اللّحظة التي دخل فيها جميع أفراد الشّركة والذي كان من بينهم كامل الذي بدأ بالحديث قائلاً:

- «أستاذ محمود! من فضلك».

نزل محمود من السيّارة وهو يمسك بجميع الأوراق اللازمة والإثباتات التي تنصّ على

أحقّيته باستلام هذه الشحنة، ثم قال:

- «ما الأمر؟»

- «هل تسمح لنا أن نقوم بتفتيش هذه الشحنة؟»

- «ولماذا؟ الشحنة تم تفتيشها من قِبَل ضباط مصلحة الجمارك مُنذ قليل.»

- «زيادة تأكيد ليس أكثر.»

أمر كامل بأن تُفتح الحاوية وأخذت عمليّة التفتيش تبدأ ومحمود لم يكن بحالٍ جيّدة على الإطلاق، فقد كان وجهه يتصبّب عرقاً غزيراً حينما بدأوا بالتفتيش، حتى نطق أحد الضباط قائلاً:

- «لم نجد شيئاً سيّدي، الحاوية نظيفة.»

صُدّم كامل حينما سمع تلك العبارة، والتي على أثرها تحوّل تعبير وجه محمود إلى الهدوء، ولكن أيّ هدوء هذا، فقد تحرّك كامل باتجاه الحاوية وأخذ يُفتشها بنفسه حتى عثر في مؤخرتها على صندوق ما، أمسك بالصندوق وفتحه، فوجد بداخله كمية كبيرة من المواد المُخدّرة، بالتحديد كانت كمية من مُخدر الهيروين وبجانها كان هناك ظرفاً أسوداً آخر، بسرعة أمسك كامل بالصندوق ثم تحرّك مُبتعداً عن الحاوية باتجاه محمود الذي قال:

- «ما هذا؟ أنا لا أعرف شيئاً سوى أن هذه شحنة أدوات طبيّة وكان عليّ استلامها، وهذه هي الأوراق التي تُثبت صحة كلامي.»

أخذ كامل يتحدّث بنبرة ساخرة قائلاً:

- «أدوات طبيّة؟! سنناقش هذا الأمر في مركز الشرطة.»

ثم اعتدل في حديثه وتحدّث بنبرة صارمة وهو يقول:

- «خذوا هذا الحُسالة إلى سيارّة الشرطة، وقوموا بتفتيش هذه الحاوية جيّداً وتحفظوا عليها، لا تُضيّعوا الوقت.»

انطلقوا وسط ذهول الحاضرين، لم يتحمّل محمود ذلك الأمر فسقط مغشياً عليه على الفور، حدث ذلك في وسط سخرية كامل منه والذي بدوره قام بركله ركلة أفاقته ثم حملوه واتجهوا إلى مركز الشرطة، بعد ساعة تقريباً كان محمود يقف أمام الضابط كامل وعلى الكرسي الآخر كان كريم يجلس، بدأ كامل يتحدّث قائلاً:

- «ألن تخبرني بكل شيء لتعفي نفسك من كل هذا؟»
- «صدقني يا سيدي أنا لا أعرف كيف أتت تلك المخدرات إلى الحاوية، إضافة إلى ذلك، فقد تكون قد دُست فيها حتى يتم الإيقاع بي، الأمر مُتعلّق بانتقالها من المكسيك، إذن لست أنا المسؤول».

- «هذا كله هُراء ولا يُهمّني ذلك، ما أريد أن أعرفه هو هذا».
أخرج كامل الظّرف الأسود من الصندوق ووضعه أمام محمود الذي كان لم يعرف شيئاً عنه فقال:

- «ما هذا؟»
- «لقد كان موجوداً بداخل الصندوق، أنت الشخص الوحيد الذي يُمكنك أن تخبرنا بماهيّته».

- «أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الظّرف».
أمر كامل أن يحضر العسكريّ ليأخذه إلى الحجز، وخرج كريم بعد أن استمع إلى الحوار كلّ وانصرف، بينما أمسك كامل بالظّرف وفَضّه ثم أخذ يقرأ الرّسالة المتواجدة بداخله والتي كان مُحتموها كالأتي:

* * *

إنها النهاية، أو ما كنت قد تظنها النهاية، لك أن تعلم أنها ليست إلا مُجرّد بداية، بداية لمرحلة لم تكن تعلم أنك ستعيشها قطّ، ولكنك ستفعل، فقط لأنني أردت ذلك ليس أكثر.

* * *

ظلّ كامل يقرأ الرّسالة عدّة مرّات علّه يكتشف شيئاً جديداً ولكن لا جدوى، لذا فقد حزم أشياءه وانصرف فوراً، بينما في نفس الوقت تقريباً كان نادر يتحدّث إلى السيّد عمرو في مقرّ المنظّمة حيث كان يقول:

- «لقد اكتُشف الأمر وتم إلقاء القبض على محمود».
نهض السيّد عمرو من مكانه سريعاً وهو يصرخ ويقول:
- «ماذا؟»

- «لا أدري، لقد كانت الأمور تسير على ما يرام، وكنت أراقبه من بعيد حتى وصل

رجال الشرطة وقاموا بتفتيش الحاوية مرّة أخرى ووجدوا المخدرات». - «وكيف لا تفعل شيئاً، أنت السبب في كلّ هذا».

بدأ الاثنان في الصّراخ في وجهي بعضهما في نفس الوقت الذي وصلت فيه رسالة إلى البريد الإلكتروني الخاصّ بالسيد عمرو كان محتواها كالآتي:

* * *

كفى صراحاً أيّها الغبيّان، أنتما الاثنان تملكان عقولاً لا تُعملونها لحظة واحدة، هل تفعلان هذا كلّهُ بسبب القبض على مُجرّد حُسالة لا فائدة له؟! لا تخافا، فأنا أعلم أنه لن يقول شيئاً للشرطة، وعلى كلّ، سيتمّ ترحيل محمود إلى النيابة قريباً جداً، وقتها يمكن القيام بعملية تهريبه.

* * *

قرأ الاثنان الرسالة وتفهمّا ثم انصرف نادر، وبعد دقائق تلقى مكالمة هاتفية كانت كالآتي:

- «هل تمّ ما اتفقنا عليه؟»

- «نعم».

- «سأنفذ ما تمّ الاتفاق عليه، وكلّ شيء سيسير حسب الخطة بيننا».

- «حسناً».

أنهيت المكالمة سريعاً ثم أكمل نادر طريقه حيث كان ذاهباً.

* * *

يوم السّبت ٢١ / ٥ / ٢٠١١، الساعة الخامسة مساءً.

كان الضّابط كامل يتحدّث إلى صديقه كريم ليتحدّث قائلاً:

- «ما الجديد؟»

- «سيتمّ محاكمتهم غداً، هذان الغبيّان قضا على أنفسهما بهذه الأفعال».

- «الأوّل قتل والآخر تاجر في المخدرات».

- «يا كريم، أنت تعلم جيداً أن كليهما ليس من فعل كلّ هذا».

- «أين الدليل يا كامل؟ التحقيقات لا تسير وفق الأهواء، أعطني دليلاً مادياً لكلامك

هذا ولن يمسهما أيّ ضرر».

- «هذه هي المشكلة، الغيبان لا يُريدان التحدّث وقول الحقيقة».

ابتسم كريم بمكر وهو يقول في سرّه:

- «أنا واثق من هذا».

ثم أردف قائلاً:

- «عليك أن تُنهي كلّ تلك الخرافات من عقلك الآن، لدينا الكثير من الأعمال».

انصاع كامل لرأيه ثم قال:

- «إذن عليّ الذهاب الآن».

- «حسنًا».

خرج كامل من مكتبه تاركًا كريم الذي كان مُمسكًا بهاتفه يكتب رسالة إلى رقم ما كان مُحتواها جملة واحدة: «غداً في العاشرة»، ثم ابتسم بمكر مُوجّهًا نظره ناحية باب المكتب الذي خرج منه صديقه لتوّه الآن، وعلى جانب آخر استقبل ذلك الشّخص رسالة ثم قام بإعادة إرسالها إلى رقم آخر، في الحقيقة كان رقم نادر، وأضاف عليها: «يتمّ التنفيذ حسب الاتفاق»، ثم استند بظهره إلى الكرسيّ الذي كان يجلس عليه ونفض الأتربة المتواجدة على المكتب الموجود أمامه.

* * *

يوم الأحد ٢٢ / ٥ / ٢٠١١ الساعة التاسعة صباحًا.

كان كامل يجلس على مكتبه وكأنه يُعيد التفكير في الكثير من الأشياء، أخذ يضع الرّسائل والأظرف التي استقبلها من (الحنوتي) مُنذ البداية، لا يدري لِمَ يفعل هذا، ولكنه يشكّ في أن الأمر فيه سرّ ما، مدّ يده بعدها إلى أحد أدراج مكتبه وأخرج تقرير الطبّ الشرعيّ الخاص بمقتل سلمى، ثم أخذ يقرأ فيه ببطء، لم يلفت نظره شيء، فهو قد قرأه من قبل، ولكن، ازدادت دهشته أكثر حينما وصل إلى العبارة التالية:

* * *

الجاني استخدم يده اليمنى في إطلاق النار على المجني عليها!!

* * *

تعجّب لذلك، كيف لم يُفكّر للحظة أنه رأى يوسف في كلّ المرّات التي استجوبه فيها يضع إمضاؤه على أقواله مُستخدمًا يده اليسرى، كيف لم يُفكّر للحظة حينما

رآه يكتب مُستخدمًا يده اليسرى، القاتل استخدم يده اليمنى في قتل سلمى! أخذ يبحث بسرعة في بقيّة أدراج مكتبه حتى عثر على نسخة من تقرير الطبّ الشرعي لمقتل سالم الأسيوطي والتي بحث فيها عن نفس العبارة ليجدها.

* * *

القاتل استخدم يده اليمنى في تنفيذ عمليّة القتل!!

* * *

ما هذا؟ كيف تحدث كلّ تلك الأشياء دون أن يُفكر للحظة، كيف سقطت كلّ تلك الهفوات من تحت يديه، صرخ ضاربًا مكتبه بقبضته وهو يقول:
- «هكذا سيتم إعدام بريء!!»

انطلق فورًا إلى ذلك الطريق المؤدّي إلى قاعة المحاكمة حيث أنه قد تمّ ترحيله إلى النيابة التي حوّلتها إلى المحكمة بعد ذلك، كان يسير بسرعة، حتى أن الطريق الذي يسير فيه كان مُتوقّفًا لأجل عمليّات الإصلاح، فاضطر إلى أن يسلك الاتجاه المُعاكس، كاد أن يصطدم بالعديد من السيّارات، ولكن كلّ هذا لا يُمثل أيّ أهميّة بالنسبة له أمام إعدام شخص بريء، ظلّ في طريقه حتى اقترب ورأى السيّارة، ولكن ما هذا؟ السيّارة مُنقلبة وهناك سيّارة أخرى تقف بجوارها، كان المشهد كالآتي: ثلاثة أشخاص مُلثمين يُمسكون بالمُسدّسات ويوجّهون أحد العساكر ليفتح باب السيّارة، ثم تمّ إخراج أحد من في السيّارة، بالطبع لا تحتاج أن تُفكر لتعلم أنه محمود، اقترب كامل بسرعه القصوى ثم أوقف السيّارة ونزل منها، حاول احتواء الموقف وحدث تبادل لإطلاق النيران بينه والملثمين، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ أنه في تلك اللّحظة نزل يوسف من السيّارة دون إدراك لكلّ ما حدث، هناك الكثير من الدماء التي تسيل من رأسه، يبدو أنه فقد الوعي للحظة واستيقظ الآن، حاول كامل أن يبعده عن مكان إطلاق النار ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ أن طلقة انطلقت من مُسدّس أحد الملثمين لتستقرّ في قلبه، صرخ كامل فكانت الطلقة الأخرى في ذراعه، سقط الاثنان وهربت السيّارة بسرعة، حاول كامل أن يتحرّك باتجاه يوسف الذي ظلّ ينطق باسم شخص ما ويقول:
- «جابر، جابر».

ردّ كامل وهو يحاول الحديث مُتسائلاً:

- «من هو جابر؟»

لم يسمعه يوسف ولكنه ظلّ يُردّد:

- «ابحث عن جابر وستعلم كلّ شيء، جابر هو...»

لم يكمل كلمته لخروج السرّ الإلهي إلى السّماء، لقد مات يوسف! تبعها أن سقط كامل مغشياً عليه هو الآخر، بعد عدّة ساعات كان كامل في المُستشفى، حينما استيقظ أخذ ينظر من حوله ليجد صديقه كريم بجانبه يقول:

- «حمداً لله على سلامتك».

- «هل أمسكتكم بالملثمين؟»

- «للأسف لا».

- «إذن لماذا أنت هنا؟»

أمسك كريم بظرف أسود كان موجوداً بجوار سرير كامل ثم قال:

- «لقد وصلتك منذ ساعة قبل أن تفيق».

أمسكه كامل بسرعة ثم أخذ يقرأ محتواه والذي كان:

* * *

وأنت تقرأ هذه الرّسالة الآن، عليك أن تعلم أنك لن ترى محمود مُجدّداً، لقد فشلت مُجدّداً يا حضرة الضّابط، هه، حتى يوسف المسكين، عجزت عن إنقاذه، لا أدري كيف مرّت عليك أن القاتل استخدم يده اليمنى ويوسف دائماً يستخدم يده اليسرى، كيف يمرّ هذا على ضابط مُخضرم مثلك؟! أعلم أنك لن تسألني لماذا قمت بتهريب محمود، لأن هذا سؤال لا يرتقي لأن يُسأل من ضابط مثلك، ولكن بالنسبة ليوسف فسأخبرك، لقد أزعجني وأحدث لرأسي صُداً لا يمكن إسكاته إلا بقتله، رغم أنه كان صامتاً طوال الوقت، لا أدري لماذا لم يخبرك بكلّ التفاصيل التي كان يعرفها، والتي كانت تزعجني شخصياً لذلك قتلته، المهمّ، من الأفضل أن تسير وراء الخيط الذي أعطاه لك، سيُساعدك كثيراً، انعم بالأحرار التي أصبحت بلا فائدة لعدم وجود جناة الآن، هنيئاً لك يا حضرة الضّابط!

* * *

أنهى كامل قراءة الرسالة ثم ألقى الظرف على الأرض وهو يبكي، كل ما كان يُهمّه فقط أنه قد عجز عن إنقاذ شخص بريء، لا يُهمّه هُروب محمود أو غيره، كل ما يُهمّه هو يوسف هذا الذي غادر الحياة دون أن يرتكب أيّ ذنب، كان كريم يُحاول تهديّة كامل وهو ينظر له نظرة عجيبة، نصفها غضب والآخر سخريّة!، أمّا في نفس الوقت تقريباً، فقد كان هناك اجتماع طارئ لأفراد المنظّمة بعد عمليّة إنقاذ محمود، بدأ نادر حديثه قائلاً:

- «لقد فشل الأمر، علينا أن نتراجع».

التفت أحمد إليه ثم قال:

- «وكيف نتراجع بعد أن صدر الأمر من رئيس المنظّمة؟»

- «هو يُتابع كل شيء، ولن يسره أن يُكتشف أمر مُنظّمته هنا».

تحدّث سامح قائلاً:

- «الأهمّ من كلّ هذا هو محمود، يجب إخفاؤه لأنهم إذا عثروا عليه فسيعثرون

علينا، ماذا إن كان مُراقباً؟»

تحدّث السيّد عمرو قائلاً:

- «لا أظن ذلك بخصوص المراقبة، فكلّ الضباط الموجودين أثناء عمليّة نقله قد

أصيبوا، ولن يتمكّنوا من السّير وراء السيّارة التي كان فيها».

نظر إليهم نادر نظرة لها مدلول ثم قال:

- «كلّ ما يُهمّني الآن هو أنه يجب أن تتوقف المنظّمة عن العمل قليلاً، الأمر حقّاً

صعب، وهكذا سنلفت الأنظار إلينا أكثر».

وافق الجميع وقالوا:

- «هذا هو الرّأي الأصوب».

أخذ الجميع يهتمّون بالانصراف بعد الاتفاق على هذا الرّأي، ولكن انتظر نادر قليلاً

ووجّه حديثه إلى السيّد عمرو قائلاً:

- «من الأفضل أن تختفي، فالأمور ليست مُطمئنة بالمرّة».

- «لماذا تقول هذا؟»

- «استمع إليّ ونفذ كلامي فحسب».

أنهى نادر كلماته وانصرف تاركًا السيّد عمرو غارقًا في أفكاره.

يوم الأربعاء ٢٥ / ٥ / ٢٠١١ السّاعة الثانية عشرة مساءً.

استطاع كامل أن يُجبر الأطباء على السّماح له بمغادرة المُستشفى بسرعة حتى يتمكّن من مباشرة عمله، في الحقيقة لم يكن يريد الخروج إلا لأن يُكمل البحث، كان يُحاول أن يكتشف ويعرف من هو جابر هذا، لم يستطع أن يُكمل تفكيره فغادر مكتبه واتجه إلى منزله، ذلك المكان الوحيد الذي يتمكّن دائمًا من التفكير فيه بجديّة، كان يحلم دائمًا أن ينقل مكتبه لمنزله، ولكن الأمر مُستحيل، وصل إلى منزله ودخل إلى غرفته سريعًا، جلس على تلك الطاولة التي كان قد وضع عليها جميع الأظرف التي تلقاها منذ البداية، وأعلى تلك الطاولة، يوجد ذلك الحائط الخشبيّ الذي يعلّق عليه دائمًا كلّ ما يُفكر به، أخذ ينظر هُنا، ويقرأ هذه ثم يُمسك بهذه، ثم أمسك بورقة وكتب فيها الآتي:

مات يوسف، قال يوسف لي أن أبحث عن جابر، من يُمكن أن يكون جابر هذا؟ لا شكّ أنه شخص على علاقة بيوسف حتى يذكره قبل أن يموت، حتى أنه لم يقل إلا اسمه الأوّل، إن كان شكّي صحيحًا، فقد بدأت في السيّر على أوّل الطّريق، يجب أن أحصل على تحرّيات كاملة عن يوسف!

أنهى كتابة تلك الكلمات وعلّق الورقة كالعادة على ذلك الحائط الخشبيّ، ثم حزم أشياءه وانصرف فورًا مُتجهًا إلى مركز الشرطة، وهُناك حينما وصل أمر المُخبر الخاصّ به أن يذهب في مهمّة القيام بتحرّيات دقيقة عن يوسف، كلّ ما يعرفه الجميع عن يوسف، كان يعرف أن تلك التحرّيات ستفيده في كشف غموض كل ما يحدث، لذا فقد كان الأمر يستحق الانتظار، ظلّ جالسًا في مكتبه لساعات مُتأخرة من اللّيل، حتى وصل المُخبر الخاصّ به وأعطاه تقريرًا مُفصّلًا عمّا يُريده عن يوسف، اعتدل في جلسته وبدأ يقرأ فيه باهتمام.

تقرير التحريّ للقتيل: يوسف توفيق، طالب في كلية الحقوق.

اسمه بالكامل يوسف أحمد توفيق، ٢٢ سنة، طالب في كلية الحقوق، والداه متوفيان، كان لديه أخ أكبر منه بخمسة أعوام يُدعى جابر! كان شقيقه هو من يعول عائلته، يُقال أنه كان يعمل في شركة لاستيراد الأدوات الطبيّة تُدعى (...)، ولكنه قُتل منذ سنة بطلق نارِيّ في ظروف غامضة، قبل أن يُقتل بفترة، كان قد تقدّم ببلاغ ضدّ المدعوّ سالم الأسيوطي يتهمه فيه بالقيام بأعمال غير مشروعة، ولكن لم يثبت عليه شيء فتم إخلاء سبيله بدون ضمانات، أما يوسف، فقد كان دائم التردّد على مكان ما، بالبحث تبين أنه محل إقامة سالم الأسيوطي أستاذه، كان عادة ما يجلس معه، إن لم نقل دائماً، وفي الكلية، كان سالم الأسيوطي أستاذه في مادة القانون الجنائي، حيث كانا مُقربين من بعضهما جدّاً، ولكن منذ فترة ليست بطويلة، حدث خلاف بينهما في مكتب سالم الأسيوطي تحوّل إلى مُشاجرة وتدخل الجميع لإيقافها، وفي ليلة مقتل سالم الأسيوطي زاره يوسف في منزله ثم خرج مُسرّعاً، وبعدها وجدوه مقتولاً في منزله، ثم سافر إلى الإسكندرية، كان يملك شقة هناك، بالبحث والتحريّ تبين أن هذه الشقة قد زارها شخص ما لم يذهب إليها من قبل، علّم أنه حارس العقار الذي تسكن فيه سلمى الأسيوطي، ذهب هو وزوجته إلى تلك الشقة في نفس اليوم الذي زار فيه يوسف سلمى في منزلها في اللّيلة التي قُتلت فيها، ومن بعد أن عاد حارس العقار حاول يوسف أن يُسافر إلى الإسكندرية مُجدّداً ولكن تم إلقاء القبض عليه، وعُرض على النيابة وتم ترحيله للمُحاكمة ولقي حتفه إثر انقلاب السيّارة التي كانت تحمله متأثراً بطلقة أخذها في قلبه وارتجاجاً بسيطاً في المُخ.

* * *

يوم الخميس ٢٦ / ٥ / ٢٠١١، السّاعة الثالثة صباحاً.

كان نادر يجلس في مكان مظلم، كان مليئاً بالأتربة، لا تدري هل صاحبه لا يقوم بتنظيفه أم ماذا، لقد كانت رائحة الأتربة تُسيطر على المكان بأكمله، حتى ذلك الرّجل الذي أتى وأخذ يتحدّث مع نادر كان غريب الأطوار هو الآخر، كان منظره غريب، صعب الوصف، استمرّ الحديث طويلاً حتى قال هذا الرّجل:

- «كُل شيء سينتهي قريبًا».
- «لو تخبرني فقط، ما الذي تنوي أن تفعله».
- «لا عليك بهذا، اجلس مكانك ولا تفعل أي شيء، تابع ما سيحدث من بعيد، أنت لا علاقة لك بكل هذا منذ البداية».
- «نبرة صوتك تقلقني، عِدي أن نتحدث مرة أخرى لتخبرني بالأمر كله».
- سكت قليلاً وسقطت بعض الدموع من عينيه ثم أكمل قائلاً:
- «أعدك».
- «والآن أخبرني حتى عن جزء بسيط مما ستفعله».
- «الانتقام، يجب علي أن أنتقم من الكل».
- «كفاك تصرفات سريعة وأخبرني بالضبط ماذا ستفعل؟»
- «لقد أخبرتك يا نادر أنك لست مسؤولاً عن هذا الأمر منذ البداية، لا أريد أن أشرك في أمر ليس لك ذنب فيه، لقد كان الأمر جزاء خطأ ارتكبته منذ البداية، وقد دفعت ثمنه، وها أنا أسترّد الجزء المتبقي».
- «لا يهمني كل هذا، أنا لا أريد أن يُصيبك أي مكروه».
- «لا تخف، فكما نجوت سابقاً، هل سأفشل الآن؟!»
- «ما هذه الثقة بالنفس؟! الأمر مُختلف عما كان عليه سابقاً يا صديقي».
- «ليست ثقة بالنفس، ولكنه علم بما سيحدث لاحقاً».
- «ماذا تقصد بذلك؟»
- «كل الأمور واحدة، حياتنا كلها تسير بنفس الأسلوب المتكرر، الاختلاف يكون فقط في أشياء بسيطة، وأنا أعلم ما سأفعله بالضبط».
- «يبدو أنك لا تريد أن تخبرني».
- «هذا صحيح، ابقى أنت خارج الدائرة، ليس عليك إلا أن تكمل الاتفاق كما أخبرتك من البداية، ومن بعد ذلك سينتهي دورك».
- «أنت حقاً لست كما عهدتك سابقاً، يبدو أنك ستفعل شيئاً خطيراً».
- «عاجلاً أم آجلاً ستعلم كل شيء سأفعله، عليك متابعة الأخبار، ومنها ستعلم كل شيء، ولا يحركك حس معرفة الأخبار الحصريّة مني مرة أخرى لأني حقاً لن أخبرك

بأكثر من ذلك».

- «حسنًا، ولكن يجب عليك أن تُحدّثني إذا احتجت شيئًا».

- «سأقوم بذلك، عليك أن تذهب الآن».

- «ما هذا المكان الغريب الذي تجلس فيه، كيف كنت تجلس فيه خلال تلك الفترة السابقة؟»

- «كما قلت، لقد مرّت، وأنا تعلّمت أن لا أتحدّث في الماضي أبدًا ما دام أنه قد مرّ، تعلّم أن تتحدّث عن الحاضر لا الماضي يا نادر».

- «كما أنت لم تتغيّر، دائمًا ما كنت تمتلك تلك الطريقة في الحديث، أنا حزين لحالك جدًّا يا صديقي».

- «الأمر لم يكن بيدي منذ البداية، مُجرّد قرار خاطئ أخذته وكنت السبب في حدوث كلّ هذا، كان بإمكانني إنقاذ الجميع ولكنني عجزت عن التفكير وقتها».

- «ولم لا تتراجع، بإمكانك أن تخرج من ذلك الباب وتُسافر، ليس عليك أيّ تهمة تمنعك من السّفر، لم لا تترك كلّ شيء وراءك وتُسافر؟»

- «صدّقني يا نادر، الأمر خارج عن إرادتي، فما سأفعله ليس مُجرّد أشياء تُفعل فقط، الأمر أكبر من هذا».

- «يبدو أن الأمر حقًّا كبير، ما يجعلك تخفيه على صديقك المقرب».

- «معذرة يا نادر، فأنا حقًّا عاجز عن الشرح لك».

- «لا عليك، أخبرني كيف ستُتصرّف إذن؟»

- «سيبدأ التنفيذ ابتداءً من أوّل يوم من الشهر الجديد، بالتحديد في الأيام الفردية، لأنني أحبّها، أهتمّ لأمرها جدًّا».

- «رغم كلّ ما حدث لك ما زلت على طبعك، تكره التغيير، لقد كنت هكذا في فترة الدّراسة، دائمًا لا تُحب أن تغيّر أيّ شيء اعتدت عليه».

- «الشيء الوحيد الذي لا يُمكنني تغييره في شخصيّتي للأبد، هذا ما يُكسبني الصّلابة التي رأيته عليّ بعد كلّ ما عانيت منه».

- «والله إني أسف لك جدًّا يا صديقي».

- «لا وقت للأسف، اذهب الآن، عليك أن تُنفذ ما اتفقنا عليه يوم الثلاثاء المُقبل،

لتكون البداية في يوم الأربعاء، بداية الشهر السادس، لا تخف، مُجرّد جرح سطحيّ فقط!!»

- «لا يُهمّ، ولكن اهتمّ بنفسك يا صديقي».

- «لا عليك».

ابتسم نادر وهو ينظر إلى ذلك الشّخص نظرة بها مزيج من السخرية والضّحك وهو يقول:

- «انتقام مجيد صديقي حازم!!»

* * *

الفصل السادس: انتقام مجيد .

«لعبة الانتقام لا تتكرّر أبدًا، وحتى إن تكرّرت، فلن تكون بنفس الأحداث التي قد عشناها، لذلك فمن الأفضل أن نُقيم للحظات الانتقام التي سنعيشها احتفالاً كبيرًا، أو بالأحرى، يجب علينا أن نعلم أن الانتقام ما هو إلا احتفال نقيمه على رأس الضحايا لنستمتع بهم!!»

لم يكن هذا هو الشيء الغريب الذي حدث فقط، إذ أن الدّم الموجود على الحائط قد بدأ يتجمّع ويُشكّل جملة غريبة، ناهيك عن ماهيّتها، كيف حدث ذلك كلّهُ؟! *

يوم الإثنين ٣٠ / ٥ / ٢٠١١، الساعة الحادية عشرة مساءً. استمع نادر إلى رأي حازم، فذهب إلى مقرّ المنظمة مُخبرًا الجميع باجتماع عاجل، وبعد مرور أقلّ من نصف ساعة كان الجميع حاضرين ليبدأ هو قائلاً:

- «يجب أن يتمّ إيقاف كلّ شيء».

التفت أحمد إلى حديثه قائلاً:

- «الأمور متوقفة منذ فترة، ما الجديد إذن؟»

- «الجديد هو أن حازم ما زال حيًّا!!»

فزع الجميع لسماع تلك العبارة وانطلقت جميع الأصوات مُتسائلة:

- «كيف ذلك؟»

- «سأخبركم».

سابقًا في يوم السبت ٧ / ٥ / ٢٠١١، الساعة الرابعة صباحًا. ظلام دامس، هذا لم يكن ظلامًا على الإطلاق، فما يظهر الآن هو أبعد وأعمق من الظلام بكثير، فالظلام لا يُمثل شيئًا بالنسبة لما يراه حازم الآن داخل هذه التربة بعد أن تمّ إلقاؤه فيها وانصرف الجميع، ظلّ في هذا المكان فترة ليست بطويلة، لا يمكنني الجزم بأنها استمرّت أكثر من نصف ساعة، ولكن ما حدث بالداخل كان كافيًا بأن يجعله لا يتحدث على الإطلاق، إذ أنه ليس من الطبيعيّ أن تُلقَى في تربة في الثالثة صباحًا، وليس من الطبيعيّ أن تُلقَى في تربة أصلًا وأنت حيّ، ناهيك عن كلّ هذا، فتلك أمرها سهل، إنما أن تكون في تربة، وتجد العظام البالية والمُتحلّلة تتحرّك بجانبك، فهذا هو الجنون بعينه، لم يكن هذا من فراغ، فقد كان حازم يُحاول التقاط أنفاسه ولكن كيف، فذلك الكفن الذي يُحيط به يمنعه من إمكانيّة التنفس، حاول تحريك يده ولكن دون جدوى، وفجأة دون مُقدّمات، انقطع الجزء العلويّ

=====

من الكفن فانكشف وجهه بالكامل ليتنفس الصّعداء، تلك الجرعة من الهواء التي تأخذها حينما تُقرّر أن تتحرر وتتوقف عن التنفس، ثم تعجز عن الإكمال فتعود للتنفس من جديد، لم يكن يتوقع أن يبقى حيًا بعد كلّ هذا، ولكن الأصعب من كلّ ذلك هو ما رآه حينما فتح عينيه، لا يمكنني الجزم بعددهم، فقد كانوا أربع أو خمس جثث تقريبًا تتحرّك في إطار دائري حول جسده، في الحقيقة، هذا المشهد كان كافيًا بأن يوقف قلبك عن العمل، بل وإن كان هناك شيء بعد إيقاف القلب يمكن أن يحدث لحدث، ولكن استمرّ المشهد كالآتي وهم ما زالوا يلتفتون حوله بحركات ثابتة، كلّ جثة منهم تزحف على بطنها بطريقة غريبة ومُقرّفة، كأنك ترى حيّة تتحرّك من هنا لهنالك، وأثناء ذلك الصّمت الرهيب، بدأت أصواتهم تشقّ سمعه، فالأمر لم يكن مُجرّد حركات يقومون بها، بل أنهم بدؤوا يتحدثون أيضًا بكلمات غير مفهومة، حاول الاستماع ومُحاولة الفهم ولكن دون جدوى، وكيف يمكنك أن تفهم لغة الجثث المُتحلّلة التي تتحرّك بعد دفنها في مقبرة مُنذ سنين، وفي وسط تلك الكلمات التي لم يكن يدرك معناها، انطلقت كلمة واحدة بصوت، لا يُمكنني أن أقول عليه عاليًا، بل أنه قد بلغ مدى العلوّ وما هو أشدّ، تلك الكلمة التي يمكن أن يكون صداها الصّيحة التي تُحيي الموتى يوم القيامة، صاح الجميع فجأة بكلمة واحدة:

- «قم!!»

لم يقولوا سوى تلك الكلمة ثم بدأت الجثث تعود من حيث أتت، كأن المشهد يسير بالاتجاه المُعاكس، كلّ جثة تعود للخلف، أجزاء الكفن المُتحلّلة تلتفّ حولهم من جديد في مشهد غير منطقيّ بالمرّة، ثم تجمّع كلّ الكفن واستقرّت كلّ جثة في المكان الخاصّ بها، عاد كلّ شيء كما كان إلى ذلك الكفن الذي يحمل حازم فقد بدأ ينحسر تدريجيًا عنه وكأن أحدهم يقوم بسحبه من عليه، لم يُفكّر في كَيْفِيّة حدوث هذا، فمن رأى العظام البالية تتحرّك، ومن بات في تربة لفترة وجيزة، ليس من الصّعب عليه أن يتساءل عن كَيْفِيّة انحسار الكفن من على جسده، ظلّت العمليّة مُستمرة لثوان حتى اختفى الكفن في التراب الموجود حوله، دخل الكفن في التراب الموجود في الأرضيّة وحده، وكأن من كان يُمسك به موجود أسفل التراب، بدأت الرّؤية تتضح لحازم تدريجيًا، وظهر كلّ شيء أمامه، كان باب التربة مفتوحًا، ومن خلفه يقف

ثروت، مُتَعَجِّبًا لما يفعله حازم، فقد كان حازم يتحرّك وكأنه إنسان آليّ، كانت حركاته مُنظمة بطريقة غريبة، قام ثم أخذ يسير ببطء حتى خرج من التربة ووقف أمام ثروت، ظلّ صامتًا لثوانٍ ولكنه قطع هذا الصّوت بنفس النبرة العالية التي تكلمت بها الجثث، تلك الصّيحة التي سمعها مُنذ قليل، ولكنه هذه المرّة هو من يتحدّث بها، فقد قطع كلّ هذا الصّمت بكلمة واحدة وهو يصيح في وجه ثروت قائلاً:

- «أغلق الباب!!»

ما لبث أن أمّتها حتى سقط على الأرض مغشيًا عليه بجانب قدمي ثروت الذي سارع بإغلاق الباب بسرعة ثم حمل حازم إلى غرفته ليحاول أن يفيقه، وسط ذهول منه لكلّ ما حدث، لم يكن يعرف هل يتركه أم يحمله، ولكنه فضّل أن يحمله ليحاول أن يفهم كلّ هذا، وبعد أقل من نصف ساعة مرّت سريعًا أفاق حازم ونظر إلى ثروت الذي قال:

- «ماذا حدث؟»

بدأ حازم يلتقط أنفاسه وهو يحاول تجميع الكلمات ثم نظر باتجاه ثروت وهو يقول كلمة واحدة:

- «سأخبرك».

* * *

- «لا أدري كيف ظلّ حيًّا، لقد كنت أسير في أحد الشوارع المؤدّية إلى منزلي بالأمس ودخلته بالفعل، ولكنني وجدت الكثير من الدخان الكثيف الذي يُغطّي المكان، ومن وسط هذا الدخان كلّ ظهر حازم ولم يتفوّه بأي كلمة، ولكنه أمسك بيدي ولم يتركها إلا وهي تنزف دمًا غزيرًا ثم اختفى ولم أره مُجددًا». أنهى نادر تلك العبارة وهو يرفع قميصه ليُري الجميع يده التي بها آثار لجروح كثيرة.

* * *

- «لا تخف، مُجرّد جرح سطحيّ فقط!»

- «لا يُهمّ، ولكن اهتمّ بنفسك يا صديقي».

* * *

تحدّث السيّد عمرو قائلاً:

- «والآن ما المطلوب منا جميعاً؟»

- «يجب أن يختبئ كلّ منكم في منزله لفترة من الوقت، على الأقلّ لشهر أو شهرين»

- «ولماذا نختبئ؟»

- «حتى نراقب تصرّفاتهم، لا ندري ماذا سيفعل، وحينما يتوافر أيّ جديد سأخبركم عبر هواتفكم».

أخذ كلّ منهم يحمل أشياءه وينصرف فوراً، قام السيّد عمرو بمساعدة نادر بحمل بعض من مكتبه، ومن ثمّ انصرفا بعد ذلك، وبهذا يكون نادر قد أنهى الاتفاق الذي عقده من قبل مع حازم، يبدو أن الفترة المقبلة ستكون مختلفة كلّ الاختلاف عمّا كانت عليه سابقاً.

* * *

في نفس الوقت تقريباً، كان كامل يجلس مع صديقه كريم ليناقشا ما توصّل له الأوّل بخصوص ذلك المدعوّ جابر والذي تبين أنه شقيق يوسف، ليستأنف كريم بعدها الحديث قائلاً:

- «حسنًا، جابر يكون شقيق يوسف، ماذا سنستفيد من هذا؟»

- «بالطبع سنستفيد، لقد نطق يوسف اسم شقيقه وأمرنا بالبحث عنه، وشقيقه قد قُتل منذ فترة، إذن المطلوب هو البحث وراء تاريخه، هناك شيء ما كان في حياة جابر هو الذي سيحلّ لنا القضية، ما يجعل يوسف يقول هذا، يؤكّد لي شيء».

- «والآن، ماذا سنفعل؟»

سكت كامل قليلاً وكأنه يُحاول أن يتذكّر شيئاً ما، ثم تفوّه بسرعة:

- «حلّ القضية في اكتشاف العلاقة بين الضحايا والقاتل».

- «الضحايا، أتقصد سالم وسلمى و...»

قاطعهم كامل سريعاً:

- «لا ليس هذان، بل أنا أقصد الضحايا الذين كنا نعثر عليهم، هؤلاء المقتولون من قبل المنظّمة».

- «نعم نعم، أتقصد شريف وصالح وياسر ووليد؟»
 - «بالضبط، هؤلاء هم حلّ القضية، بالإضافة إلى جابر، فهؤلاء الخمسة أشخاص تربطهم علاقة واحدة، لأن مُنظمة بهذا الشكل، يستحيل أن يكون اختيار الضحايا الذين يقتلونهم عابراً، أذكر تلك العبارات التي كُتبت خلف صور الضحايا؟»
 - «نعم».
 - «لا بُدَّ أن مُرتكب كلّ تلك الجرائم يريد أن يجعلنا نسير في هذا الطريق، لأنه يريد أن يفعل شيء ما، وسيفعله حينما يضلُّنا بالسَّير بعيداً عمَّا قلته لك».
 - «وماذا ستفعل؟»
 - «مُنذ متى قُتل جابر هذا؟»
 - «مُنذ سنة تقريباً».
 - «إذن لا بُدَّ أن أبحث عن ملف قضية قتله، سنجد في هذا الملف ما سيُرشدنا إلى الخطوة التالية».
 - «حسنًا، انتظر وسأجلبه أنا لك».
 - «لا لا، سأذهب أنا وانتظر أنت هُنا».
 انصاع كريم لرأي كامل وبقي في المكتب بينما خرج كامل ليجلب هذا الملف من المكان الذي تُحفظ فيه التحقيقات، وبعد دقائق كان كامل في مكتبه وبجانبه يجلس كريم وأخذوا يقرآن الملف الذي كان يحتوي على الكثير من الأشياء التي تجذب الانتباه.

* * *

وعلى غير العادة، كانت وفاء تُمسك بعدد الجريدة الذي تَمَّت طباعته مُنذ ساعات، لم تكن تتصفح هذه الجريدة مُطلقاً رغم أنها تعمل بها مُنذ فترة، إلا أنها لجأت إلى هذا الفعل مُنذ أن بدأت تُكمل الطَّريق الذي سارت فيه صديقتها سلمى، في الحقيقة، كانت تُبدِّل نظراتها بين كلِّ مُحتويات الصَّفحة، ثم تُعاود النظر مرّة أخرى إلى المقالة التي كتبها وتمَّ نشرها في الطبعة المسائية، كانت مقالة مُختلفة هذه المرّة، فالأمر لم يكن مُتعلّق بجريمة ارتكبتها المُنظمة، بل هذه المرّة كانت عن تهريب بعض السَّجناء، أو من كانوا سيُسجنون ولكن لم يحالفهم الحظ، فأحدهم قُتل والآخر

* * *

في حادث لم يكن في الحسبان أن يحدث، هاجم جماعة من المُلثمين سيارة ترحيلات كانت تقل اثنين مَمَّن ينتظرون الأحكام عليهم نظير جرائم قتل وتجارة للمواد المُخدَّرة ارتكبوها سابقًا، اصطدمت أحد السيَّارات بسيَّارة الشَّرطة ممَّا أدى إلى خروجها عن الطريق ومن ثمَّ انقلبت، وبعدها هاجم المُلثمون الضُّباط المُتواجدين في السيَّارة وأخذوا منهم المفاتيح، وتمكَّنوا من فتح الباب وإخراج أحد المُجرمين من السيَّارة، كان هو المقصود بعملية الهُروب، أما الآخر فيبدو أنه قد فقد الوعي للحظات ثمَّ أفاق وخرج من السيَّارة في اللَّحظة التي كان فيها أحد المُلثمين يُطلق النيران على الضُّباط، ممَّا أدى إلى استقرار إحدى طلقاتهم الغادرة في قلبه فلقي حتفه على الفور، أصيب جميع الضُّباط الموجودين في السيَّارة، وحتى الضَّابط الذي جاء لإنقاذ الموقف تمَّ إصابته بطلق نارٍ في ذراعه، لم تُعلن أيُّ من الجماعات الإرهابية مسؤوليتها عن الحادث، ولكن لا نعرف، فقد يتبيَّن لنا جديد الأمور في الأيام المُقبلة، ولمَّ لا يكون مُرتكبي تلك الحادثة هم نفس مُرتكبي جرائم القتل السَّابقة، لقد زاد الأمر عن الحدِّ وأصبح كلُّ شيء مُمكن، في ظلِّ كلِّ ذلك، لا يوجد ردٌّ صريح من الشَّرطة على كلِّ ما يحدث، ويبدو أن السَّكوت سيستمرَّ طويلًا.

(سَلَام الميِّت)

* * *

أنهى حازم قراءة المقالة من الجريدة ثمَّ ألقاها على الأرض بغضب وهو يقول:
- «لا أريد أن يحدث لك شيءٌ بسببي، ابتعدي عن طريقي يا وفاء من فضلك».
ثم اعتدل وأمسك بإحدى الأوراق المتواجدة أمامه، يبدو أنه يشرع في كتابة رسالة ما ليُوصلها إليها، أنهى الكتابة سريعًا ثمَّ وضعها في ظرف أسود، وخرج من المكان الموجود فيه، نفس ذلك المكان المليء بالأتربة دائمًا، وانطلق في طريقه إلى مقرِّ الجريدة.

* * *

جابر أحمد توفيق، ٢٦ سنة، كان يعمل في شركة لاستيراد الأدوات الطَّبيَّة تُدعى (..).

=====

(.، تمّ العثور على جثته مُلقاة بأحد صناديق القمامة، بعد إجراء الكشف على الجثة تبين أنه قد تلقى طلقاً نارياً من مسافة ٣٠ متر، حيث استقرّت الرصاصة في قلبه، وبعد تحليل سُمك الرصاصة وعمق الجرح، تبين أن عملية القتل تمّت باستخدام بندقية قنص مُتطورة، حيث تمّت الوفاة بعد دقائق من إطلاق الرصاصة عليه، ثم حُمِلت الجثة وأُلقيت في المكان الذي عُثِر عليها فيه، ولكنه قبل أن يُقتل كان قد تقدّم ببلاغ ضدّ المدعوّ سالم الأسيوطي يتهمه فيه بالقيام بأعمال غير مشروعة، ولكن لم يثبت عليه شيء فتم إخلاء سبيله دون ضمانات، كان جابر على علاقة دائمة بأحد أصدقائه، فقد كان كلاهما دائمي التردّد على منازل بعضهما البعض، ذلك الشّخص كان يُدعى شريف جاد!!

* * *

شريف جاد، جثة دون كبد أو كلية، لن تتمكّنوا من العثور على الجاني لأنكم أغبياء!!

* * *

ما أن قرأ كامل اسم شريف جاد حتى صُدم حقاً، فالأمر قد بدا له كما كان يتوقع فعلاً، يبدو أن شريف كان صديقاً لجابر، إذن، لقد قُتل جابر بسبب أمر مجهول، وقد قُتل شريف كأحد ضحايا المنظّمة، وكان جابر يعمل في شركة لاستيراد الأدوات الطبيّة تسمّى (...)، هناك علاقة بين مقتل الاثنين، الأمر يستحيل أن يكون محضُ صُدفة أبداً!!

- «كريم، يجب أن نحصل على معلومات في أسرع وقت عن تلك الشركة!»

- «في ماذا تُفكّر يا كامل؟»

- «تلك الشركة لها علاقة بكلّ هذا، ويجب علينا أن نعرف ذلك، يجب أن نعرف ذلك الآن!!»

- «السّاعة الآن الثانية عشرة صباحاً، غدًا في الصّباح سنأمر المُخبر أن يتقصّى عن ذلك.»

- «حسنًا.»

هدأ كامل قليلاً بعد أن بدأ يلتقط طرف الخيط، لقد كان الأمر مُحيرًا جدًّا، ولكن يبدو أنه قد بدأ في اكتشاف الطريق الذي سيُرشده إلى حلّ القضية بأكملها.

=====

* * *

يوم الثلاثاء ٣١ / ٥ / ٢٠١١، الساعة الحادية عشرة صباحًا.
أنهت قراءة الرسالة وهي تنظر لها بتبَلَد أعصاب، في الحقيقة، كان يُخالط هذا التبلد شيء من الخوف الناتج عنه بعض الغموض، حتى أن كل هذا الخليط جعلها ترتجف بشدة، لقد كان وقع كلمات الرسالة عليها مؤلمًا، إذ أنه كان لا بُدَّ أن يُوقفها، ألقت الرسالة على المكتب، في الحقيقة، كانت كلماتها لا تظهر جيدًا جراء ضوء الشمس الساقط عليها، ولكنك إذا اقتربت أكثر ستمكّن من رؤيتها بوضوح.

* * *

يبدو أن شكك كان صحيحًا، كل ما يحدث الآن هو من بعض أفعال (الحنوتي) التي لم ولن تخطر على بال أحد، الأمر حقًا صعب، لا أدري ما هي الخطوة المُقبلة من بعد تلك المقالة، ولكن يبدو أن السكين لن يتمكن من قطع وريدك الودجي، أو يبدو أنه لن يستطيع أن يقف أمام سيل الدماء المُتدفق منه، لذا فمن الأفضل لك أن تبتعد، لقد قُتلت صديقتك لأنها ارتكبت ذنبًا عظيمًا، وأنا لست على استعداد أن تُلاقي نفس المصير، رغم أنني أفضل حدوث ذلك جدًّا، بالنسبة لك، سيكون الهروب هو الوسيلة الوحيدة لك حتى تتجنبني ما يُمكن أن يحدث لك، لأنني إن رأيت مُقاومة تُذكر، فبعد أقل من ١٤ ساعة، لن تتمكني من رؤية صورتك في الجريدة، ولكن بعد أن يُكتب عليها: «ضحية الاقتراب أكثر من اللازم».

* * *

لقد فات الأوان، فبعد إتمامك لقراءة تلك الرسالة، إن عاودت النظر للمكتب، ستجد أنها قد فضّلت نزع أشيائها بسرعة والهروب، يبدو أن الهروب هو أفضل حل في تلك المواقف، ليس دائمًا، ولكنك حينما تواجه قاتلاً أصبح تدفق الدماء بالنسبة له أسهل من تدفق الماء، فهنا يكون الأمر مُختلفًا.

* * *

يوم الثلاثاء ٣١ / ٥ / ٢٠١١، الساعة التاسعة مساءً.
- «ما بك قلّمًا الآن؟ لقد أصدرنا الأوامر ونحن بانتظار التقرير، اهدأ الآن».
انطلقت هذه الكلمات من كريم الذي كان يُحاول تهدئة كامل الذي ما زال مُنذ أكثر

من ساعة يتحرك بنفس الطريقة داخل المكتب، ذهابًا وإيابًا، يمينًا ويسارًا، بطريقة تجعلك تُفجّر رأسه إن استطعت من كثرة الغضب الذي سيصيبك جرّاء أفعاله، ولكنه يبدو أنه انصاع أخيرًا لرأي الأوّل فهدأ من روعه وقرّر الجلوس ليقول:

- «الآن جلست، ما المطلوب مني؟ أنت تعرف أن هذا التقرير سيتربّ عليه أشياء كثيرة».

- «ولعلمي بذلك فأني أطلب منك الجلوس؛ حتى نستطيع التفكير على الأقل».

- «حسنًا، أنا أخبرتك بالأمس أن تلك الشركة هناك سرّ يدور وراءها، هذا السرّ إن تمكّنّا من اكتشافه سيُسَهّل علينا الكثير من الأشياء».

- «دعنا من التكهّنات، لننتظر قليلًا لعلّ التقرير يصل الآن».

ما لبث أن انتهى من تلك العبارة حتى شقّ أذنيهما صوت الطرق على الباب ليدخل العسكريّ ويعطي لهما التقرير المُنتظر: «شركة (...) لاستيراد وتصدير الأدوات الطبيّة»، لم يكن هناك شيء في التقرير مُلفتًا للنظر في الحقيقة إلا ما يحتويه من معلومات، فدعنا نقرب لنفهم أكثر سرّ الدّهشة التي كانت تُسيطر على وجهيهما وهما يقرّانه الآن.

* * *

شركة (...) لاستيراد وتصدير الأدوات الطبيّة، تأسّست عام ٢٠٠٩، نشاطها محصور في الاسم فهي مسؤولة عن استيراد الأدوات الطبيّة من الخارج ومن ثمّ تصديرها إلى المُستشفيات حسب الحاجة، ولكن في الفترة الأخيرة سيطر عليها طابع الغموض، إذ أنه من الغريب أن تتوقف شركة بهذه الوظيفة عن العمل، على الأقلّ في مثل تلك الظروف التي كانت تعاني منها البلاد، حيث كان يقتصر الشهر تقريبًا على عدد قليل من الصفقات لمُستشفيات معدودة جدًّا، وبعد الاتجاه لأحد المُستشفيات والسؤال عن الشركة وضح مدير المُستشفى أن تلك الشركة ظهرت في السوق مُنذ فترة ليست بكبيرة، إلا أن مُنتجاتها كانت كفيلة بأن تجعل المُستشفى تتعاقد معها لعدد من السنوات، والذي انعكس هذا في النهاية على سُمعة المُستشفى نتيجة الأدوات الطبيّة المُتطوّرة التي كانت تصل إليها، دونًا عن كلّ ذلك فمقرّ الشركة تسيطر عليه حالة من الروتينيّة التي لا تتغيّر، فعدد مُعيّن من الأشخاص هم من يزورونها دائمًا، أمّا

الأغرب من كل ذلك فهي تلك اللافتة الموضوعة على الباب: «مُغلق»، والتي أكّد الجميع أنه قد تمّ وضعها منذ وقت قصير جدًّا، يبدو أن القائمين على الشركة قد قرّروا تعليق العمل لأجل غير مُسمّى!!

* * *

- «هل رأيت؟ هناك سرٌّ وراءها كما أخبرتك».

نظر كريم إلى كامل نظرة لا يُمكنك أن تترجمها إلا أنها نظرة عدم اقتناع بكلّ ما يُقال ثم قال:

- «ولكن الأمور طبيعيّة، شركة كانت تعمل وفي ظلّ الظروف الحالية التي تتعرّض لها البلاد قرّرت التوقف عن مُزاولة نشاطها، ما الغريب في ذلك؟»

- «الغريب أننا في وقت حرج، يعني إن كان مُديرها يُفكّر للحظة، لأدرك أن تلك الفترة هي الأهمّ من بين كلّ الفترات السابقة ليُمارس نشاطه».

- «قد يكون هذا، ولكن ذلك ليس مُبرّرًا لأن تكون الشركة مسؤولة عن شيء ما».

- «هذا ما يُثير انتباهي أكثر، هناك سرٌّ ما زال مُخفيًا وعليّ اكتشافه».

- «انتظر، انتظر، إلى أين أنت ذاهب؟!»

لم يُكمل حديثه حتى اندفع كامل مُغادرًا المكتب وهو يذهب إلى منزله، أو بالأحرى محلّ تفكيره كالعادة.

* * *

يبدو أن سامح هو الوحيد الذي لا تُهمّه كلّ الظروف التي تواجهها المنظّمة، إذ أنه الشّخص الوحيد الذي رأى أنه لا فائدة من الانتظار في المنزل والاختباء، فقد قرّر أن يخرج ويذهب كعادته إلى ثروت ليُكمل له القصة التي يقصّها عليه منذ فترة طويلة، دلف سامح ببطء وهو يحاول اصطناع العمق والغُموض إلا أنه لم يكن هناك تأثير يظهر على ثروت إلا الضحك، فتحدّث الأوّل قائلاً:

- «ما المثير للضحك إذن؟»

- «لا أدري هل أخبرك أم لا في الحقيقة».

- «ما الأمر؟»

- «إن رأيت الظلّ الذي يقف وراءك الآن فلن تفعل كلّ تلك الترهّات».

لم يلبث أن سمع تلك العبارة حتى أخذ ينظر من حوله وهو يتقرب ظهور شيء ما ولكن دون جدوى ليكمل ثروت قائلاً:

- «أول شيء يجب عليك تعلّمه، لا تصدق كلّ من يُحدّثك بنسبة ١٠٠٪، دائماً ما تكون هناك فرصة ليكون من أمامك كاذب».

- «حسناً يا مُدرب التنيمة البشريّة، ألن تترك تلك التفاهات وتُخبرني عن بقيّة القصة إذن؟»

- «في الحقيقة لا أدري هل سيكون إكمال القصة بالنسبة لك أمراً مُفيداً أم لا».

- «لا يُهمّني تحليلك المنطقيّ لها، أكمل ولا تهتمّ بالباقي».

- «إن كانت هذه هي رغبتك إذن سأكمل لك، ولكن اعلم أنني لست مسؤولاً عمّا قد يحدث».

- «أنا لا أصدّقك».

قالها وما زال ثروت ينظر له وكأنه يودّ أن يقول: «هذه المرّة أنت لست على حق، فالأمر مُخيف وأنت لا تدري».

* * *

يوم الأحد ١٢ / ٨ / ٢٠١٠ الساعة الرابعة مساءً.

اختفى عابد عن الأنظار قليلاً، لم يجد سبباً مُناسباً لذلك إلا أنه كان يريد أن لا يُلفت النظر إلى سلسلة الجرائم المُتوالية التي ستحدث في المنطقة قريباً بسببه، قطع شروده كالعادة حسين الذي قال:

- «ستظلّ هكذا دائماً؟»

- «سأظلّ ماذا؟»

- «تفكّر في نفسك فقط، ألا يُهمّك هؤلاء الذين سيقتلون؟»

وقف عابد فجأة وبدأ يرفع صوته ويتحدّث بغضب قائلاً:

- «ماذا تقول أنت؟ عشرة من الأشخاص لا فائدة لهم، كلّ واحدة منهم غيبيّ لأنه أتى لمثل هذا المكان، كفاك كثرة الحديث يا حسين، أنت تعلم أن كلّ الآتين إلى هنا هم مُجرّد أغبياء لا يفقهون شيئاً، وإن فكر أحد منهم قدر ذرّة لعلم لماذا نسعد حينما يأتينا أحد الزائرين، كلّ ما يحدث هذا مُجرّد واجهات فقط لأشياء كثير

منهم يعرفونها، ولكنهم مع ذلك يتجاهلون كل شيء وما زالوا يثقون أننا نفعل هذا لأجلهم، سَحَقًا لكل هذا، ألم يفكر أحدهم للحظة في ذلك الذي يُقدِّم المساعدة لهم؟ ألم يفكر أحدهم أن كل هذا يُمكن أن يكون مُجرَّد لعبة لأحصل على القوَّة والحماية؟ ألم يُفكر أحدهم في هذا مُطلقًا؟ الإجابة هي لا، لأن كل من يأتي هنا يوقف عقله عن العمل، وهنا إن وقف العقل، فإن صاحبه يستحق أن يُقتل، ويُمثل بجثته أيضًا إن أمكن، لأن مثل هذا الغيبي لا يستحق أن يعيش على الإطلاق، وعليك أن تعلم أن جميعهم هكذا، لذلك فنحن نجلب الأغبياء حتى نزيد من قوَّتنا، اعلم هذا جيِّدًا!!!» - «ولكن يا عابد...»

قاطعهُ عابد سريعا:

- «لا يوجد شيء اسمه ولكن، الجزاء الوحيد لأي شخص يُوقف عقله عن العمل هو القتل، فالعالم ليس بحاجة إلى مزيد من الأغبياء، أنا قدر الأغبياء في هذا العالم، أنا من سيُطهِّر العالم من هؤلاء!!»

- «والآن ما المطلوب مني؟»

- «عليك فقط أن تفعل ما أطلبه منك، يجب أن نُنهي هذا القُربان بسرعة، ووقتها ستملك الاختيار في أن تكمل أم لا».

- «حسنًا».

- «الآن علينا أن ننتظر حتى يأتي الموعد المُنتظر، حينما تأتي الضَّحيَّة التالية!»

يوم الإثنين ١٣ / ٨ / ٢٠٠١، السَّاعة الثالثة صباحًا.

وصل نفس الرِّجل في الموعد المُحدَّد، كل شيء كان يسير كما كان، الاختلاف فقط كان في الضَّحيَّة، الشَّخص الوحيد الذي لا يعلم شيء عن كل تلك المؤامرة، ظهر عابد من الفراغ سريعا مُرحبًا بهم بنفس الجملة المعهودة:

- «مرحبًا بطالبي القُرب».

- «مرحبًا يا شيخ عابد، لقد أخبرتك بهجيئي مع صديقي».

- «نعم، مفهوم، مفهوم، فضلًا في العُرفة».

دخل الثلاثة إلى تلك العُرفة المعهودة، (عُرفة جلسات الحضور)، ثم جلسوا جميعًا،

=====

بدأ الضحية يلتفت وينظر من حوله كعادة من يسبقه، المكان حقًا مُدهش ويستحق أن يُنظر إليه بتمعن، لم يستمر كثيرًا حتى بدأ عابد في قراءة الطلسم عليه فاختم الرجل وتشكلت طبقة الجلد على القلادة وأخذت العبارة الآتية تتشكل من الدماء التي تسيل من القلادة.

* * *

تمت المرحلة الثانية.

* * *

أردف بعدها قائلاً:

- «سكّر نفس العملية في كل مرة، وعليك أن تجلب المزيد من الضحايا، حتى نتمهم تسعًا».
- «حسنًا، ولكن الأمر سيصبح مُلفت للنظر».
- «أنا معك في هذا الأمر، ولكن ما ستحصل عليه يستحق كل ذلك».
- «معك حق».
- «الآن انصرف، وبعد أيام اجلب لي الضحية التالية».
- خرج الرجل وما زال عابد ينظر إليه وهو يُردّد: «غبي!!»

* * *

يوم الأربعاء ١ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الواحدة صباحًا.
كان يجلس في نفس المكان المليء بالأتربة، ذلك المكان الذي إن أردت أن تصفه فيمكنك أن تقول أنها غرفة كبيرة، في الحقيقة لقد كانت غرفة عادية، ولكنها بعوامل الزمن تحولت إلى غرفة مهجورة، كل ما فيها من أشياء تغطيها كميات كبيرة من الأتربة، من وسط هذا كله، كان يجلس على مكتب ما، كان هذا المكتب رغم ما يحتويه من أتربة، إلا أنه في وسطه تقريبًا كان يظهر كتاب كبير، كبير بعدد الصفحات إنما كان حجمه متوسطًا، كان الكتاب مفتوحًا على صفحة مُعيّنة، تلك الصفحة كانت تحتوي على كتابات كثيرة، في الحقيقة، إن حاولت فهمها من المرة الأولى ستعجز، ولكن إن أعدت القراءة مرة بعد أخرى سيتبادر الفهم إلى عقلك، رغم أن كل ما تقرأه هو مُجرد كلمات غير مفهومة وراء بعضها، أخذ يقرأ ويُعيد الكرة مرة بعد مرة

حتى انتهى ثم نظر إلى الفراغ وأخذ يُحرّك شفّتيه وكأنه يتحدّث إلى أحد، ثم أغلق الكتاب وانصرف، بعد أن كان قد أعدّ بعض الأدوات التي لا شك أنه سيحتاجها في ذلك الموعد الذي ذهب إليه.

* * *

- «حقًا إنه شيء غريب».

خرجت هذه العبارة من كامل الذي كان يجلس مع وفاء بعد أن اتصلت به وطلبت منه الحضور على وجه السرعة ليلتقيا في أحد المقاهي المتواجدة على النيل، لتُكمل بعدها وفاء قائلة:

- «بعد أن قرأت هذه الرسالة انصرفت على الفور، لا أدري، يبدو أنك كنت على حقّ وأني قد أدخلت نفسي في لعبة لست قادرة على إكمالها حتى النهاية».

- «لقد قلت لك هذا مرارًا وتكرارًا، يا وفاء، ما فعلته صديقتك سلمى أدّى إلى قتلها، وبالطبع أنت لا تريد أن تُلاقى نفس المصير».

فزعت وفاء بعد ما سمعت تلك العبارة ثم أردفت قائلة:

- «إذن أترى أن الحلّ هو أن أتوقف؟! أتوقف وأترك كلّ ما بدّأته سلمى؟! أتوقف وأترك كلّ ما قُتلت لأجله?!»

- «لم أطلب منك هذا صريحةً، ولكن يجب عليك أن تُقللي من كلماتك ومقالاتك حول هذا الموضوع، فالأمر لا يستحقّ أن يكبر أكثر ممّا هو عليه».

- «يبدو أن هذا هو الحلّ الوحيد».

- «ليس هكذا بالضبط، أنت ستوقفين عن كتابة المقالات، ولكن في نفس الوقت سأحتاجك في بعض الأشياء».

- «مثل ماذا؟»

- «هناك بعض المعلومات التي نحتاجها عن بعض الأشياء، لقد شرعت في محاولة

كشف العلاقة التي تربط ضحايا المنظمة ببعضهم، وكلّما وصلت لشيء سأخبرك به، لا شك في أنك ستعرفين الكثير بحكم علاقتك مع سلمى، لذا فأنت مهمّة».

- «إن كان هذا في مصلحة القضية فأنا مُستعدة».

- «كلّ ما عليك فعله الآن هو أن تختبئي، لا تخرجي من منزلك أبدًا حتى أطلب

منك ذلك».

- «والجريدة؟»

- «العمل في الجريدة أم حياتك؟!»

- «حسنًا سأفعل».

- «كما أنه يجب أن لا يعرف أحد أننا نتقابل، لم يكن يجب أن نتقابل هنا، ولكن ما باليد حيلة، في المرات المقبلة سُرّاعي هذا».

- «جيد، عليّ أن أنصرف الآن».

انصرف الاثنان إلى طريقيهما، وعلى طاولة مُجاورة، كان هناك من يجلس ويستمتع إلى حوارهما كُلّه وما أن انصرفا حتى ابتسم وقال: «جيد، لقد نجحت!»

* * *

يوم الأربعاء ١ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الثالثة صباحًا.

كان يسير وسط الظلام الدّامس، فمن يسير في الشوارع في مثل هذا الوقت وتكون علّته خير أبدًا؟! في الحقيقة، لم يجد إلا هذا الوقت ليضفي على كلّ ما سيفعله جوًّا آخر للغموض، أو أنه يتفائل بذلك الوقت من اليوم؟ أو أنه مُضطر لفعل هذا على أيّ حال، كان يسير وإحدى قدميه تُعارض الأخرى لتتقدّم، لم يكن يعلم هل يكمل أم لا، فالطريق الذي سار فيه مُضطرًا، أصبح الآن هو من يُحدّد نهايته، أصبح الآن هو الوحيد الذي يعرف عنه كلّ شيء، والجميع من حوله يسوقهم كما يسوق الرّاعي غنمه، جميعهم لا يعرفون إلا ما يريدونهم أن يعرفوه وفقط، كلّ من يحاول أن يفعل غير ذلك فمصيره القتل، أو التهديد؛ علّ عقله يفيق فيبتعد عن ذلك الطريق، الأمر في البداية لم يكن إلا انتقامًا، أمّا الآن، فهو مُختلف بالمرّة، فهو انتقام وأداء وإكمال لشيء لم يكن هو السّبب في بدايته مُنذ اللّحظة الأولى، ولكن المُؤسف هو أنه لا يملك إلا هذا الخيار، فإمّا الهُروب والعاقبة هي الموت، وإمّا الاقتحام والعاقبة هي النجاة، والتي سيتلوها الموت عاجلاً أم آجلاً، الأمر لا يبدو مُختلفًا بالنسبة له من جميع الزوايا، فهنا سيموت وهناك سيموت أيضًا، إذن لماذا لا يخوض التجربة حتى يصل للنهاية، على الأقل سيكون قد أشفى غليله، علّه يستطيع إنهاء كلّ ما بدأه من سبقوه، كان هذا جزءًا صغيرًا من أفكار حازم التي كانت تُراوده أثناء طريقه،

هو حقًا فقد القدرة على تغيير أي شيء من الأشياء المحيطة به، وانصاع في النهاية لرغبته في الانتقام وسار وراءها، والنتيجة هي ما يحدث الآن، تعدّى الأبواب ولم يهتم لأمرها، فأَيُّ أبواب تعيق من عُمي بصره وقاده إلى الانتقام، كان حازم يقف تقريبًا أمام باب عُرفة نوم محمود، في الحقيقة كان الأخير ما زال نائمًا، لا يشعر بما حوله، تسلّل حازم إلى بقيّة أرجاء الشقة وقام بإغلاق جميع النوافذ؛ حتى لا يصل إلى الخارج أيّ صوت من الأصوات التي قد تخرج منه، فهو حتى اللحظة الحالية ما زال مُتحيّرًا، أيّ طريقة يستعملها لقتله، الأولى؟ أم الثانية؟ أم الثالثة، أم ماذا؟ فالطرق كثيرة والأمر مُغرٍ جدًا، انتهى صراعه لاختيار الطريقة المناسبة بأن نزع حقيبتيه التي كان يحملها على ظهره وأخرج منها مسمارًا ومطرقة كبيرة، ثم وضع الحقيبة جانبًا، وأمسك بالمسمار وأخذ يُثبّته في أحد أطراف الباب وبدأت عملية الدقّ، لم يلبث أن استمرّ أكثر من ثانية ونجح في تثبيته، واستيقظ محمود أيضًا حينما سمع هذا الصّوت، ومن وسط الظلام مدّ يده ليُنير الأضواء، ليتفاجأ بوجود حازم أمامه، لم يكن يملك إلا الصّراخ الشديد والذي قابله حازم بالضّحك ثم قال:

- «كنت أعرف أن هذه هي طبيعتك الجبّانة، لذلك أغلقت جميع النوافذ والأبواب، انعم يا صديقي فلن يسمعك أحد بالمرّة ولو ظللت تصرخ للغد».

- «ماذا تُريد مني؟ أنا لم أفعل شيئًا لشقيقتك ووالدك».

- «هه، لقد انتشر الأمر إذن، من الجيّد أنك علمت أن شقيقتي ووالدي قد قتلوا بسببكم».

- «أنا ليس لي ذنب في كلّ هذا، لقد كان سامح، إنه هو من فعل كلّ ذلك بأوامر شخصيّة من السيّد عمرو، أرجوك لا تقتلني أنا لم أفعل شيئًا، أرجوك».

- «في الحقيقة يا محمود أنا أشفق عليك جدًّا، لم أرك مرّة وأنت في هذه الحالة».

- «ولكنك لم تكن تعرفني إلا من وقت قليل».

- «كيف تقول هذا؟ أنا أعرفك منذ زمن طويل، ولكنك لم تكن تعرفني بالمرّة».

- «أرجوك، الرّحمة».

- «وأيّ رحمة تسأل عنها بعد كلّ ما فعلتموه؟»

- «أرجوك يا حازم لا تفعل هذا بي، أرجوك».

- «لا وقت لديّ حتى أضيّعه، لأنك ستموت لا محالة لا بُدَّ أن تعرف قواعد اللعبة».

- «أيّ لعبة؟»

- «لعبة الانتقام، تلك اللعبة التي راهنت فيها على حياتك، إن فزت فستنجو بها، وإن خسرت، فسأفوز أنا بحياتك!!»

انطلقت من حازم ضحكة مغرورة ثم أردف قائلاً:

- «سأمنحك فرصة للهروب، ولكن إن فشلت، فأنت ملك لي للأبد حتى تموت يا صديقي، اتفقنا؟»

- «ماذا تريد؟»

- «لا أريد شيئاً، اهرب إن استطعت، أنت لست مُقيّداً، الأبواب مفتوحة ولا شيء يمنعك من الهروب».

ما أن سمع محمود تلك العبارة حتى اندفع من سريره باتجاه الشرفة، حاول أن يفتحها ففتحت، ولكنه لم يكن يعلم أن حيال ذلك ستنتقل إحدى الطلقات النارية التي أصابت كاحله فسقط على الأرض، تكرر ذلك المشهد الذي دائماً ما تراه في الأفلام، إذ أمسك حازم بطرف المُسدّس الأمامي ونفث بعض الهواء حتى يتشتت الدخان الذي اندفع بسبب الرّصاصة، لقد كان كاتم الصوت كفيلاً أن يُخفي صوت اندفاع الرّصاصة من المُسدّس، اقترب حازم ثم أغلق الشرفة ليُعيدها كما كانت ثم أكمل قائلاً:

- «أول درس يجب عليك أن تتعلّمه، كن على معرفة بقدرات من يُواجهك، أترى أنني بعد ما حصلت عليك سأضحّي بك بهذه السّهولة؟! هذا من سابغ المُستحيلات يا صديقي، لتعلم أن الموت هو جائزة ثمينة سأعطيها لك ولكن ليس الآن، ليس قبل أن تمرّ بجميع مراحل اللعبة، سأجعلك تتمنّى الموت وتعجز عن الحصول عليه إلا حينما أريد ذلك، سأقتلك من فرط الخوف من داخلك، ثم أكمل على جسدك لأنتهي منه، ستتمنّى الموت كل لحظة وأنت بجانبني، ولن تحصل عليه أبداً ما دُمت لا أريد ذلك».

أخذ جسد محمود يرتعش بشدّة وحاول تجميع أوصاله، فشل في استرجاع الكلمات التي يريد أن يقولها ليعفيه حازم من حرج السؤال ويقول:

- «تريد أن تسألني، ما التالي؟ أنفهم، ولكن هل ترى أن موضعك هنا بجانب الشرفة سيكون مريضاً؟! بالطبع لا، لذا فاستند عليّ حتى نخرج من هنا».

أمسك حازم بيدي محمود بعنف ثم أخذه إلى الصالة الخارجية وألقاه على كرسيّ خشبيّ وأخرج من حقيبته حبلًا طويلًا وما هي إلا دقائق حتى أصبح محمود مُقيّدًا في هذا الكرسيّ، وبالأخص قدميه، كان حازم يحرص على تقييدها في الكرسيّ بشكل أكبر عن باقي جسده، كانت إصابته كفيلة بأن تجعله غير قادر على المقاومة، ليس هذا فقط، بل كان غير قادر على الكلام أيضًا، ولكنه كان يُجاهد لإخراج الكلمة، ثم أخذ حازم كرسيًا آخر ثم قام بوضعه أمام محمود وجلس عليه في الوضع المُعاكس قائلاً:

- «الآن، هل أنت مُستعدّ للمرحلة التالية؟»

لم يلبث حازم أن نطق تلك العبارة حتى قام وركل محمود ركلة مُتوسطة في صدره نتج عنها سقوطه بالكرسيّ على الأرض، ضحك حازم ثم أكمل قائلاً:

- «من الأفضل لك أن تشكرني على هذا، فلا بُدّ عليك أن تعلم أنني إذا أبقيتك على الكرسيّ هكذا، فلا أدري ماذا ستفعل الرّصاصة التي تجري مجرى الدّم الآن في قدمك، لذا، فكونك مُستلقيًا هكذا هو أفضل حلّ لك، حتى أستمتع بتعذيبك لأكبر فترة مُمكنة».

- «حازم، أرجوك، سأساعدك، سأساعدك في الوصول إليهم وأخذ حقك، لكن أنا ليس لي ذنب في حدوث كلّ هذا، أرجوك!»

- «يا محمود، أنت تعلم منذ أن كنا صغارًا ذلك المثل الذي مفاده أن الشرّ يعمّ الكل، بينما الخير يخصّ شخصًا واحدًا فقط، وطبقًا لهذا المثل، فإن الشرّ الذي ارتكبه سامح جميعكم ستدفعون ثمنه ابتداءً من اليوم، وعلى مدار أيّام، أو أكثر قليلًا، لا يُهمّ كم المدة، ما يُهمّني أي كنت أريدك أن تُحذّركم بخصوص هذا، ولكن الوقت لن يكون كافيًا لأعذبك، وتبقى حيًا لتخبرهم بذلك، ولكن عاجلاً أم آجلاً سيعلمون ذلك حينما يرون جُثتك مُلقاة هنا، سيكون مشهدًا مُثيرًا، كنت أتمنى لو أراه معهم ولكني لن أتمكّن من ذلك، المهم، دعنا لا نُضيّع الوقت ونُكمل ما بدأناه، المرحلة التالّية، أنت الآن شخص مُصاب لا تملك شيء تُدافع به عن نفسك، وأنا يا صديقي عادل جدًّا ولا

يُرضيني هذا، لذلك خُذ هذا المُسدّس، أبقيه معك علّك تحتاجه».

وضع حازم مُسدّسه في يد محمود والذي بدوره ضغط على الزناد مرّتين مُحاولاً إطلاق الرّصاصة ولكنه فشل مُجدّداً، لقد كانت خزينة الرّصاص فارغة، ليستمرّ حازم بعدها بالضّحك ثم ينزع المُسدّس من يده ويقول:

- «يبدو أنك لم تتعلّم الدرس الأول، أخبرتك أن تعرف قدرة من يُواجهك، لو استمررت في الضغط على الزناد لانطلقت الرّصاصة الثالثة وأصابتنى».

لم يكمل الجملة حتى أطلق رصاصة أخرى استقرّت في قدم محمود الأخرى والذي بدوره أخذ يصرخ من الألم، ليُكمل حازم بعدها بنفس نبرة السّخرية قائلاً:

- «هكذا أفضل، رصاصتين هُنا، وواحدة في الكتف، وأخرى في الصدر، ونُهي بواحدة في الرّأس، سيكون الأمر مُدهشاً».

دخل حازم في دوامة من الضّحك المُستمرّ، في ظلّ محاولة محمود لإفاقة حيث قال:

- «أنت حقّاً شخص مريض!!»

- «معك حقك، أنا مريض، مريض بأخذ حقي، عليك أن تعلم أن كلّ ما أفعله هذا لا يتعدّى جزءاً بسيطاً ممّا فعلتموه بشقيقتي ووالدي، ماذا تريد مني بعد ذلك؟! أن أرحمكم وأدعكم بهذه السّهولة؟! هذا مُستحيل يا محمود، لتعلم أن كلّاً منكم سأخذ منه حقي بالطريقة التي يُفضّل هو العمل بها، أنت لأنك دائماً تحمل مُسدّسك في جيبك، لا أدري سبب ذلك حتى الآن، مُجرّد شخص غبيّ يتفاخر بحمله لمُسدّس لم يستخدمه مرّة طيلة حياته، ألا ترى أنه يستحقّ أن يُقتل بنفس الطريقة التي كان يتفاخر بها على الناس؟!»

- «حسنّاً أنا معك، لقد كنت غبيّاً حقّاً، ولكن ألا يملك من يُخطئ الفرصة في إصلاح الخطأ؟»

- «في أيّ موقف في الحياة يعتبر هذا مُمكنًا، أما الآن فلا».

- «من فضلك يا حازم، أنا مُستعد أن أظّل تحت قدميك، ولكن ارحمني من هذا العذاب».

- «أيّ عذاب تقول يا رجل؟! أنا لم أشرع بعد في أولى مراحل العذاب، كلّ هذا مُجرّد لا شيء فقط، دعنا نصل إلى المرحلة التالية، القدرة على التحمّل».

- «ماذا تقصد؟»

- «انظر من حولك، ألا ترى كل هذه المصابيح؟ التيار الكهربائي الذي يسير فيها له قدرة جيّدة على إضاءةها أليس كذلك؟ نحن سنستعمل هذا التيار الكهربائي في أمر مُختلف بعض الشيء، وسنرى، هل تمتلك القدرة على تحمّل سريان هذا التيار الكهربائي في جسدك أم لا».

أنهى كلماته ثم جلب أحد الأسلاك الكهربائيّة الموجودة وباستخدام السكين الذي كان يحمله، قام بقطع الطرف الآخر لهذا السلك وأخرج الأطراف النحاسيّة منه ثم تركه وقام بوضع الطرف الآخر في الكهرباء، وجلب كمّيّة من المياه وسكبها بسرعة على محمود ثم أمسك بالسلك مرّة أخرى وضحك قائلاً:

- «مُستعد؟»

ما أن أنهى العبارة حتى وضع السلك الكهربائيّ على صدر محمود الذي بدأ جسده يهتز بشدّة من فعل سريان التيار الكهربائيّ في جسده، نزع بعد ثوانٍ قليلة ثم قال بسخرية:

- «ما رأيك؟»

أخذ محمود يتوسّل إلى حازم باكياً وهو يقول:

- «أنا آسف يا حازم، لم يكن عليّ أن أشارك معهم في هذه اللعبة منذ البداية، حقّاً أنا آسف، ولكن اتركني فأنا لم أعد أتحمّل».

ابتسم حازم ابتسامة لم تدم طويلاً حتى تحوّلت إلى صراخ وأخذ يصرخ في وجه محمود قائلاً:

- «لا أريد أن أسمع منك هذه الكلمة مُجدّداً، أنت هنا لتموت، وأنا لن أتركك إلا بعد موتك!!»

في هذه اللّحظة سمع الاثنان طرقات على الباب، أخرج حازم السكين الذي معه ووضعه بسرعة على رقبة محمود وهو يقول:

- «لم أنتهِ بعد منك، تحدّث بهدوء وكأن شيئاً لم يكن، وإلا ستسبّب في قتل من يطرق الباب أيضاً».

أخذ محمود يتنفس ببطء ثم قال:

- «من يطرق الباب؟»

انطلق الصّوت من الخارج بهُدوء:

- «أنا حارس العقار يا أستاذ محمود، هل تريد أيّ شيء مني؟»

نظر محمود بفزع إلى حازم ثم أردف قائلاً:

- «لا، لا أريد شيئاً».

- «حسنًا، لأنّي سمعت صوتك فأردت أن أسألك إن كنت تريد شيئاً مني أم لا».

ابتسم حازم بسخرية ونظر إلى محمود وقال بهُدوء:

- «أنت حقًا محظوظ».

انصرف الرّجل ونزع حازم السكّين من أمام رقبة محمود ثم أكمل حديثه قائلاً:

- «الآن، جرّبنا الطلقات الناريّة، والتيار الكهربائيّ».

ابتسم حازم ثم قال بسخرية:

- «احذر ما هو الشيء التالي، اجعل حدسك يُساعدك في هذا».

نظر محمود إلى حازم بخوف ليتحدّث حازم مُجدّدًا ويقول:

- «ما زال لديّ الكثير من الاختيارات، وبما أنك الضحيّة الأولى، لذا فلا بُدّ أن تُجرّب

كلّ الأشياء، حتى أعرف رأيك قبل أن أعيدها على بقيّة الضحايا».

أخذ حازم يحلّ قيد محمود تاركًا إيّاه حرًّا فيما عدا يديه، فقد أبقاها مُقيّدة بحالتها

السّابقة، ثم أمسك بمحمود وأخذ يحركه كالدمية في يده حتى وصل به إلى باب

غرفته، ذلك الباب الذي كان قد دقّ فيه المسمار، ثم أوقف محمود باتجاه المسمار

ثم قال:

- «ما رأيك في هذا المسمار؟»

نظر له محمود بخوف دون أن يُعقب فأردف حازم قائلاً:

- «لا بُدّ أن تُجرّب هذا أيضًا».

ثم أمسك حازم برأس محمود وأخذ يحرك جبهته على المسمار ببطء، حتى جُرحت

جبهته ونزف الدّماء منها ومحمود ما زال يصرخ من الألم، وهو يتوسّل إلى حازم أن

يرحمه من هذا، استمرّ على هذا الوضع لدقائق ثم ترك رأسه وأخذ يضحك بسخرية

ثم قال:

- «في الحقيقة، إن تجربة الأشياء عليك أمر مغرٍ جدًّا، لذلك سأعفيك من السؤال وسنمرّ إلى المرحلة الموالية بسرعة، حتى ننتهي بأسرع وقت مُمكن، يبدو أنك أصبحت جائعًا، فهل ستصحبني إلى المطبخ لنعدّ بعض الطعام؟»
أمسك حازم بمحمود واتجه الاثنان إلى المطبخ فأجلسه على المنضدة وأخذ يبحث عن القدّاحة، وجدها بسرعة فأمسك بها ووضعها أمام محمود ثم قال:
- «في هذه الجولة، لن أحدّد لك عقابًا مُعيّنًا، عليك أن تختار عقابك بنفسك هذه المرّة».

نظر محمود إليها بخوف ثم قال:

- «افعل أيّ شيء ولكن ابتعد عن وجهي».

ضحك حازم بسخرية ثم أردف قائلاً:

- «بالطّبع يا رجل، فأنا أريد أن أحافظ على هذه الرّأس سليمة قدر الإمكان، لأن دورها آتٍ في المراحل الآتية، لقد أعطيتني الحق في أن أفعل أيّ شيء، لذلك ما رأيك أن أنزع تلك الأظافر من مكانها؟»

صرخ حازم من فرط الضّحك وهو يُمسك بالقدّاحة ويُمزّرها على أصابع يد محمود واحدًا تلو الآخر، يُشعلها وينتظر حتى يحترق الإصبع فيسقط الظّفَر، وكرّر العمليّة مع البقيّة حتى انتهى منهم جميعًا والأخير ما زال يصرخ من الألم، بالطّبع لقد كان ألمًا لا يُمكنك أن تُفسّره، لقد كان القتل هو جائزة كما قال له سابقًا، ولكن أيّ جائزة تحصل عليها دون أن تبذل مجهودًا، وها هو محمود يبذل أيّما مجهود حتى يظفر بجائزته في النهاية، شيء مؤسف أن تتمنّى الموت وأنت في هذه الحالة، إن الموت حقًّا جائزة يصعب الحصول عليها حينما نحتاجها، ولكن يبدو حقًّا أن محمود سينال هذه الفرصة لا محالة، إذ أن حازم أمسك به مُجدّدًا وأخرجه إلى الصّالة الخارجيّة مرّة أخرى ثم أجلسه على الكرسيّ وأعاد تقييده مرّة أخرى وقال:

- «لنمرّ إلى المرحلة التالية، اسمح لي أن أغطيّ عينيك بهذه الضّمادة، أعلم أن قدميك هي التي تحتاجها الآن ولكن من يدري، لعلّ عينيك هي الأحق بها في هذه المرحلة». أخرج حازم ضّمادة من حقيبتة ثم وضعها على عيني محمود ففقد القدرة على إِبصار ما حوله للحظات، في نفس الوقت الذي أخرج فيه حازم من حقيبتة مطرقة

اللطيفة، هذا هو أنسب اسم يُطلق عليها بعد الخدمة التي ستؤدّيها له الآن، فقد أمسك بها ورفعها إلى الأعلى مُوجّها ضربة قاسية إلى تلك القدم اليمنى التي تحتوي على الرّصاصة، إن أردت أن أصف لك ما حدث لمحمود بعد هذه الضربة، فسأعجز عن أن أوفيه حقه من الوصف، ولكن سأحاول، انتفض جسده جرّاء تلك الضربة حتى كاد الكرسيّ أن يسقط به على الأرض وأخذ يصرخ مرارًا وتكرارًا، لقد سيطر الألم على جسده جرّاء تلك الضربة القاسية، وأي ألم تستطيع أن تتحمّله إذا سقطت على قدميك مطرقة، ما بالك الآن وقد أخذت بها ضربة مُبرحة جدًّا؟! سرى الألم في جسده سريان التيار الكهربائيّ في الأسلاك، أو أسرع قليلًا إذا أردنا الدقة، لم يكن بيده أن يفعل شيئًا سوى أنه أخذ يبكي من شدّة الألم وهو يتوسّل مُجدّدًا إلى حازم أن يتركه، ولكن كيف يمكن لحازم أن يترك تلك الضحيّة بعد أن تمّتّع كلّ تلك المُتعة جرّاء تعذيبه، في الواقع لقد كان كلّ ما فعله به لا يُساوي جزءًا بسيطًا ممّا كان يشعر به بعد مقتل شقيقته ووالده، لذا فقد كان ما يفعله بمحمود لم يشفِ غليله بعد، ومن هذا فقد اضطر إلى أن يُكمل اللّعبة، إنها حقًا لعبة مُمتعة!، نزع الضّمادة ثم نظر له بنفس النظرة الساخرة فقال:

- «ولأنني لا أحبّ التكرار فسأعفيك من ضربة أخرى من مطرقتي، ودعنا نمرّ إلى المرحلة الموالية، هل تعرف عبارة (سأشرب من دمك)؟ اسمح لي أن أضفي عليها بعض التعديلات يا صديقي حتى تُناسب الجوّ الحالي لتصبح (ستشرب من دمك)!» اندهش محمود بعد ما سمعه مُجدّدًا وأخذ يتوسّل إلى حازم أن يتركه ولكن دون جدوى كالعادة، فجلب الأخير من المطبخ كوبًا مُتوسّط الحجم، وأخرج السكّين الذي يحملها وأحدث جرحًا في يد محمود اليسرى ممّا أدى إلى خروج كمّيّة من الدماء ملأت نصف الكوب تقريبًا، فوضعه أمام فم محمود وقال:

- «اشرب!!»

- «أتوسّل إليك، لا، افعل بي أيّ شيء إلا هذا».

- «أنت من طلبت، ولكنني سأفعل بك كلّ ما أريد قريبًا، وأوّل تلك الأشياء هي أن تشرب».

وأمسك بفمه وفتحته بالقوّة ثم سكب الكوب كلّهُ في عنقه، أخذ محمود يسعل

بشدة مُحاولًا إخراج ما استطاع من الدِّماء التي شربها ولكن دون جدوى ككل مرة، فتابع حازم قائلاً:

- «الآن، لقد قاربنا إلى الوصول إلى المرحلة الأخيرة، ستكون مُتعبة بعض الشيء، ولكنك ستحصل من بعدها على الراحة الأبديّة».

تغيّرت نبرة صوت محمود إلى الفزع ثم قال:

- «ماذا، ماذا ستفعل؟»

- «مفاجأة!»

أمسك بالسكّين، ثم حلّ قيده ما عدا ذلك الحبل الذي يجذب صدره إلى الكرسيّ حتى يظلّ ثابتًا، وأمسك بيده اليُمْنى ومدها أمام رأس محمود، ثم أخذ يُمرّر السكّين على مفصل يده بسرعة ممّا أدى إلى اندفاع سيل من الدِّماء في وجه الأخير، أخذ يبكي من شدّة الألم الزائد عن حدّه، فأمسك حازم باليد الأخرى وكرّر نفس العمليّة، ثم كرّر الأمر مع بقيّة مفاصل قدمه، ممّا أدى إلى فقدانه القدرة على الحركة، يبدو أن حازم قد فقد عقله بالتأكيد، نظر إليه ثم قال:

- «والآن كيف تريد أن تموت؟»

- «اقتلني وارحمني من كلّ هذا العذاب، ماذا تنتظر إذن؟!»

- «معك حق، في الواقع هُناك أكثر من طريقة لأقتلك بها، الأولى أن أتركك هكذا وإمّا أن تموت بسبب تلوّث موضع الرّصاصتين، أو بسبب الدّم الملوّث الذي شربته والذي سيُسبّب لك تسمّمًا بعد فترة قصيرة، أو بسبب تصفية دمك كلّ من كلّ تلك الأوصال المُقطّعة، أمّا الثانية هي أن أذبحك وأرحمك من تعب الانتظار، ما رأيك؟»
صرخ محمود وهو يقول:

- «اذبحني من فضلك، أريد أن أنتهي من كلّ هذا الآن».

- «دائمًا ما أفضل تعذيبك، لذلك سأختار الاختيار الأخير، لا تتسرّع يا محمود، فعليك أن تعلم أنني لم أجلب هذه السكّين إلا لأقطع بها وريدك الودجي هذا، فهو أكثر من يستحقّ القتل صراحةً، ولكنني أريد أن أذيقك طعم العذاب أوّلًا، حتى تكره نفسك وحياتك وكلّ ما فعلته».

- «أنا نادم على اشتراكي في الأمر منذ البداية».

- «وماذا يُفيد الندم بعد ما فعلته، هل سيُعيد من ساهمت في قتلهم؟ هل سيشفي غليل من قُتل ذويهم بسببك؟ هل سيُعيد الماضي؟ بالطبع لا، إذن عليك أن تنسى كلمة الاعتذار الآن، لا يوجد شيء في قاموسي يُسمى الاعتذار».

نظر حازم في ساعته ليجدها الرَّبَعة إلا خمس دقائق، فنظر باتجاه محمود ثم قال:
- «أعلم أنك لن تتمكّن من الحركة مُجدِّدًا، ولكنني سأساعدك لتؤدّي هذه المُهمّة الصّعبة».

أخذ حازم يحرك الكرسيّ حتى وصل إلى أحد الحوائط الموجودة في الصّالة الخارجيّة، ثم قام بإمرار أحد أصابع محمود على أحد جروحه لتلطّخ بالدم، ثم طلب منه أن يكتب عبارة «(الحانوتي) لم يمّت»، ومن بعدها ضحك حازم قائلاً:

- «الآن انتهت اللّعبة، يُسعدني أن أخبرك أنك ستموت الآن، انعم بالموت وأوصل سلامي إلى الأربعة الذين سبقوك، فأنت ستجلس معهم الآن لمدة يومين ثم ستعود مُجدِّدًا يا صديقي».

ما أن أتمّت تلك العبارة حتى حلّ وثاقه مرّة أخرى، ليصبح حرّاً وهو على الكرسيّ، ثم أمسك بالسكّين الخاصّ به وأخذ يُمرّره على وريده الودجي ببطء، ما نتج عنه اندفاع سيل من الدّماء تلطّخ به الحائط الذي كُتب عليه العبارة السّابقة، وأثناء ذلك كان حازم يقرأ بصوت مُرتفع الكثير من الكلمات والعبارات غير المفهومة، أخذ يُكرّرها مرارًا وتكرارًا، كان محمود يهتّز جرّاء كلّ هذا حتى ظهر دُخان كثيف في المكان غطّى كلّ شيء، حمل حازم حقيبتّه وانصرف سريعًا من وسط هذا الدخان، وبعد دقائق عاد كلّ شيء إلى طبيعته ولكن حدث ما لم يُتوقع حدوثه، أين محمود؟! لم يكن هذا هو الشيء الغريب الذي حدث فقط، إذ أن الدّم الموجود على الحائط قد بدأ يتجمّع ويُشكّل جملة غريبة، ناهيك عن ماهيّتها، كيف حدث ذلك كلّهُ؟! لقد تمّ هذا في ساعة واحدة فقط، عقارب السّاعة تشير إلى الرَّبَعة صباحًا، الغريب في الأمر أنها وصلت إلى الرَّبَعة وتوقفت عن العمل!

* * *

يوم الأربعاء ١ / ٦ / ٢٠١١، السّاعة العاشرة صباحًا.
- «السّبيل الوحيد حتى نستطيع كشف تلك العلاقة هو السّير بنفس الترتيب الذي

قُتلوا به، لذا فستكون البداية بشريف، يجب أن نعرف كل المعلومات عنه». قالها كامل وهو ينظر إلى صديقه كريم والذي كان قد أتى إلى الأول في منزله بعد أن تركه بالأمس، ليُكمل بعدها قائلاً:

- «حسنًا يا كامل، سأتولّى البحث بنفسى هذه المرّة؛ علّنا نكتشف شيئًا جديدًا يُفيدنا بحق».

- «ما يُلفت نظري الآن هو الضّحايا، هل تذكر آخر مرّة وجدنا فيها ضحايا من المنظمة، منذ شهر تقريبًا، وهذا الصّمت لا يزيديني إلا شكًا، هُناك أمر ما سيحدث». - «ولماذا تفترض الأسوأ يا كامل، دعنا نحزر أن الجرائم ستتوقف، إلا إذا كنت تريدها أن تستمر».

- «بالطّبع لا، ولكن عليك أن تعلم أنه كلّما استمرّت الجرائم، ستظهر لنا المزيد من الدّلائل لاكتشاف القاتل، أما هذا الصّمت فيعني شيئين، الأول أن يكون القاتل قد انتهى ممّا يريد، وقتل الأشخاص الذي يريد أن ينتهي منهم، والثاني أن يكون قد توقف لفترة، ثم سيعاود استكمال جرائمه مرّة أخرى في وقت لا نعلمه حتى الآن». - «أو الاثنين!»

- «معنى؟! ماذا تقصد؟»

- «أن يكون القاتل قد انتهى بالفعل ممّن يريد، ولكنه سيُعاود استكمال جرائمه مرّة أخرى بسبب شيء ما قد حدث، أو سيحدث».

- «جميع الاحتمالات واردة هُنا، لذا علينا أن نكون مستعدّين لحدوث أيّ شيء». - «حسنًا، حتى نوزّع الأدوار، سأتولّى أنا التحريّ عن شريف جاد، أمّا أنت فيجب عليك أن تبقى هُنا، تابع أيّ جديد قد يحدث، لقد أخبرتني بما حدث لوفاء، لذا انتظر منها اتصالًا لعلّ شيئًا جديدًا يحدث».

- «حسنًا يا كريم».

انطلق كريم بينما أخذ كامل يُفكّر في الأمر، أمسك بورقة وكتب فيها أسماء الضّحايا الأربعة بترتيب قتلهم، شريف، صالح، ياسر، وليد، ما العلاقة التي قد تربط مُعلّمًا بشخص عاطل بصحفيّ محاميّ؟! يجب أن تتمّ عمليّة البحث في إطار علاقات الأربعة ببعضهم، ولكننا سنضع هذا الاختيار جانبًا ونحاول البحث بهذا الترتيب، كان

تفكيره يُحاصره طوال الوقت، يشعر أن هناك شيء غريب، فيدفعه ذلك إلى التفكير مُجدِّدًا، ثم لا يجد شيئًا فيقف حائرًا، الأمر مُحيرٌ جدًّا.

* * *

يوم الخميس ٢ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الثالثة صباحًا.

في ظلام دامس، ترى شخصًا من بعيد يجلس مع آخر، يبدو أنه يفكر في شيء ما.
- «لم يتبقَّ لي إلا هذا الخيار».

- «ولكنك هكذا ستُعَرِّض نفسك للخطر، وستُدمِّر نفسك».

- «لقد دُمِّرت نفسي يا رجل، ماذا تقول أنت؟!»

- «كنت أتمنى لو ترجع عمَّا تريد أن تفعله، هذه مُجازفة كبيرة».

- «عادة ما يملك المرء عدَّة خيارات، ولكني الآن لا أملك إلا هذا الخيار».

- «إنها النهاية التي كنت تُحدِّثني عنها مرارًا».

- «يبدو ذلك».

- «ولكن يا حازم، أتعرف ماذا تقصد بأن تقتل ستة أشخاص!!»

- «وما المشكلة؟! لقد فعلتها من قبل وقتلت الكثير».

- «الأمر مُختلف، لقد بدأت الشرطة تكتشف العلاقة بين الضحايا».

- «هذا ما كنت أريده يا نادر، ومهما حدث، فسأصل للنهاية، من هنا أو هناك،

النتيجة واحدة».

- «ولكن، هل ترى أن جريمة كلَّ يومين أمرًا سهلًا؟»

- «الأمر واحد، سأقتل هذا اليوم، وبعد يومين أقتل الآخر ويظهر الأوَّل، ستكون

وكأنها مُتتابعة، لا يُهمُّني، بإمكانني أن أقتلهم كلَّهم الآن إذا أردت، ولكني لا أستمتع

إلا وأنا أرى كلَّ واحد منهم يتعذب، حينما أرى نظرة العذاب في عينيه وهو يتوسَّل

إليَّ حتى أتركه، تلك النظرة فقط تساوي الدُّنيا وما فيها بالنسبة إليَّ، أنت لا تدري

أيَّ أذى لي كانوا هم سببه، حتى من قبل أن أعرفهم».

- «أنت مريض يا رجل!»

- «المرض ليس عيبًا، وخاصَّة حينما يكون كلَّ ما أفعله هو مُجرَّد ردِّ فعل، أنا مُجبر

على فعل ذلك، يجب أن أنهي كلَّ شيء حتى أرتاح، حتى أصل لتلك الرَّاحة التي

يبحثون عنها بعد ما أفعله بهم ولكنهم لا يظفروا بها إلا بعد عذاب». - «ماذا تقصد؟»

- «لا عليك بهذا الآن، لقد انتهى دورك وعليك أن تعود أدراجك، أنت لم تشترك في هذه اللعبة منذ البداية، يجب أن تسافر حتى لا تتعرض للأذى بسببي، هل تصدّق أن كلّ من أعرفهم قد ماتوا؟! حتى الذين ساعدوني، جميعهم ماتوا». نظر حازم إلى الأرض ثم همس بصوت مسموع:

- «أو سيموتوا، لذا من فضلك عليك أن تذهب حتى لا تُدرك ما سيحدث بعد ذلك». - «أتعرف أن الموت هو أفضل شيء في الحياة، لا أدري لِمَ يخاف منه الناس، على الأقل حينما تموت، فستكون مُدرّكًا لما ستواجهه، أمّا الحياة فهي مجهولة، أنت لا تعرف ما الذي يُمكن أن يحدث لك بعد ثوانٍ، فما بالك بسنوات!» - «في الحقيقة يا حازم، لم أعد أمتلك الكلمات التي يُمكنها أن تعبّر عمّا بداخلي بعد كلّ ما سمعته منك، الأمر حقًا مُدهش، من مُمرّض لم يرتكب أيّ خطأ في حياته إلى قاتل مُحترف، الأمر حقًا صعب».

- «لم يرتكب أيّ خطأ في حياته؟! أنا حقًا إن لم أرتكب أخطاء في حياتي فلن تجدني هنا، إنها الحياة يا صديقي، تعطي كلّ شخص ما تريد هي له أن يأخذه، ونحن لا نعيش إلا لنستجيب لكلّ ما يحدث حولنا، أمّا قولك بأنّي قد أصبحت قاتلاً مُحترفًا، فالأمر بالنسبة إليّ أصبح مُجرّد تسليّة، والله لو يعلم الذين أقتلهم ما الذي سيحدث لهم إن تركتهم لعشقوا الموت على يديّ، ولكن الإنسان دائمًا لا يُفضّل إلا الشيء البعيد عنه».

- «يبدو أنك قد أصبت هذه المرّة». - «اذهب أنت الآن، فالوقت قد أصبح مُتأخّرًا، لا أريد أن أراك هنا ثانيةً، هل ستحقق لي رغبتني الأخيرة قبل أن أكمل ما بدأته؟» - «حسنًا يا حازم، الوداع!»

- «إلى اللقاء يا صديقي». انصرف نادر وما زال حازم يرمقه بنظره حتى اختفى عن مرمى البصر، والأخير ظلّ ناظرًا إلى السّماء وهو يقول:

- «أريد أن أموت الآن، ولكن يجب عليّ أن أكمل!»
* * *

يوم الخميس ٢ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الثالثة مساءً.
- «هذا هو كلّ ما تمكّنت من الحصول عليه».
قال كريم تلك العبارة بعد أن دلف سريعاً إلى مكتب كامل ثم أردف قائلاً:
- «ليست معلومات مبشرة بالمرّة، فال...»
لم يكمل كريم تلك الجملة حتى نزع كامل منه الملف الذي يُمسك به وأخذ يقرأ محتوياته بتمعّن، وبعد أن انتهى منه قال:
- «مُعَلِّم في الـ٣٣ من عمره، التقرير كلّه خالٍ من أيّ شيء بخصوص القضية، إذن، ما الذي يحمله على أن يقوم بعملية تبرّع بأعضائه؟ كلّ شيء طبيعيّ تقريباً، فهو ميسور الحال ولم يمرّ بأيّ أزمات ماليّة تجعله يقوم بذلك».
- «هل صدّقنتي حينما أخبرتك أنها لم تكن معلومات مُبشّرة».
- «معك حق، ولكن الأمر خرج عمّا كنا نتوقع، هناك شيء خاطئ، ولا بُدّ علينا أن نكتشفه».

ما لبث أن قال هذه العبارة حتى وصلت إخباريّة إلى جهازه اللا سلكيّ تفيد بوقوع جريمة قتل بالقرب منهم، حمل كلّ منهما مُتعلّقاته وانطلقا إلى موقع الحادث، وبعد دقائق، كانت الكثير من سيّارات الشرّطة تُحيط بالمكان، بالاقتراب قليلاً حتى الوصول إلى مكان الحادث، شقة سكنيّة، ضباط المعمل الجنائيّ يملؤون المكان، القتل جالس على كرسيّ باتجاه الحائط، أمام الحائط كُتبت عبارة ما.
* * *

(الحنوتي) لم يمت!!

* * *

لقد خُطّت العبارة بالدماء، هي دماء القتل بالطّبع، ومن آثار الدّماء المتواجدة على يديه، يبدو أنه هو من قام بكتابتها بنفسه، جميع النوافذ والأبواب سليمة، لا يوجد مُثير للنظر سوى أن جميع النوافذ كانت موصدة، كأن من كان يعيش في هذه الشقة لا يريد أن يدخل الهواء إليها أبداً، تم رفع البصمات من على الأشياء المتواجدة على

الأرض، وجميع الأماكن التي تحتوي على بقع دماء، ثم أخذت الجثة إلى المشرحة لتتولّى مصلحة الطبّ الشرعيّ تشريح الجثة لاستخراج التقرير المبدئيّ للحالة، لفت نظر كامل أثناء إلقاء نظره على الشقة ذلك المِسمار الموجود في وسط باب غرفة النوم تقريبًا، اقترب أكثر ليستكشف الغرفة حتى وجد رصاصة بجوار الشرفة، هناك آثار لمقاومة على الأرض، يبدو أن القتل حاول الهروب ولكنه فشل، خرج الكلّ وتم أخذ أقوال الشهود التي لم تكن مُجدية على الإطلاق سوى شهادة حارس العقار الذي قال:

- «لقد سمعت صوت الأستاذ محمود، كان صوته مُرتفعًا وكأنه يصرخ، ولكن الصوت كان بعيدًا، طرقت الباب وسألته ولكنه ردّ عليّ وقال أنه لا يُريد أيّ شيء، نبرة صوته لم تُعجبني، شعرت أن هناك شيء ما يحدث بالداخل، ولكنني انصرفت حينما أمرني بذلك».

نظر له كريم ثم قال:

- «ألم تسمع شيئًا بعدها؟»

- «لا، لقد خرجت للجلوس أمام البوابة الخارجية ولم أسمع أيّ شيء».

- «حسنًا، يُمكنك المغادرة وإذا احتجنا إليك سنتصل بك».

خرج حارس العقار بينما نظر كريم إلى كامل واضعًا يده على مكتبه ثم قال:

- «كنت تنتظر الجرائم، انعم بها الآن، هذه المرة الجريمة مُكتملة الأركان، هي ليست بجريمة عادية، يبدو أنها كانت عملية تعذيب في البداية وانتهت بالقتل».

- «أيّ شيء يجعله يفعل هذا بشخص ما إلا إذا كانت هناك علاقة تربطه بالقتل؟!»

- «ماذا تقصد؟»

- «دعني أضرب لك مثالًا، أنا الآن أريد أن أسرق شقتك مثلاً، لماذا سأعذبك كلّ هذا التعذيب، وأنا بإمكانني أن أطلق عليك النار وأسرق ما أريده وأنصرف بهدوء، حتى أنها لم تكن سرقة، فالشقة كما هي، جميع مُتعلّقات القتل يبدو أنها في مكانها، لم نجد شيئًا غريبًا إلا كرسيًا في المطبخ تحرّك من مكانه وكانت عليه آثارًا لدماء، والقدّاحة، والكرسيّ الموجود في الصّالة الخارجيّة، بالإضافة إلى المِسمار».

- «أيّ مِسمار؟!»

- «لقد كان هناك مِسْمار تم دقه في باب عُرفة القتيل، أسفل الباب كانت هناك آثارًا لخشب، القاتل هو من قام بوضع هذا المِسْمار هنا ليعذب به القتيل».
- «دائمًا ما يُفاجئنا (الحنوتي) بأساليبه».
- «وليس هكذا فقط، حتى العبارة التي كُتبت على الحائط، هو من أراد أن يقوم بهذا حتى يُعرّفنا أنه هو القاتل، الأمر أكبر من مُجرّد جرائم قتل تُرتكب يا كريم، هذا أسلوب انتقام!»
- «ولم ينتقم من ذلك الشّخص؟»
- «في الوقت الحالي لا يمكنني الجزم بسبب ذلك، ولكنني أثق في أن الأيام القادمة ستكشف لنا الكثير».
- «أتمنى ذلك».

* * *

- «ماذا؟!»
- انطلقت هذه الكلمة من السيّد عمرو حينما أخبره أحمد بأن محمود قد قُتل فأردف قائلاً:
- «كيف قتل؟ ومتى؟»
- «لقد عثرت الشرطة على جثته اليوم، لقد لقي عذابًا شديدًا».
- «حازم، أيّها الوغد!!»
- «لم يعد الوقت يسمح لنا بالمقاومة، كلّ ما يجب علينا فعله هو الاختباء».
- «وكيف سنختبئ منه، هل تعتقد أن حازم بعد كلّ ما فعله لن يتمكّن من العثور علينا؟! أين رئيس المنظّمة ليحمينا من شرّ حازم؟!»
- «وهل تعتقد أنه يعلم كلّ ما يحدث هنا؟»
- «بالطبع».
- «إن كان حقًا يعلم، فلمَ لم يتدخّل حتى الآن؟»
- «لا أدري، أحمد، اختبئ، لا يجب أن يعرف أحد أننا نتقابل، حتى الهواتف، لا تفتح هاتفك من الآن لعلنا نستطيع أن ننجو منه».
- «لا أظن، نظرة الوعيد التي كان ينظر بها إلينا كلّما تذكّرتها تأكّدت أنه لن يترك

=====

أحدًا منا على قيد الحياة أبدًا».

- «كفاك تشاؤمًا، اذهب الآن!»

دبّ الفزع في قلب السيّد عمرو، لم يعد يستحقّ هذا اللقب، فقد نُزعت منه السيادة بعد كلّ ما أصاب المنظّمة وأفرادها، على الأقلّ من وجهة نظري.

* * *

يوم الجمعة ٣ / ٦ / ٢٠١١، الساعة العاشرة مساءً.

كان كل من كريم وكامل تُصيبهما حالة من القلق جرّاء كلّ ما حدث من جرائم، خاصّة تلك الأخيرة التي يبدو أنها كانت بؤابة لسلسلة من الجرائم غير المنتهية أبدًا، قطع شرودهما وصول تقرير الطبّ الشرعيّ للقتيل الأخير محمود، أمسك به كامل ثم أخذ يقرأ محتواه بصوت مسموع:

* * *

تقرير الطبّ الشرعيّ للحالة رقم ٩٥٢ محمود عماد إبراهيم.

الوقت المقدّر للوفاة: يوم الأربعاء ١ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الرابعة صباحًا.

سبب الوفاة: استخدام آلة حادة لبتّر الرأس عن باقي الجسم.

تعرّضت الجثة للتعذيب من شتى الأماكن في الجسد، ابتداءً من إصابة الكاحل الأيمن برصاصة من مسدّس سمكه تقريبًا ٩ ملم، ثم رصاصة في الكاحل الآخر بنفس الطريقة، القاتل قام برفع أقدام القتيل إلى الأعلى لبعض الوقت ثم أعاده، يبدو أنه كان على علم بضرورة عمل هذا حتى لا يستمرّ النزيف في هذا الاتجاه، تمّ تعذيب القتيل باستخدام التيار الكهربائيّ لبعض الوقت، ممّا أثر على مراكز الإحساس ففقد القدرة جزئيًا على الحركة، إلا أنه كان قادرًا على السير ببطء، تعرّضت أظافر القتيل لعملية اقتلاع باستخدام قذّاحة حيث قام القاتل بحرق أصابع القتيل ممّا أدّى إلى اقتلاع أظافره، تمّ استخدام سكين سمكه ٣ ملم تقريبًا لإحداث جروح عميقة في مفاصل اليدين والقدمين، بفحص معدة القتيل تبين أنه قد شرب كمّيّة من الدّماء، بتحليلها تبين أنها تخصّه، نهايةً، قام القاتل بإحداث قطع عمودي في الوريد الودجي

نتج عنه موت القتيل في الحال نتيجة عدم وصول الدّم إلى المخ، دونًا عن أن الدّم كان مُلوّثًا بسبب الجروح العميقة والرّصاصتين التي تلقاهما القتيل، لذا، فقد كان مُعرّضًا للموت على أيّ حال إن كان قد تُرك هكذا، كما أنه لا توجد بصمات للقاتل على جُثة القتيل، جميع البصمات المُتواجدة تخصّ القتيل نفسه، تَمّت عمليّة القتل في السّاعة الرّابعة صباحًا، اليد اليسرى للقتيل مسلّوخة بالكامل، يبدو أنها تعرّضت لنيران عالية قبل أن يتمّ سلخها، الغريب في الأمر أن آثار تلك النيران لا توحى بأيّ نيران نعرفها، لا شكّ في أن القاتل استخدم شيئًا غير مألوفًا نتج عنه تلك النيران التي حرق بها يد القتيل.

* * *

- «لقد فقد عقله».

- «وهل تعتقد أن مثل هذا الشّخص لديه عقل أصلاً يا كريم؟!»

- «والعمل؟»

- «سنحقق على أمل العثور على شيء جديد، مع أيّ مُحبط جدًّا وأعلم أننا لن نصل إلى شيء».

- «أتمنى أن يكون إحساسك خاطئًا».

* * *

كانت وفاء هذه المرّة تتابع الأخبار من التلفاز في منزلها وفقط، لم تذهب للجريدة حسب الاتفاق المعقود بينها وبين كامل، يبدو أنه قد كان على حقّ، فإن استمرّت فيما بدأتها صديقتها سلمى لكان لها نفس المصير الذي واجهها، ولكن الأمر يحتوي على الكثير من المُفارقات، جميع الجرائم السّابقة التي ارتكبت كانت بأسلوب مُعيّن، حتى الجريمة الأخيرة لذلك الذي يُدعى محمود، بها أسلوب (الحنوتي)، ما عدا مقتل سلمى، من قتلها لم يكن هو (الحنوتي) أبدًا، إنه حقًّا شخص مُختلف، ليس نفس الأسلوب الذي يتبعه دائمًا، إذن، فشكّها منذ البداية كان صحيحًا، هناك طرفان هم المسؤولان عن تلك الجرائم، أحدهما (الحنوتي) والآخر مجهول، إذن من يكون هذا الشّخص؟!

* * *

سابقًا في يوم الجمعة ٣ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الثالثة صباحًا.

انظر معي الآن، أنا أرى من بعيد رجل يُمسك بورقة وقلم قصير بعض الشيء، شكل هذا القلم غير مألوف، لم أر من قبل قلمًا ليس له سنّ، لم أر قلمًا لونه كلون جلد البشر! كما أن هذا القلم ذو حبر أحمر، ليس كأَيّ قلم أحمر استعملته من قبل، يقوم هذا الرَّجل بكتابة عبارة ما على تلك الورقة، اقترب مني أكثر لترى العبارة.

(الحنوتي) لم يمت!!

بعد أن انتهى من كتابة تلك العبارة، وضع ذلك القلم جانبًا، ظلّ ينتظر لبضع دقائق، يُمكنني الجزم أنها قاربت النصف ساعة، ثم رفع يده وصفح ذلك الشَّخص النائم على السرير بجواره ليستيقظ وهو يصرخ من الألم قائلاً:
- «ما هذا؟!»

- «لا تخف يا صغيري، لقد قطعت إصبعك لأدوّن به ملاحظة كدت أن أنساها».
حاول تحريك يديه ولكنه مُقيّد في سريره، أمسك حازم بنظّارته الطيّبة الملقاة بجواره ثم ألبسها له حتى يتمكن من رؤيته بشكل جيّد، ليندهش قائلاً:
- «حازم؟!»

- «بالضبط، جيّد أنك استطعت رؤيتي أيّها الرَّجل العاجز، لا أدري كيف تملك القدرة على النوم بعد كلّ ما فعلته أيّها الفاجر؟!»
- «ماذا تقول يا حازم؟!»

- «ألم يكفيك أنك تسرق الجثث والأعضاء، حتى أنك أيضًا تُمثل ببقايا الجثث الموجودة لديك في ثلاثة الموتى، لم أكن أتوقع أن تكون هكذا أبدًا يا سيّد!»
- «ماذا تقول أنت؟ كلّ هذا مُجرّد هُراء».

- «دعك من الكذب الآن فهو غير مُجدٍ، لنمرّ إلى الأمور المُهمّة، بالطبع قرأت أو سمعت عمّا فعلته في صديقك الغالي محمود أليس كذلك؟»
نظر له سيّد مُدعيًا الجهل ثم قال:
- «ها؟ أنا لا أعرف شيئًا».

ابتسم حازم مُجدِّدًا ثم صفعه مرّة أخرى وهو ينظر له بسخرية ثم قال:
- «أتعرف أنك الشّخص الوحيد المحظوظ في هذا الكون؟»
تردّد سيّد في الحديث ثم قال:

- «ل ل لماذا؟»

- «لأنك الوحيد الذي لن تنال عذابًا أسطوريًا كالذي فعلته وسأفعله في البقيّة، في الحقيقة لقد كنت أودّ أن أحتفل بك شخصيًا، كنت سأقيم لك حفل نهاية الخدمة ولكن اعذرني، فقد أضعت الكثير من الوقت لتري لك حتى تستيقظ بهدوء، أرايت أنني طيب القلب جدًّا؟»
- «أنت حقًّا غبيّ».

- «في الواقع لا أحبّ أن أكرّر ما فعلته بمن سأنتقم منهم ولكن اعذرني».
أخرج حازم مُسدّسه من جيبه وأطلق النار على سيّد فاستقرّت أحد الرّصاصات في فخذه وأخذ يصرخ من شدّة من الألم ليكمل حازم قائلاً:

- «علّمته أن يعرف قدرات من يُواجهه، كنت أقول في داخلي أنك الشّخص الوحيد الذي ستُدرك هذا الدّرس جيّدًا، ولكن يبدو أنكم جميعًا حمقى، الفرق أنك الآن أصبحت بتسعة أصابع فقط وليس عشرة، هه، حتى أنني قطعت لك الإصبع الأوسط في يدك اليسرى لأحتفظ به، هديّة قيّمة يا صغيري».

أخذ سيّد يصرخ جرّاء الرّصاصة ولكن سرّعان ما كتم آلامه ثم قال:

- «أتعرف أنك جبان جدًّا، إن كنت رجلًا بحقّ لما فعلت بي كلّ هذا».

- «هل أنت واثق من حديثك، يمكنني أن أفك قيدك بسهولة، ولكني غير مسؤول عمّا سيحدث».

قام حازم بفك وثاق سيّد والذي بدوره ما لبث أن بدأ يُحرّك يده حتى صُقع بجرعة كافية من الكهرباء فدفعه حازم من على السّرير فسقط على الأرض التي كانت مُبتلّة بعض الشيء فأخذ يصرخ ممّا اعتراه من الكهرباء، ثم أردف حازم قائلاً:

- «للمرّة الثانية أطلب منك أن تُدرك قدرات من يُواجهك، ولكن يبدو أنكم فعلاً حمقى كما قلت».

حاول سيّد الزحف نحو الخارج وحازم يتبعه وهو يوجّه له المُسدّس حتى أصبح

الأول على حافة الشرفة وكاد يسقط لولا أن حازم أمسك به ودفعه إلى الدّاخل ثم ابتسم وقال:

- «أعتقد أنني سأضحّي بك بهذه السّهولة؟ بالطبع لا، فأنت كنز، ونحن نحفظ بالكنور ولا نتخلّص منها أبدًا، هه!»

استقرّ به في النهاية على سريره مرّة أخرى وقام بتقييده، ثم نظر إليه بحدّة وقال:

- «بصفتك كنت تعمل في مصلحة الطبّ الشرعيّ، ما رأيك في تشريح الجُثث؟»
نظر له سيّد بخوف ولكنه استجمع قواه وقال:

- «لا يهمني فهي وظيفة كباقي الوظائف».

- «معك حق، لِمَ لا نُجرب إذن؟»

أمسك حازم بالسكّين الذي معه وأخذ يُقطّع ويُحدّث جروحًا في قدمي ذلك الرّجل، إن قلّت لك أنه كان يرسم لوحة فنيّة فلن أكون كاذبًا، انتهى به الأمر في النهاية بعد أن انتهى من خطّ كلمة: «(الحانوتي)»، ثم نظر إلى سيّد الذي كان يصرخ ويتوسّل إليه من شدّة الألم فقال:

- «فنان!، وظيفة كباقي الوظائف».

- «ماذا تريد يا حازم، قل ما تريد دون تضييع لوقتك ووقتي».

- «هل تعتقد أنك ما زلت تملك الوقت يا سيّد؟ لقد انتهى الوقت بالنسبة لك، فأنت ميت لا محالة، ولكني أستمع قليلًا بتعذيبك، رغم أن ما أفعله هذا لا يُسمّى تعذيبًا بالمرة، وإمّا هو مُجرّد لعب أطفال، وهذا إكرامًا لك نظرًا لمكانتك لديّ ليس أكثر».

- «وهل ترضى أن يُفعل هذا بأحد أقربائك؟»

نظر حازم إليه بشدّة ثم قال:

- «لم أكن أرضى ولكنكم فعلتم، وها أنتم تدفعون الثمن الآن».

وأخذ يصفع سيّد مرارًا وتكرارًا على وجهه ثم قال:

- «ما رأيك إذن؟ هل ترى الأمر مُتعبًا؟! بإمكانني أن أجعلك تُقبّل قدمي إن أردت حتى تتخلّص من كمّ التعذيب الذي يمكنني أن أقوم به في جسدك، ولكنني أرفق بحالك جدًّا، لذلك فمن الأفضل أن تخرس وتتركني أقوم بعملتي».

- «وماذا ستفعل إذن أيّها العامل؟»

كان سيّد يحاول استفزاز حازم بشدّة، فانفجر الآخر فيه وهو يقول:

- «إن كنت تريد هذا، سترى إذن».

أخرج من جيبه تلك الأداة التي يُقَطَّعون بها اللحم، والتي يُطلق عليه اسم السَّاطور، وبقوّة وجهها باتجاه رقبة سيّد ثم رماها فاستقرّت على الوريد الودجي بالتحديد، ما نتج عنه خروج سيل من الدّماء ملأ سريره وكلّ مكان حوله، بينما كان حازم يجلس على كرسيّ بجوار السرير وهو ينظر إليه بعد ما قتله وهو مُستمتع بالمنظر جيّدًا حيث قال:

- «جعلتني أنتهي منك سريعًا، ولكن لا مُشكلة، بإمكانني أن أجرب فيك باقي الأشياء وأنت ميّت، على الأقلّ حتى لا تُزعجني مُجدّدًا».

أمسك حازم بمسدّسه ثم وضعه داخل فم سيّد الذي كان ينزف دمًا وبشدّة ثم أطلق العديد من الطلقات النارية، أحد تلك الطلقات استقرّت في حلقه، والأخرى خرجت من رقبته من الناحية الأخرى، والأخرى أكملت طريقها حيث تريد، ثم قام بعد ذلك وترك العُرفة ثم دلف إلى المطبخ يبحث عن شيء ليؤكل وهو يقول:

- «لقد كانت عمليّة مُتعبة ولم أتناول طعامًا منذ فترة، سيكون جيّدًا أن تشاركني الطعام بروحك».

وقام بتحضير بعض الطعام الذي وجده في الثلاجة وأحضر طبقه وجلس على نفس الكرسيّ بجوار سرير ذلك الرّجل وأخذ يأكل وهو يقول:

- «لا أدري لِمَ أردت أن تثير غضبي، كان بإمكانك أن تتناول معي ذلك الطعام، اممم، ما هذا؟ يبدو أن الثلاجة لم تكن مُتصلة بالكهرباء، لذا فالطعام تقريبًا أصبح فاسدًا».

ثم أمسك بالطبق ورماه في وجه سيّد فانكسر وتساقطت مُحتوياته عليه ووسط كلّ هذا انطلقت ضحكاته بشدّة من الموقف، لقد كان مُستمتعًا وهو يسخر منه حتى بعد أن قتله، كان مُستمتعًا وهو يراه مذلولًا أمام عينيه في اللحظات الأخيرة في حياته، أخذ يضحك مُجدّدًا ثم قال:

- «كنت أريد أن أكمل هذا الحوار اللطيف معك ولكن اعذرني، فأنا أكره الجلوس

مع الموتى، رغم أنهم يكونون أوفياءً أكثر من الأحياء في الكثير من الأحيان». ثم اتجه ناحيته وأمسك برأسه وأخذ يُردّد الكثير من الكلمات غير المفهومة وتصادع الدخان المُعتاد مرّة أخرى حتى ظهر فاخفت جُثة سيّد وكان حازم قد انصرف بالفعل تاركًا عقارب السّاعة مُتوقفةً كالعادة على السّاعة الرّابعة صباحًا!

* * *

استيقظ كامل من نومه وكأن شيئًا ما قد أثار تفكيره، أخذ يُفكّر في الجرائم المُتوالية ثم طرق أبواب تفكيره للحظة أمر ما، فأخرج أحد الأوراق المُتواجدة بجانبه وأخذ يكتب الآتي:

- «مُعَلِّم صديق لشخص يعمل في شركة لاستيراد الأدوات الطّبيّة، قُتل الأخير في ظروف غامضة يليه الآخر بعد أن وُجد بجانبه ورقة مفادها أن جثته دون كبد وكلية، ما الذي يُمكن أن يودّي إلى مقتل الأخير من منظمة لتجارة الأعضاء البشريّة سوى أنه يمرّ بأزمة ماليّة ويريد بعض الأموال؟ أو أن الأمر كان انتقامًا، فلماذا؟ ما الذي يجعل مُنظمة لتجارة الأعضاء تنتقم من مُعَلِّم لا صلة له بها على الإطلاق إلا إذا كان يعرف أمرًا خطيرًا عنها، إلا إذا كان يعرف أمرًا خطيرًا عنها من شخص كان يعمل بها!!»

كانت تلك الكلمات هي نتاج تفكيره في تلك السّاعة المتأخرة من اللّيل، فقام بكتابة جملة واحدة أسفل هذا ثم علّق الورقة على الحائط الخشبيّ الموجود في غرفته. - «شركة لاستيراد وتصدير الأدوات الطّبيّة هي أفضل واجهة تُغطّي عمل مُنظمة لتجارة الأعضاء البشريّة، شركة بإمكان وظيفتها أن تصل إلى المُستشفيات لاستقطاب الضّحايا!!»

يبدو أن تفكيره قد قاده هذه المرّة إلى الاتجاه الصحيح وهو في كلّ مرّة يُثبت أنه بإمكانه حلّ القضية وحده دون مُساعدة من أحد.

* * *

كان يسير في الطريق بعد أن أنهى عمله، لم يكن عملاً مُعتادًا، فقتل شخص جديد كان مُتعة بالنسبة إليه في هذا اليوم، قطع المسافات مُتجهًا إلى ذلك المنزل الذي يجلس فيه، كان الطريق فارغًا بالطّبع، فمن سيسير في مثل هذا الطريق في الرّابعة

صباحًا؟! لا أحد بالطَّبع، ظلّ يقطع المسافات حتى وصل إلى المنزل، لم يدري ما الذي جعله هذه المرّة يقوم بتمرير يده على تلك اللافتة الرّخامية التي عادة ما يُكتب عليها اسم صاحب المنزل، كانت مليئة بالأتربة، حاول أن يمسحها بيده حتى تبين له الاسم وأصبح واضحًا في وسط كلّ هذا الظلام الدّامس، اقشعرّ جسده بعد أن قرأ الاسم: «عابد سلام الأسيوطي»! دلف سريعًا، لم تصل أصابعه بعد إلى مفاتيح الإنارة حتى سمع صوتًا أجشًا يشق الظلام ويقول:

- «مرحبًا بالحفيد!!»

* * *

الفصل السابع: الحفيد .

«يُقال أن أقرب الأبناء إلى القلب هم الأحفاد، ولكن الجديد هو أن العهود تنتقل من الأجداد إلى الأحفاد، تلك العهود التي تكون أمورها مُربّية بعض الشيء في البداية، ولكنها لا تلبث حتى تتّضح وتظهر على حقيقتها، تلك الحقيقة المُسمّاة بالحقيقة المرّة!!»

كان في منتصف تلك العُرفة الفسيحة والنيران حوله من كلّ جانب، ظلّ يصرخ من شدّة الفزع حتى سمع نفس الصوت الغليظ وهو يقول:
- «باسمه تنطفئي!!»

* * *

يوم السّبت ٤ / ٦ / ٢٠١١، الساعة العاشرة صباحًا.
ألقي كامل الأوراق المتواجدة في يده على الأرض ثم قال بغضب:
- «كيف ذلك؟ هناك شيء خاطئ».
ردّ كريم قائلًا:
- «كلّ شيء كما هو أمامك الآن، لا توجد أيّ علاقة تربط بين شريف وصالح أبدًا، لا يعرفون بعضهما على الإطلاق».
- «حسنًا يا كريم، اخرج أنت الآن ودعني أفكّر في الخطوة المُقبلة».
خرج كريم بينما دخل العسكريّ بسرعة مُعطياً كامل ظرفًا أسودًا ثم قال:
- «لقد وصلك هذا الظرف منذ قليل يا حضرة الضّابط».
أمسك به كامل بسرعة ثم أخذ يقرأ مُحتواه والذي كان كالآتي:
* * *

في الحقيقة، تصرّفاتك وأنت حائر لا تدري في أيّ اتجاه تسير تُعجبني جدًّا، لا أدري هل أتركك هكذا وأجعلك تُحاول كشف الحقيقة أم لا، ولكنني فضّلت أن أساعدك، دعنا نفترض أن كلّ ما وصلت إليه صحيح، شركة استيراد وتصدير الأدوية ليست كما يُشير اسمها، إنها مُنظمة لتجارة الأعضاء كما توصّلت، الحقيقة أن الشيء الوحيد الخاطئ الذي فكّرت به هو أن تحاول ربط شريف بصالح، لذا سأضعك على أوّل الطريق الجديد، هناك حقًا علاقة ما تربط بين شريف وياسر عليك اكتشافها، ثم أكمل البحث وراء ياسر، إن توصّلت إلى ذلك ستستطيع حلّ اللغز بأكمله، صدّقني، فأنا أريدك أن تصل إليّ، ولكن في الوقت الذي أريده أنا، ما دُمت لم تصل إليّ قبل أن تحدث خمسة أشياء جديدة، فتكون قد انتصرت عليّ، وإن اكتملوا خمسة، لن تجدني أبدًا، ووقتها ستخسر كلّ شيء، هناك مُفاجأة ستعجبك ستكتشفها في الغد،

* * *

أنهى كامل قراءة تلك الرسالة ثم وضعها على المكتب وهو يقول:
- «لَمْ لا أسير في هذا الطريق؟! لن أخسر شيئاً».
خرج من مكتبه بعد أن قرّر أن يكتشف العلاقة التي تربط شريف بياسر.
* * *

يوم الأحد ٥ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الثالثة صباحاً.
ها هو يُمارس نفس الطقوس اليومية التي اعتاد أن يفعلها منذ أن بدأ في رحلة الانتقام، حتى يدخل إلى ذلك الشعور الذي يُسمّيه على حد قوله (المُود)، دائماً ما يشعر بالذنب تجاه ما يفعله، ولكنه قد بدأ ويتوجّب عليه إنهاء ما بدأه، يتوجّب عليه الوصول إلى النهاية، تلك النهاية التي طرقت أبوابه منذ سنين، وها هو الآن يُحاول الوصول إليها مرّة أخرى، النهاية المحتومة لكل بداية من مثل هذا النوع، أنهى تجهيز حقيبته التي يحملها معه كالعادة، نظر إلى الخلف ثم قال بهدوء:
- «كنت على حق، ولكنني لا أملك إلا هذا الخيار، سنتحدّث بعد أن أنهي الاثنين القادمين، ووقتها سأخبرك بكل شيء».
خرج وذلك الشّخص الذي كان يُحدّثه ينظر إليه وهو يُردّد:
- «ما زلت تملك الفرصة لإنهاء كلّ شيء، العهد بانتظارك أيّها الحفيد!»
* * *

في نفس الوقت كان كامل يقرأ ما توصّل إليه من معلومات بعد رحلة طويلة من البحث، تلك التي انتهت به إلى ما أخذ يكتبه في الورقة الموجودة أمامه:
- «ياسر هو أحد أصدقاء شريف، في الفترة الأخيرة التي سبقت قتل شريف، كان الاثنان يتردّدان على منازل بعضهما كأن هناك شيء مُهمّ يجمعهما، بعد مقتل شريف، دخل ياسر شقة شريف لغرض ما، ولكن يبدو أنه لم يعثر عليه، أمّا ياسر فقد تواصل بعدها بشخص عاطل يدعى صالح، حسبما أفاد تقرير شركة الاتصالات، كانت المُكالمة مفادها أن صالح لديه ذلك الشيء الذي يبحث عنه الآخر، وبعد أن حصل عليه ياسر، قُتل صالح في اليوم التالي».

كان ذلك كل ما توصل إليه كامل حتى الآن، إلا أنه أخذ يفكر ويقول:
- «لم يتبق إلا وليد، إذا سرنا فالترتيب، فلا بد من وجود علاقة تربطه بياسر، لأن وليد هو من طلب إعادة فتح التحقيقات في قضية مقتل ياسر، يجب أن أكتشف ذلك!»
* * *

أخذ يسير في الظلام بين الأثاث المتناثر في المنزل بطريقة عشوائية، تلك هي حياة كل من يعيش أعزبًا، ظل يسير حتى وصل إلى غرفته، أخرج مُسدّسه من جيبه ثم صوّب إحدى طلقاته فوق سريره بنحو ٣ سنتيمترات فقط، ثم قال بغضب:
- «استيقظ أيها الغبي!!»

أخذ جسد أحمد يرتعش من الفزع جرّاء ما سمعه، وأخذ يصرخ ويقول:
- «من هنا؟!»
- «هل استطعت أن تنسى صوتي يا أحمد، دعني أذكرك مرّة أخرى، أنا قدرك الأسود، أنا (الحنوتي)!!»

أخذ أحمد يصرخ من فرط الخوف وهو يقول:
- «ماذا تفعل هنا يا حازم؟!»
مرّر حازم أصابعه باتجاه مفاتيح الإنارة وما أن أشعلها حتى نظر أحمد إليه وهو يصوّب مُسدّسه تجاه رأسه وهو يقول:
- «هل علمت الآن ماذا أفعل هنا؟! أنت غبي جدًا كما كنت أقول، لم تتغيّر أبدًا، ما زلت كما أنت».

- «هل ستقتلني يا حازم، هل ستقتل صديقك المقرب؟!»
- «أتعرف ما المشكلة؟ أنك صديقي، عفوًا، كنت صديقي، والآن قد تغيّر كل شيء، أو بالأحرى قد تغيّر كل شيء منذ أن أخبرتني بأمر المنظمة في البداية».
- «افهمني يا حازم، لقد فعلت كل هذا لأجلك».

- «نعم نعم، طلبت مني الانضمام لكم في المنظمة لأجلي، رفضت فقتلتهم والدي لأجلي، كتبت شقيقتي عن المنظمة فقتلتموها لأجلي، هل تدرك ما تقوله أنت؟!»
- «أقسم لك يا حازم أنني لم أكن أعرف أي شيء عن كل ما حدث، ولم أكتشف ذلك إلا كما عرفت أنت، حتى أن السيّد عمرو لم يُخبرنا بذلك، لقد أمر سامح فقط دون

أن نعرف أي شيء».

- «لا تذكر غيرك في غيابك، سيأتي دورهما وأنا مُتفرِّغ للانتقام منكم جميعًا».

ابتسم أحمد بمكر ثم قال:

- «للأسف، أنت مُخطئ هذه المرّة».

ما لبث أن قال تلك العبارة حتى انقض على حازم وأمسك الاثنان ببعضهما مُحاولًا كلّ منهما الإيقاع بالآخر والنيل منه، سقط المُسدّس على الأرض فحاول أحمد الإمساك به ولكنه فشل فأبعده حازم بقدمه ثم أخرج سكينًا كان يحملها مُحدثًا لأحمد جرحًا قاطعًا في مفصل يده اليمنى ممّا نتج عنه أن صرخ أحمد وسقط على الأرض فأمسك حازم برأسه وهو يصرخ قائلاً:

- «هل تعتقد أنني سأسمح لك أن تُفلت مني؟ اعذريني فقد أثبت لي أنك غيبًا للمرّة الثالثة يا صديقي العزيز».

وقف حازم مُمسكًا بيد أحمد التي جرحها سابقًا ثم ألقاه في الصّالة الخارجيّة وقبّده في أحد الكراسيّ المُتواجدة هناك، ثم جلس أمامه وقال:

- «هكذا أفضل، عاجلاً أم آجلاً سأخلّص منك، ولكن قبل أن يحدث ذلك لا بدّ أن أتحدّث إليك قليلاً».

- «ماذا تريد؟»

- «أتعرف أنك الوحيد الذي لم تطلب مني أن أرحمك؟! إنك غريب».

- «لأني أعلم أنك إن عزمت على شيء مهما حدث فإنك ستُنْفِذه، لذلك فأنا أعلم أنك ستقتلني، لن أطلب منك أن ترحمني، لأنني أعلم أنني ارتكبت خطأ ولا بدّ أن أدفع ثمنه».

- «دعك من كلّ هذا الهراء، إن كان عليّ فلن أتحدّث معك أبداً، ولكن قدرني دائماً ما يُلقيني أمام الأغبياء، لذا فأنا لا أملك خياراً آخر».

- «ماذا تريد مني؟»

- «لماذا أنا؟ لماذا أنا بالذات، لماذا أنا هو الشّخص الوحيد الذي كان يجب أن تُجبروه على الانضمام للمُنظمة؟»

- «لأن الأوامر كانت تُحتَم علينا ذلك، الأوامر يا حازم التي جرّبتها بنفسك وعلمت

ما نتيجة عدم تنفيذها».

- «أم أنها كانت محضُ صُدفة؟»

- «لم تكن صُدفة يا حازم، لا يوجد شيء يُسمَّى صُدفة في هذه الحياة، كل ما يحدث مُدبَّر».

- «وماذا إن نفذت طلبك بالانضمام مُنذ البداية؟»

- «لا يُمكنني الجزم بما كان سيحدث، ولكنني أتوقع أن والدك كان سيظل على قيد الحياة».

- «هل سألت نفسك للحظة إن كنت في نفس موضعي ماذا كُنت ستفعل؟»

- «لا أحب أن أضع نفسي مكان أحد، ولكن إن افترضنا حدوث ذلك، فلن أترك من فعل ذلك أبدًا».

- «لذلك أنت لا تُمانع أن أقتلك».

- «جميعنا سنموت، وأنا أفضل أن أموت على يد صديقي».

نظر حازم إلى أحمد نظرة احتقار ثم بصق في وجهه قائلاً:

- «لم تحترم الصداقة يومًا يا أحمد، لذلك فأنت كغيرك لا بُد أن تسير في نفس اللعبة حتى تلقى مصيرك النهائي».

- «لعبة؟!»

- «مُجرد لعبة بسيطة عليك أن تسير في كل مراحلها حتى أستطيع قتلك، كنت أتمنى أن أقتلك بسرعة ولكنني أخبرتك أنك كغيرك، لا بُد أن أراك وأنت تتعذب أولًا حتى أستطيع قتلك بهدوء».

- «وما هي تلك اللعبة؟»

- «في الحقيقة، أنت الشَّخص الأول الذي سأخبره عن اسمها، لأنه مُناسب لك جدًّا،

(أصول العذاب في تعذيب الأصحاب)، سَحَقًا لك يا صديقي!!»

أنهى حازم تلك العبارة ثم أخرج من جيبه قَدَاحته ذات الشعلة العالية ثم أمسك بيد أحمد التي جرحها من قبل والتي كانت تنزف دمًا حتى الآن ثم حرقها بالنيران ليكوّن تلك العبارة المُعتادة: «(الحانوتي) لم يمت»، في ظلّ صرخات أحمد من الألم تحدّث حازم قائلاً:

- «ما رأيك في هذا؟ ما زلت في أولى المراحل، وتلك اللعبة لا يُحدّد عدد مراحلها أحد غيري، وحظك هو من سيتحكّم في عددها اليوم، اعذرني يا صديقي، فأنت كغيرك!»
أنهى حازم عبارته تلك، ثم أمسك بقدّاحته مرّة أخرى، ولكن هذه المرّة أمسك الأصبع الأوسط لأحمد ثم أشعل النيران فيه، احترق أصبعه بعد ثوانٍ ثم أخذ حازم يضحك بخبث كعادته في ظلّ صرخات أحمد من الألم ليقول:

- «لقد أحببتك وأنت تتألّم، هل سمعت عن رواية تُسمّى (الأسود يليق بك)؟ إنها النسخة المؤلمة منها، ولكنها تُسمّى (الألم يليق بك)، هه!»

- «وما العبرة من كلّ هذا يا حازم؟ لِمَ لا تقتلني سريعاً؟!»

- «كفّك مُزاحاً يا أحمد، لقد راهنت على أنك الوحيد الذي ستعرف إجابة هذا السؤال، ولكن يبدو أنك فشلت، سأتركّم وأعطيك الإجابة المفصّلة، يجب على كلّ من اشترك في قتل والدي وشقيقتي أن يُعاقب، ستخبرني أنك لم تكن من فعلت هذا وأنه سامح، أعلم، ولكنك عضواً في تلك المنظّمة الحقيرة، لذا لا بدّ أن تلقى عقاباً على هذا، بالتأكيد أنت تعلم ذلك المثل الذي يقول أن الشر يعمّ والخير يخصّ، دائماً ما كان هذا المثل يتردّد على السنة مُعلّميناً أثناء الدّراسة، يمكنني الجزم بأنه الشيء الوحيد الذي استفدته من دراستي دوناً عن كلّ شيء».

- «ولكنك ستقضي على مُستقبلك يا حازم وأنا أخاف عليك».

تحوّل تعبير وجه حازم إلى الغضب ثم صرخ في وجه أحمد قائلاً:

- «أيّ مُستقبل تتحدّث عنه؟! مُستقبل من فقد كلّ شيء قد يُبقيه على قيد الحياة؟! مُستقبل من يعيش بلا أحد؟! مُستقبل من أصبح قاتلاً وأصبح هذا واقعه الأبدي؟! أيّ مُستقبل تتحدّث عنه يا أحمد؟! لقد انتهى مُستقبلي، وكلّ ما أفعله الآن هو الخطوات الأخيرة للنهاية، تلك التي لا بدّ أن أسير فيها عاجلاً أم آجلاً حتى أنتهي من كلّ هذا».

- «لقد فقدت عقلك بالتأكيد».

- «أنت الوحيد الذي سمحت له بكلّ هذا الوقت، ولكن علينا أن نستأنف اللعبة، اسمح لي أن أغيب عنك للحظات، سآتي سريعاً».

دخل حازم إلى غُرّة نوم أحمد وأخرج من حقيبته التي ألقاها هناك حبلاً طويلاً

بنهايته عُقدة كتلك التي تُستخدم في عمليّات الشنق، ثم خرج وعلّقه في مروحة الصّالة الخارجيّة وحلّ قيد أحمد عدا يديه ثم قال:

- «بالتأكيد تعلم اختبار الولاء الذي تقوم به المُخابرات قبل أن تُجند شخصًا لصالحها، يمكنني أن أعتبر أن هذه المرحلة من اللّعبة هي التي ستحدّد هل أنت صالح لاستكمالها أم لا، إن نجوت كان بها وإن لم تنجُ فستكون قد فزت بالموت، جميع الناس يهربون من الموت إلا في لعبتي، الجميع يطلبونه».

أمسك حازم بأحمد ثم أوقفه على الكرسيّ ولَفّ تلك العُقدة حول رأسه ثم أشعل النيران في الحبل من الأعلى ونزع الكرسيّ قائلًا:

- «عليك أن تصمد حتى تتمكّن النيران من الفتك بالحبل، ذلك هو التحديّ».

أخذ أحمد يحاول التنفس ولكن الأمر كان صعبًا، جرّب أن تتوقف عن التنفس للحظات وانظر ماذا سيحدّث لك وبماذا ستشعر، ما يُواجهه أحمد كان أصعب بكثير، وفي نفس الوقت كانت النيران تشق طريقها على الحبل، وصل جزء منها إلى رأس أحمد الذي بدأ يشتعل بسببها، كان أحمد يُحاول الصّراخ ولكنه فشل، حتى الصّراخ لم يكن ممكّنًا في تلك الحالة، ظلّ على هذا لثوانٍ حتى انقطع الحبل وسقط أحمد على الأرض والدّماء تسيل من فمه، هل مات؟ في الحقيقة كان حظّه أسوأ من أن يموت في المراحل الأولى من اللّعبة، ما زال حيًّا مع الأسف، استمرّ حازم في الضّحك وهو ينظر إليه ثم قال:

- «أعترف أنك انتصرت عليّ في هذا التحديّ ولكن التحديّات كثيرة ما دُمت حيًّا يا صديقي».

عجز أحمد عن النطق في ظلّ حالته في نفس اللّحظة التي أخذ فيها حازم البحث في حقيبته عن شيء ما، استمرّ في البحث لثوانٍ حتى أخرج زُجاجة صغيرة من القهوة وجعل أحمد يرتشف منها بعض القطرات بالقوّة ثم قال:

- «بعد نصف ساعة بالضّبط إن لم تمت، فسيبدأ هذا السمّ في العمل وسيُساهم في الفتك بك بسرعة، القهوة يبدو طعمها لذيذًا، ولكنك لا تشعر بطعم الزرنيخ أبدًا الآن».

صرخ أحمد من شدّة الفزع ولكن حازم قال سريعًا:

- «لتدرك فقط أنني أحبك يا صديقي».

استمرّ حازم في الضحك بسخرية مُجدِّدًا ليقول:

- «هل جرّبت أن تصنع ختمًا على جلدك من قبل؟»

- «ماذا تقصد؟»

أمسك حازم بالسكين ثم أمسك بذراع أحمد وأخذ يخطّ العديد من الخطوط التي كوّنت نقشًا في النهاية باسم (الحنوتي) والآخر ما زال يصرخ من شدة الألم وهو يقول:

- «لِمَ لا تقتلني الآن بدلًا من أن تُتعب نفسك؟»

- «في الحقيقة كنت أودّ أن أفعل ذلك، ولكن يجب أن تخوضوا جميعًا نفس اللعبة، العدل يا صديقي، أحاول أن أكون عادلاً قدر المُستطاع».

- «لن أطلب منك الرحمة، فأنا أعلم أنك قد فقدت عقلك بالتأكيد».

- «لا وقت لهذا، في الحقيقة، أنا لا أملك الوقت الكافي لمناقشتك، لذا سأشرع في المرحلة الأخيرة مباشرة».

أخذ حازم يدور في الصّالة الخارجيّة وهو ينظر إلى أحمد، ثم أمسك بالسكين الخاصّ به واتجه نحوه، وضع يده على رأسه وأمسكها بإحكام وهو يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، وأثناء ذلك قام بتمرير السكين الذي كان يحمله على رقبة أحمد ببطء، وأنت تعلم ما حدث بعد ذلك، سيل من الدّماء انفجر منه وأخذت القطرات تتساقط على الأرض واحدة تلو الأخرى في ظلّ تصاعد كمّية كبيرة من الدخان الأسود في الغرفة، بعد ثوانٍ عادت الغرفة كما كانت، ولكن اختفى أحمد بالطّبع، نظر حازم إلى قطرات الدّماء الموجودة على الأرض، ومن ثمّ قام بتمرير أصبعه في الدّماء واتجه نحو الحائط لكتابة العبارة المعهودة: «(الحنوتي) لم يمت»، وانصرف من حيث أتى تاركًا الشقة في وضع لا تُحسد عليه، أنت تعلم بالتأكيد أن ساعة الحائط لا شكّ في أنها متوقفة الآن على الرّابعة صباحًا!

* * *

يوم الأحد ٥ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الواحدة مساءً.

كانت سيّارات الشرطة تُحيط بمحل سكنه، الضباط يُسرعون بمنع كلّ من يحاول

الصعود إلى شقته، وفي نفس الوقت كان ضباط المعمل الجنائي يرفعون البصمات من على كل شيء في الشقة، عجوز مذبح في شقته مع كتابة نفس العبارة المعهودة على الحائط: «(الحنوتي) لم يمت»، (الحنوتي) وراء مقتل طبيب كان يعمل في المشرحة! كانت هذه هي بعض العناوين التي اتخذتها الصحف بعد اكتشاف الحادثة على الفور للفوز بالسبق الصحفي، أما الضباط فبعد اكتشاف الجريمة في الصباح كان تقرير الطب الشرعي جاهزاً الآن، أمسك كامل بالتقرير مُحاولاً فهم أي شيء ولكن لا أمل، جميع المعلومات كسابقتها، بعد انتهائه من القراءة قام بإلقاء التقرير على الأرض وهو يصرخ في وجه صديقه ويقول:

- «إلى الآن لم نتمكن من القبض عليه، هذا الجاني يُحرّكنا كدُمية ونحن لا نفعل شيئاً جديداً، أخبرني ما الذي يمكننا فعله الآن؟»

أخذ كريم يُهدئ من روع كامل ثم شرع في الحديث قائلاً:

- «أخبرني أنت إلى ماذا وصلت في عمليات البحث التي تقوم بها؟»

- «ملخص القول والمجهول الآن هو أنه هناك علاقة تربط بين وليد وياسر، حينما نكتشفها سنفك اللغز، وفي نفس الوقت، شركة استيراد وتصدير الأدوات الطبية هي واجهة لعمل مُنظمة لتجارة الأعضاء البشرية، يجب أن ندخل تلك الشركة، سأعثر على كل شيء هناك بالتأكيد».

- «من جديد؟ أتذكر الذي حدث لك حينما حاولت دخول شقة سالم الأسيوطي؟ ألم تتعلّم بعد؟!»

- «لن يمنعي شيء عن دخول الشركة يا كريم، سأفعل ذلك ولكن حينما أعثر على طبيعة العلاقة التي تربط وليد بياسر، ما العلاقة التي قد تربط ضابط شرطة بصحفي سوى أن الضابط يُعطيه معلومات ليتمكن من الكتابة؟»

نظر كريم إلى كامل بعمق وهو يقول:

- «أو أن الصحفي يطلب من الضابط الحماية».

دُشش كامل حينما سمع العبارة وكأنه علم أن كريم حقاً على صواب ليقول:

- «هذا ما لم أفكر فيه حقاً، يبدو أنك على صواب الآن، ياسر يريد الحماية من وليد بعد أن امتلك ياسر المعلومات التي أخذها سابقاً، دعنا نفترض أن تلك المعلومات

تخصّ المنظّمة، إذن لا بُدَّ أن...»

لم يكمل كامل حتى قاطعه كريم قائلاً:

- «إذن لا بُدَّ من أن ياسر يمتلك السرّ كله».

- «والعمل؟»

- «ماذا تنتظر؟ عليك أن تعرف تفاصيل علاقة وليد بياسر، وأثناء ذلك يجب أن

أعرف الجريدة التي كان يعمل بها ياسر قبل أن يُقتل، ومن هناك سأتمكّن من معرفة بعض التفاصيل الأخرى بالتأكيد».

- «جيد، بعد أن ننتهي يجب أن تُقابلني في منزلي لنُجمّع ما حصلنا عليه ونخرج بنتيجة إيجابية تُفيدنا بعد رحلة البحث هذه».

- «حسنًا».

انصرف كلّ منهما في طريقه، في نفس اللحظة التي وُضع فيها ظرفًا أسودًا من مجهول تحت باب شقة كامل!!

* * *

يوم الأحد ٥ / ٦ / ٢٠١١ الساعة السابعة مساءً.

كعاداته لا يهتمّ بشيء إلا رغباته، كان سامح يجلس مع صديقه التريّ ثروت ليكمل له القصة المعهودة، قصة صاحب التربة الملعونة، شرع ثروت في الحديث قائلاً:

- «لا أدري لِمَ لا تخاف على حياتك يا رجل، لقد قُتل اثنين من أصدقائك وأنت تجلس هنا؟!»

- «لا يهمني الموت، أرى أن كلّ ما يحدث هذا مُجرّد ترّهات، لن يستطيع الوصول إليّ، لقد وصل إليهما لأنهما غيبان ولن يستطيع الوصول إليّ لأنني أذكي منهما».

- «في الحقيقة، ما تقوله لا يُصدّقه أحد، لا تغضب مني، ولكن الظاهر للجميع أنك غبيّ هه».

- «ستعلم كلّ شيء في النهاية، لا أحبّ أن أظهر للجميع جميع تفاصيل حياتي، ولكنها ستُكتشف في الوقت المناسب».

- «ما هذا الغموض يا رجل، لم أعهدك هكذا».

نظر سامح إلى الفراغ الذي أمامه ثم أعاد بصره لثروت مُجدّدًا وقال:

- «لا عليك، أكمل لي القصة حتى لا نُضيّع الوقت».
- «أين توقفنا؟»

* * *

يوم الخميس ١٦ / ٨ / ٢٠٠١ الساعة الثالثة صباحًا.
كان عابد يجلس مع صديقه حسين في شرفة غرفته ليبدأ الأول قائلاً:
- «لا أدري لِمَ أنت مُصرٌّ على إخفاء تفاصيل حياتك حينما كنت في الصّعيد».
- «لا أرى أنها تفاصيل ستفيدك إن عرفتُها، لا تُشغل نفسك بهذه الترهّات يا عابد، اهتم بما تفعله فقط».
- «حسين، أنت صديقي مُنذ الطفولة، أعلم أن هُناك شيء كبير تُخبئهُ ولا تريد أن تُخبرني به، لماذا تفعل هكذا؟»
- «لا أريد أن أملأ عقلك بتلك الأشياء غير المُهمّة».
- «لماذا تقول هذا؟ يا حسين ما قد يعلمه الجميع أنك المُساعد الخاصّ بي، ولكن الحقيقة غير ذلك، أنت أستاذي يا حسين، هل نسيت كيف بدأت أنا في هذا الطريق، أنت أوّل من ساعدتني».
- «أخبرتكَ أُنّي لا أريد تذكّر الماضي، ولكن ما دمت أنت من بدأت، لذا سأخبرك بما كنت أفعله في الصّعيد».
- «حسنًا».
- «كانت زيارتي للصّعيد زيارة عمل، كانت هُناك روايات قديمة تقول أن هُناك منطقة في المُحافظة التي كنت أذهب إليها تحتوي على مقبرة لأحد السّحرة القُدامى، كنت أودّ أن أكتشف هذه الأسرار وأعلم عنها كلّ شيء».
- «وماذا حدث لك؟»
- «ما رأيته أصعب من أن أقصّه عليك، لقد رأيت ما لا تتحمّله عين إنسان، لم تتساءل من قبل عن سبب كون شعر رأسي بتلك الدّرجة من اللّون الأبيض كعجوز في نهاية عمره، حينما دخلت المقبرة كان الأمر طبيعيًا، كان طبيعيًا في أول خمس دقائق، وحينما تعمّقت ووصلت إلى الدّاخل، وجدت غُرفة كبيرة بها الكثير من الأثاث، كنت أنقل نظري حول الحوائط وكلّما نظرت إلى حائط ما وعدت إليه بعد النظر إلى الآخر

أجد ما كُتب عليه قد تغيّر، وقتها علمت أن ذلك السّاحر لم يمت، وأن تلك المقبرة ما هي إلا بوّابة لعالمه الخاص».

- «ولمَ لم تهرب؟»

- «أيّ هُروب تتحدّث عنه وأنت في مقبرة ساحر؟! مُجرّد أن خطرت الفكرة على بالي أغلقت الأبواب، وظهر لي السّاحر، كانت تفاصيل وجهه مُخيفة، إن لم أقل لك أنه كلّه كان مُخيفًا أصلًا، ليس كبشر، لقد كان أشبه بالجان حينما تظهر بشكلها الحقيقي».

- «وماذا فعلت؟»

- «الاستسلام في مثل تلك المواقف يا صديقي هو الحلّ، طلب مني أن...»
لم يلبث حسين أن أكمل جملته حتى سمع الاثنان طرقًا لأحد على باب الشقة، علما أن الضّحيّة الجديدة قد أتت، وقتها قال عابد:
- «سأنهي الأمر سريعًا وأعود لك، يبدو أن هناك الكثير من الأشياء التي يجب أن تقصّها عليّ».

ذهب عابد باتجاه (غُرّة جلسات الحضور) لاستقبال الضّحيّة الجديدة بينما كان حسين يُفكّر فيما قاله للأوّل، كان يستعيد ذكريات تلك الأيام، لم تكن جيّدة في الحقيقة، لقد كان الأمر أكبر من أن يتحمّله بشر، حاول أن تتخيّل وجودك داخل مقبرة، وأيّ مقبرة تلك، كانت مقبرة لساحر، وضع يديه على وجهه مُحاولًا الخروج من تلك الحالة التي كان فيها، ظلّ في تفكيره حتى سمع عابد يخرج من تلك الغُرّة وهو على يقين بظهور العبارة الجديدة.

* * *

تمّت المرحلة الثالثة.

* * *

- «دائمًا تُحبطني».

ابتسم ثروت بمكر وهو يقول:

- «كلّ شيء سيحدّث في وقته يا سامح، الصّبر».

- «ما زلت صبورًا، صبورًا عليك مُنذ أوّل يوم بدأت فيه بسرّد تلك القصة اللّعينة».

- «يُستحسن أن تُعادر، اختبئ في منزلك حتى لا تُلاقى ما لاقاه أصدقاءك».
ظَلَّ ثروت يضحك بمكر على سامح الذي همَّ بالمغادرة فور سماعه لتلك العبارة.
* * *

يوم الأحد ٥ / ٦ / ٢٠١١، الساعة التاسعة مساءً.

كان حازم يجلس كعادته في منزل جدّه، كان الظلام يُحيط بالمكان، فضّل الجلوس في الصّالة الخارجيّة للمنزل، كانت أفكاره هي الوحيدة المُسيطرَة عليه، لم يكن يعلم ما الذي يجب عليه أن يفعله بعد أن وصل إلى تلك الحالة، شخص فقد والده وشقيقته دون أن يكون لهما أيّ ذنب في ذلك، ومع ذلك هو القاتل الذي تبحث عنه الشرّطة مُنذ أشهر، هو (الحانوتي)، هو السّبب في كلّ جرائم القتل التي تحدّث، هو السّبب في كلّ شيء، لأوّل مرّة مُنذ أن بدأ في تنفيذ المراحل الأخيرة ممّا يفعله يأتيه شعور يحثه على البُكاء، على أيّ شيء يبكي، وما معنى البُكاء في عُرْف قاتل مثله، لم يكن يملك إجابات لكلّ تلك الأسئلة سوى أنه فضّل البُكاء والصّمت، وفي وسط تلك الدوّامة وكأنه استيقظ ممّا كان فيه، أخذ يكفكف قطرات دمعته وهو ينظر إلى الفراغ الموجود أمامه، كان يتخيّل نفسه كهذا الفراغ، لم يكن خيالاً على الإطلاق، بل كان حقيقة، هو بالفعل مُجرّد فراغ بالداخل، شخص طبيعيّ وضعت الظروف في مكان لا يخصّه، هو أيضاً غير مسؤول عمّا يحدث له، جميع ما يفعله كانت ردود أفعال تجاه كلّ ما قبله في حياته، شعوره الدّاخليّ كان كشعورك حينما تُلاقى الإهانة ويحتقرك الجميع ثم تأتيك الفرصة التي تتمكّن فيها من الرّدّ على كلّ من كانوا سبباً لحدوث ذلك، صدّقني، وقتها لن تملك عقلاً لتفكّر في مدى مشروعيّة ما ستفعله أم لا، كلّ ما سيسيطر على عقلك هو الثأر وأخذ حقك، تماماً كأهل صعيد مصر الذين اتخذوا من الثأر منهجاً لحياتهم، لا تقل لي أن القانون موجود ولا تخبرني بكلّ هذه الخرافات، أعلم بوجود القانون، ولكن حتى مع وجوده، أنت الشّخص الوحيد المُخوّل بأخذ حقك في القوانين، ولكنها قوانين عقلك، أنت الوحيد الذي ستشعر بلذة الانتصار حينما تأخذ حقك بيدك، حينما تنتزع الحياة من شخص لا يستحقها لأنّه فقط أخطأ في حقك، أو عاقبك على شيء لم تكن أنت السّبب فيه، لا يمكنني أن أجسّد لك ما كان حازم يشعر به الآن، لأنّه حقّاً شعور فوق الوصف، كلّ ما أعرفه

أنه من وسط كل تلك الأفكار، أعاد نظره إلى مكان صورة جدّه التي كانت مُعلّقة على الحائط، لم تكن ظاهرة بسبب الظلام، ولكنه مدّ يده ليضيء الأنوار ليتفاجأ بيد قد وُضعت فوق يده في أثناء قول صاحبها بصوته الأجشّ كلمة واحدة: - «مرحبًا بالحفيد!!»

* * *

في مثل هذا الوقت كان كامل يجلس مع صديقه كريم بعد أن التقيا في شقة الأوّل بعد رحلة بحث طويلة عن وليد وياسر ليبدأ الأوّل حديثه قائلاً:

- «مُستجّدات البحث كانت في صالحنا، لقد كان وليد هو الذي يحتمي ياسر به، يبدو أنه حقًا كان قد اكتشف بعض المعلومات المُهمّة عن تلك المُنظّمة السّالف ذكرها، ولكنه لم يلبث أن بدأ النشر حتى قتله سريعًا، ألم أخبرك أنني يجب أن أدخل مبنى تلك الشركة».

- «المصيبة ليست إلا في الجريدة التي كان ياسر يعمل بها».

- «تكلّم، أيّ جريدة تقصد؟»

- «إنها التي كانت تعمل بها سلمى!!»

- «سلمى؟!»

- «ليس هكذا فقط، بل أن وليد هو الذي أعطاهها المعلومات التي كان ياسر ينشر منها».

- «إذن يجب علينا أن نحصل على تلك المعلومات بأسرع فرصة».

- «ولكن كيف؟»

صمت كامل لبرهة ثم قال مُسرّعًا:

- «وفاء!!»

- «صديقتها؟!»

- «نعم، إنها هي، وفاء قرّرت أن تُكمل النشر، ولكن رغبتها في النشر كانت محتومة على مُحاولَة إظهار الشّخصيّة التي كانت سلمى تنشر باسمها، أقصد (سّلام الميّت)، كانت مقالاتها مُبهمة عن القضية، أي لم تضيف شيئًا جديدًا».

- «هذا يعني أنها لا تملك المعلومات».

- «كريم، وفاء هي الوحيدة التي سنستطيع الوصول إلى المعلومات من خلالها».

- «ليس لدينا إلا احتمالين، الأول أن تكون سلمى قد تخلّصت من المعلومات وهذا مُستحيل».

- «والآخر؟»

- «أن تكون المعلومات في شقتها أو في مكتبها، والاثنتان لن نتمكّن من الوصول لهما إلا عن طريق وفاء أيضًا».

- «ماذا تنتظر إذن؟ يجب أن تتصل بها وتحدّد موعدًا معها لتقابلها».

- «على الفور».

أخرج كامل هاتفه واتصل بوفاء طالبًا منها موعدًا مُحدّدًا لأجل أمر مُهمّ، لم يخبرها بالتفاصيل ولكنهما اتفقا على أن يكون الموعد في مقهى بجوار الجريدة، أنهى كامل المُكالمة سريعًا وهو يُبدّل نظره بين أرجاء الشقة ليتفاجأ بوجود ظرف أسود تحت باب الشقة!!

* * *

يوم الإثنين ٦ / ٦ / ٢٠١١، الساعة العاشرة صباحًا.

مرّت السّاعات سريعًا وجميع الأطراف على أتمّ الاستعداد لتلقي معلومات مُهمّة علّها تفيد في سير التحقيقات، اجتمع كلّ من كامل وكريم بالإضافة إلى الطرف الأهمّ، وفاء، لم يكن الوضع يحتمل الانتظار أكثر من هذا فشرع الأول في الحديث قائلاً:

- «وفاء، أنتِ الوحيدة التي كنتِ قريبة من سلمى جدًّا».

أطرقت وفاء بنظرها ثم استطردت قائلةً:

- «ماذا تريد يا حضرة الضّابط».

- «هناك معلومات نودّ أن نعلمها منك بخصوص سلمى».

- «أيّ معلومات تريدونها؟! أيّ معلومات وقد قُتلت صديقتي دون أن تتمكّنوا من القبض على الجاني».

هنا نطق كريم بسرعة وقال:

- «أستاذة وفاء، أنتِ هنا لتساعدينا، لسنا في تحقيق رسمي أو ما شابه، ولكننا نعلم أنكِ الوحيدة التي يمكنكِ الإجابة على ما نريد».

=====

- «تفضّل».

أخذ كامل يستنشق الهواء ثم قال:

- «من أين حصلت سلمى على المعلومات التي كانت تنشرها في مقالاتها قبل أن تقتل؟»

- «أيّ معلومات تقصد؟!»

- «بخصوص قضية (الحنوتي)، لقد علمنا أنها أخذتها من ياسر بطريقة غير مباشرة، يجب أن نحصل على هذه المعلومات، إنها سبيلنا الوحيد للإمساك بالجاني».

- «ولكن سلمى...»

قاطعها كريم قائلاً:

- «ما بها؟»

- «لم تخبرني أين وضعت تلك المعلومات».

- «لا يُهمّ، في الغالب لن تكون في مكان غير منزلها أو مكتبها الخاص، أخبريني هل دخل أحد مكتبها منذ الحادثة؟»

- «أنا فقط».

هنا قال كامل مُسرّعاً:

- «لا وقت لدينا، إذن يجب أن نصل إلى المكتب بسرعة ونبحث عن المعلومات».

استطرد كريم قائلاً:

- «بالطبع لا نريد إثارة الانتباه، ستصلين إلى مكتبك أولاً ثم سنأتي لكِ وكأننا أشخاص عاديّين نريد مُقابلتك».

- «حسنًا».

بعد نصف ساعة تقريبًا كان الجميع في مكتب سلمى القديم، أخذ كلّ منهم يُحاول البحث عن المعلومات، علّها تكون في أسطوانة مُدمجة، أو ملفات، أو حتى أوراق مُتناثرة ولكن دون جدوى، لم يتمكنوا من العثور على أيّ شيء، هنا قالت وفاء:

- «إذن شقتها، سلمى لم تكن تذهب إلى أيّ مكان غريب، من الجريدة إلى المنزل، ومن المنزل إلى الجريدة».

- «هل لديك نسخة من المفتاح؟»

- «بعد الحادثة حينما تمّ كسر الباب قمت بتركيب قفل حديديّ له ليؤدّي المُهمّة فقط، لم أكن أهتمّ إلا أن تُغلق الشقة وفقط، بغض النظر عن الوسيلة».

استغلّ كامل الفرصة قائلاً:

- «إذن ماذا ننتظر، علينا الذهاب الآن».

خرج الجميع مُتجهين إلى شقة سلمى والتي لم تكن بعيدة عن مقرّ الجريدة، بعد أقلّ من نصف ساعة كان الجميع هُناك بالفعل، اقتسموا الأدوار فقد قام كلّ منهم بالبحث داخل أحد الغرف، ظلّت عمليّة البحث مُستمرةً لأكثر من ساعتين، ليُسَلِّم الجميع للواقع ويجلسوا فاقدٍ الأمل، هُنا تحدّث كامل بنفاذ صبر دون أن يتمكّن من السيطرة على غضبه:

- «أضعنا ثلاث ساعات كاملة دون العثور على شيء، سُحقاً لهذا الهُراء!»

نطق هذه العبارة وهو يُلقي بقفل الباب على مرآة أمامه بقوة ليتفاجأ بما رآه! هُناك خزانة مُخبّأة وراء المرأة!!

- «سُحقاً لهذا، ألم نُفكّر لحظة في ذلك؟!»

وقف الجميع مُتجهين إلى الخزانة، نظر كريم إليها ليُدرك أنها تُفتح ببصمة الإصبع، هُنا قالت وفاء:

- «وكيف سنتمكّن من فتحها إذن؟»

نظر إليهم كامل ثم قال:

- «وفاء، هل لك أن تتذكّري أي إصبع كانت سلمى تستخدم لبصمة هاتفها».

نظرت وفاء إلى الأعلى ثم قالت:

- «في الغالب كانت تستعمل السّبابة».

- «هل لي أن أجد لاصقاً شفافاً في هذه الشقة اللّعينه؟!»

أجابته وفاء مُسرعة:

- «سأبحث لك عنه».

أخذت تبحث سريعاً حتى وجدت واحداً وأعطته إيّاه ليقول:

- «توقعاتي كانت في محلّها، هل لي بحاسب آليّ هُنا؟»

أجابت وفاء قائلة:

- «جهازها المحمول عادة ما كانت تضعه في عُرفه نومها».

دخلت وعثرت عليه سريعًا ثم عادت، أمسك كامل بالفأرة الخاصة بالجهاز ثم وضع اللاصق على مكان الإصبع في الزر الأيسر، حظّه أنه كان مُحدّدًا بلون مُختلف، نزعه وعاد إلى الخزينة من جديد ووضع اللاصق على مكان البصمة لتُفتح بعد عدّة مُحاولات، ليقول كريم بهرح:

- «أنت ذكيّ جدًّا».

نظر له كامل باحتقار فأشار له كريم بإشارة مفادها أنه يعتذر عن ذلك، نظر كامل داخل الخزينة ليجد أسطوانة مُدمجة موجودة داخل غلاف كُتب عليه: «سري».

- «يجب أن نعرف مُحتوى تلك الاسطوانة، يُفترض أن تكون ما نبحت عنه».

قام كامل بتشغيل الجهاز ثم وضع الأسطوانة بداخله لتُفتح ويُصعق كامل ممّا رآه!!

* * *

يوم الثلاثاء ٦ / ٧ / ٢٠١١، السّاعة الثانية صباحًا.

- «لا شيء لديّ سوى الاستماع إلى قصّتك اللّعينة».

نطق سامح بهذه العبارة بعد أن دلف إلى عُرفه ثروت وهو يحتسي كوبًا من الشايّ بسُرعة دون أن يُنبّهه بذلك، فكان ردّ فعله الطّبيعيّ أن سكب الكوب الذي بيده في وجه الأوّل الذي أخذ يصرخ جرّاء ما تلقاه من إهانة في تلك اللّحظة، ناهيك عن أن الكوب كان ساخنًا، ولكن سامح لا يهتمّ إلا بكرامته، فكرامة الإنسان فوق كلّ كوب شاي ساخن، صرخ في وجهه قائلاً:

- «ماذا فعلت يا غبيّ؟ لقد اشتريت هذا القميص بالأمس وها أنت قد قضيت عليه»

.

أخذ ثروت يصيح من كثرة الضّحك وهو ينظر إلى سامح الذي كان قميصه مُلطّخًا بدقائق الشاي السّوداء ثم قال:

- «جزّاء من لا يُلقِي السّلام أوّلًا حينما يدخل على البشر، ألم تتعلّم ذلك في طفولتك أيّها الغبيّ؟»

استمر ثروت في الضّحك فقابله سامح بسبّة بذينة ثم بصق على وجهه وهو يقول:

- «دائمًا ما كنت أقول أنك غبيّ ولكني لم أتأكد من ذلك حقًا إلا الآن».

- «خُلاصة القول، ماذا تريد يا مُستغَل؟»
- «أُكمل لي قصَّتكَ اللَّعِينَة، لقد مللت الانتظار».
- «هذه ستكون آخر مرّة أقصّ عليك فيها شيئًا، للأبد!»
- «أكره كثرة الحديث، هيّا أُكمل».

* * *

- يوم الخميس ١٦ / ٨ / ٢٠١٠ السّاعة الرَّابِعة صَباحًا.
- كان عابد قد انتهى من أحد الصّحايا التي تُجلب له من طرف ذلك الرّجل الذي يريد المال، عاد سريعًا إلى حسين ليستكمل حديثه قائلاً:
- «لقد انتهيت من تلك الصّحيفة الغيبيّة، دائماً ما أكره الأغبياء، ظهرت تلك العبارة الخاصّة بكلّ مرّة».
- نظر إليه حسين نظرة لم يفهم معناها ثم أكمل قائلاً:
- «أُكمل لي الآن قصّة ذلك السّاحر، ماذا حدث؟»
- «الأمر سيّطول، لذا دعنا نجلس في الدّاخل حتى لا يسمعنا أحد».
- دخل الاثنان إلى صالة المنزل ثم شرع حسين في الحديث قائلاً:
- «سأخبرك كيف بدأت الأمور».
- شرع حسين في سرد القصّة لعابد.

* * *

بدأ الأمر حينما سمع حسين بعض الآراء والحديث عن مقبرة لساحر يُدعى حارق تقع في إحدى محافظات صعيد مصر، لم يكن يعلم أحدًا ما سرّ تسميته بهذا الاسم، في الواقع لم يكن أحد يريد أن يعرف أيّة معلومات تخصّ ذلك السّاحر، أثار الأمر فضول حسين فسافر على الفور لمُحاولة دُخولها، ومن المعروف في بلدنا أن كلّ شيء يسير بالمال، لذلك فقد استطاع أن يعرف مكان المقبرة، ليس ذلك فقط، بل مع الورقة المالِيّة الثّانية كان قد أصبح بداخل المقبرة بالفعل، كان حسين يحمل في يديه مصدر إنارة، ذلك الذي كان يُطلق عليه في العُرف قديمًا اسم الكُلوّب، ظلّ يُتابع خُطواته ببطء في المقبرة، كان يوجّه الإنارة إلى أحد الجوانب وينظر إلى مُحتواها، كانت نقوش غريبة، غريبة بالنسبة لشخص طبيعي لا يتعامل مع الجن والسّحر، ولكنها لم تكن

غريبة إلى من يتعامل مع تلك الأشياء، ولكن رغم ذلك فحينما نظر إليها لم يستطع أن يفهم شيئاً، ولكنه سرعان ما تبادر إلى ذهنه أشياء كثيرة وكأنه بدأ يفهم محتوى تلك النقوش وما تُشير إليه، الأدعى من ذلك أنه حينما كان يشير بالإشارة إلى جانب آخر ثم يعود إلى الأوّل يجد أن محتواه قد تغيّر، ظلّ هكذا يتقدّم، وصل بعد ذلك إلى صور وأشكال غريبة، حاول أن يفهم ما ذاك، ولكن كانت الصور تشير إلى معانٍ كثيرة، كانت أحد الصور لشخص يجلس على كرسيّ، كان الكرسيّ مُشتعلًا بنيرانٍ سوداء، ورغم ذلك كان الرّجل يجلس على الكرسيّ بشكل طبيعيّ جدًّا وكأن شيئاً لم يكن، أمّا أمامه، فقد كان يقف عدد من الأشخاص، كلّ منهم يقف خلف الآخر وكأن اصطفاهم خلف بعضهم يُشير إلى الحقب الزمنية التي ينتمي كلّ شخص منهم إليها، وعلى جانب آخر وُجدت صورة لشخص يقف أمام شابّ خلفه طفل، كان الطفل يُمسك بآلة حادّة في يده اليمنى عليها الكثير من الدّماء وأمامه عدد كبير من الأشخاص المقتولين، وفي يده اليسرى يُمسك بصحيفة أو مخطوطة كُتِب عليها الكثير من الطلاسم، لم يفهمها في البداية، ولكن المعنى تبادر إلى ذهنه مرّة أخرى، كأن عهدًا ينتقل من الجدّ إلى حفيده الأوّل، ظلّ يتابع بنظره ما هو موجود على الجدران، فقد كان يسير في ممَرٍّ يوصل في النهاية إلى غرفة واسعة، حينما وصل إلى الغرفة وقف أمام جدار وأخذ يُحاول تفسير تلك النقوش، رفع رأسه وظلّ ينظر نفس النظرة التي ينظرها كالعادة متأملاً الفراغ الشاسع وسط الظلام الدّامس ليقطع شروده إضاءة جميع المصابيح فجأة.

- «ما هذا؟ أنا وحدي هنا!!»

لُجِيب عليه صوت غليظ ومرتفع.

- «ومن قال لك أنك وحدك؟!»

سمع هذه العبارة ثم وقع مغشيًا عليه حينما رأى ظلًّا لأحدهم يظهر أمامه من العدم، ظلّ مغشيًا عليه لمدة نصف ساعة تقريبًا حتى استيقظ على نيران مُشتعلة تحيط به، كان في منتصف تلك الغرفة الفسيحة والنيران حوله من كلّ جانب، ظلّ يصرخ من شدّة الفزع حتى سمع نفس الصوت الغليظ وهو يقول:

- «باسمه تنطفئي!!»

انطفأت النيران وأظلمت العُرفة ثم أنارت من مصدر غير معروف، أدار حسين وجهه ناحية اليسار ليجد شخصًا يُحدِّق فيه بشدة ثم صرخ قائلاً:

- «من أتى بك إلى هنا؟!»

صُعق حسين من شدة الفزع وحاول الحديث ولكنه تلعثم ليكمل حارق قائلاً:

- «مرحبًا يا حسين، أظن أنني لا أعرفك؟ أنا أعرف كل شيء عنك، منذ مُساعدتك لصديقك عابد الذي ضحك عليك وأصبحت مُساعدًا له وأنت أستاذة في الأصل، مرورًا بكل ما فعلته في حياتك، وسؤالك عني حتى وصولك إلى هنا، كل شيء أعلمه عنك».

نظر حسين إلى حارق بخوف شديد ثم قال:

- «وكيف علمت كل ذلك؟»

ضحك حارق بشدة ثم قال:

- «لم أتوقع أنك غبي لهذه الدرجة، عيب عليك يا رجل أن تطرح عليّ سؤالًا بهذا الشكل».

نظر حارق إليه ثم استطرد قائلاً:

- «ليس غريبًا على ساحر أن يعلم كل هذا، هذا ليس مُهمًا الآن».

- «ماذا تريد إذن؟ اتركنتني لأذهب».

- «كيف أتركك تذهب وأنت من أتيت إليّ بقدميك، يجب أن تأخذ حق الضيافة».

تردّد حسين وهو يقول بخوف:

- «ماذا تقصد؟»

أغمض حارق عينيه ثم تمتم ببعض الكلمات التي صرخ حسين على أثرها ثم تحدّث الأولى مرّة أخرى قائلاً:

- «ستبقى العلامة في ذراعك الأيسر للأبد، حتى تتذكرني يا صديقي هه».

نظر حسين إلى ذراعه الأيسر ليجد حرقًا بالنيران كُتب به اسم السّاحر، حارق، ليكمل قائلاً:

- «ما أردت أن أعلمه لك يا حسين أن البشر دائمًا ما يُحاولون التدخل في العالم الآخر، وجراء ذلك عُقدت العهود والقرايب بين البشر وعشائر الجن، والتي على أثرها أصبح البشر مُلزمين بالوفاء بتلك العهود للأبد، حيث ينتقل العهد من الجدّ إلى الحفيد

ومن الحفيد إلى حفيده وهكذا، ونتيجة ذلك، ضاعت العهود وعجز البشر عن الوفاء بها، لذا فكلُّ حقبة زمنية ستحدُّث فيها مذبحة بشرية لبعض طوائف البشر التي لها علاقة بتلك العهود، في كلِّ حقبة زمنية سيظهر غول بشريّ يرتكب مذابح دامية بين البشر، ثم يختفي بطرق مختلفة في كلِّ مرةٍ».

- «وأيَّ حقبة تلك التي سيظهر فيها الغول القادم؟»

- «لن أخبرك بموعدها، ولكنها في القريب العاجل، القريب الذي أقصده قد يكون بعد عشر سنوات من سنوات البشر أو أكثر قليلاً، المهمُّ أنك ستعرف الغول حينما يظهر، ستعلم كلَّ شيء حينما يحدث، وقتها لن قملك له إلا السمع والطاعة، سيكون الغول القادم هو ملعون هذا الزمان، احتس من إيذاء الملعون، وإلا فستدفع الثمن غالباً، ابتعد عن طريقه يا حسين».

- «وما المصلحة من ظهوره؟»

- «على البشر الذين برموا العهود مع عشائر الجن أن يدركوا أن الجن والخدم ليسوا لعبة في أيديهم، وإنما هم عالم مثلهم وأفضل منهم أيضاً، يجب عليهم أن يدركوا بُعد ما فعلوه، حتى لا يُكرّرونها مرةً أخرى».

- «وماذا عني؟»

- «سأتركك تخرج هذه المرة لتنقل هذا الحديث إلى عابد وغيره، أنا أعلم أنك لن تمتلك الجرأة على العودة هنا مرةً أخرى يا حسين، أنت أحقر من أن تكرّرها».

- «علم».

- «ومن يخالف العهد، أو يفكر حتى في مخالفته والدخول في تحدٍّ مع الجن سينتهي،

سيُذبح، سيُنْفى، سيحترق! هل سمعتني؟!»

صرخ حارق في وجه حسين بغضب قائلاً:

- «سيحترق، سيحترق، سيحترق».

كرّرها حارق عدّة مرّات ثم وقع حسين مغشياً عليه واشتعلت النيران مرةً أخرى وأحاطت به، وبعد ثوانٍ أخدمت النيران ولكن، أين حسين؟! *

- «وماذا بعد ذلك؟»

قالها عابد فردّ عليه حسين قائلاً:

- «استيقظت ووجدت نفسي أمام باب المقبرة الذي كان مُوصداً وكأنه لم يُفتح منذ عشرات السنين، وظللت منذ حدوث هذا بتلك العلامة الموجودة على ذراعي الأيسر، حارق».

نظر إليه عابد ثم قال:

- «الأمر لم ينتهِ بعد، هُناك الكثير من الأشياء التي ستحدث مُقبلاً، يجب أن أشهد كلّ تلك الأشياء بنفسني لأفهم كلّ شيء».

نظر له حسين نظرة مُعبرة ثم قال:

- «هُناك الكثير من الأشياء التي يجب أن لا نُحاول فهمها، لأنها أكبر منا جميعاً».

ضحك عابد قائلاً:

- «أكبر منك أنت، سترى كلّ شيء قريباً».

انصرف عابد تاركاً حسين الذي كان ينظر إليه وهو يكرّر: «ستدفع الثمن غالياً».

* * *

- «يتبقى لنا جزءاً بسيطاً من القصة وأكون قد أنهيت سردها بالكامل لك».

قالها ثروت فردّ عليه سامح ضاحكاً:

- «شاكرين لك الأفضال يا سيّد ثروت هه».

لم يلبث أن قالها حتى اشتعلت التربة مُعلنة قدوم الثالثة صباحاً فردّ سامح قائلاً:

- «إنها التحية، أريد أن أدخل تلك التربة يا ثروت، هل ستساعدني؟»

- «يمكنني أن أفعل ذلك، ولكن انتظر حتى أكمل لك الجزء الأخير من القصة، وبعدها افعل ما تشاء، لن أوقفك عن شيء تريده».

- «دائماً ما يُراودني شعور داخلي عن الرّغبة في دخولها يا ثروت، هُناك سرّ يجب أن أكتشفه بنفسني، لن يدّيني عليه أحد إلا أنا».

- «أيّ سرّ تقصد؟»

- «لا أدري ولكنه مُجرّد إحساس الآن، ولكنني سأتأكّد من ذلك حتماً».

نظر إليه ثروت وهو يقول بضحك:

- «حينما تصل إلى نتيجة أخبرني يا ملك المشاعر».

استطرد سامح بهرح:

- «حسنًا، عليّ أن أذهب الآن، وداعًا يا سيادة التربيّ».

نظر له ثروت بعمق بعد أن انصرف وهو يقول بعدم اقتناع:

- «وداعًا، من يدري علّها تكون من المرات الأخيرة!»

* * *

يوم الثلاثاء ٧ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الثالثة صباحًا.

في هذا الوقت تقريبًا، كان حازم يُعدّ عدّته للقيام بالمهمّة التالية، لم تكن الأخيرة بالنسبة له، ولكنه كان ينتظر تلك المواجهة منذ زمن، انطلق حازم مُتجهًا إلى أحد القصور الواقعة في منطقة فخمة من مناطق القاهرة، كان قصرًا، أو ما يمكن أن يُطلق عليه اسم الفيلا، بالطبع تبادر في ذهنك أنها الخاصّة بالسيد عمرو، في الحقيقة، لأن لا أدري لِمَ يُطلق عليه هذا اللقب، رغم أنه في الحقيقة لا يستحقه، لن أقصّ عليك كيف استطاع حازم أن يدخل، لأنك تعرف أن هذا الشّخص بالذات لا يقف أمامه شيء، لنمرّ إلى المهمّ، ظلّ يسير ببطء حتى وصل إلى غرفة نومه، في فكره، كان السيد عمرو هو الأحقّ بأن ينال الرّصاصة الأولى من خزانة مُسدّسه، صوّب باتجاه يده اليسرى، بالتحديد الأصبع الأوسط، ثم سدّد، انطلقت الرّصاصة تشقّ المسافة حتى استقرّت في أصبعه، استيقظ على إثرها وظلّ يصرخ غير مُدرك لما حدث، مدّ يده بسرعة لإضاءة الغرفة بتلك المصابيح التي يُطلق عليها اسم الأباچورة، رأى وجه حازم فارتعد خوفًا، فأطلق حازم الرّصاصة التالية على المصباح فاخفتت الغرفة وسط الظلام، وفي وسط صرخات السيد عمرو بدأ حازم حديثه قائلاً:

- «مرحبًا بالمُدبّر الأوّل لمقتل والدي وشقيقتي!، أبدعت، حقًا أبدعت ولا كذب في قولي».

صفق له حازم بيديه ببطء ناظرًا إلى أصبعه الذي ينزف دمًا وهو يتسم ويقول:

- «لن تستطيع استعماله الآن للأسف ولكن، هل ستُصدّقني إن أخبرتك أنني قد نسيت لِمَ أتيت إلى هنا».

صرخ السيد عمرو بغضب وهو يقول:

- «ماذا تُريد أيّها الغبيّ؟!»

أطرق حازم ملياً ثم أعاد بصره إلى السيّد عمرو وهو يقول:
- «هناك جملة علّمتها لأحمد لا يرحمه الله ليسكنه جهنم السوداء مثله، علّمته أن يُقدّر قدرات من أمامه، وهو حتى لا أكذب عليك تعلّمها، تعلّمها بحق حتى استقرّت روحه هناك».

أشار حازم بأصبعه إلى الأعلى ليردّ عليه السيّد عمرو قائلاً:
- «أحمد كان غيبياً، وأنا لست مثله، سأندّمك على ما فعلته هذا».
مدّ السيّد عمرو يده وهو يُحاول العثور على مُسدّسه ليُكمل حازم باقتناع قوله:
- «معك حق، أنت من اخترت هذا».

أطلق حازم طلقة أخرى من مُسدّسه في كفّ يد السيّد عمرو الذي ظلّ يصرخ من شدّة الألم والأول كان يصرخ أيضاً، ولكن من شدّة الضحك، ثم تابع حازم بهدوء وهو يقترب من السيّد عمرو ويقول:
- «كنت وما زلت لا أحبّ العنف يا سيّدي».

خضع السيّد عمرو وهو يقول:
- «وماذا تسمّي أفعالك الآن؟!»
ابتسم حازم وهو يبتعد وينقل نظره باتجاه الغرفة بقوله:

- «كلّ ما أفعله هو مُجرّد نقطة في بحر العنف، يمكنني أن أندّمك على كلّ أفعالك مذ ولدتك أمّك حتى الآن دون أن أقترّب منك حتى، ولكنني لا أحبّ هذه الطريقة، أنا أحبّ الدّماء وأعشقها».

قالها ثم اقترب من السيّد عمرو ووضع أصبعه على يده التي تنزف مُلتقطةً بعض قطرات الدّماء، ثم وضعها في فمه وهو يقول:
- «طعم الدّماء عظيم جدّاً، أنصحك بتجربته».

- «ماذا تريد يا حازم؟»
- «أريد روحك».

أطرق حازم قليلاً ثم تابع قائلاً:
- «بالطّبع لم آتي هنا حتى آخذ روحك النجسة، ولكنني أردت أن أذيقك طعم العذاب قليلاً، وأيّ عذاب تعرفه في حياتك لا يُساوي جزءاً ممّا ستراه الآن، ستخوض

تجربة لن تُكرّرها ثانية، ولن ترى مثلها أبدًا، لأن روحك ستُنزع منك قبل أن تتمكن من محاولة الصّمود».

عاد السيّد عمرو بجسده إلى الخلف قليلا وهو يقول بخوف:
- «ماذا تقصد؟»

- «ستعرف كلّ شيء قريبًا، ولكن هل لسيادة المُدبّر أن يتفضّل علينا ويخرج إلى الصّالة الخارجية حتى نستكمل بقيّة البرنامج؟»

نطقها حازم بسخرية وهو يُخرج من حقيبتة حبلًا قيّد به يد السيّد عمرو ثم سحبه إلى الخارج وأجلسه على كرسيّ وأكمل تقييده ثم قال:

- «الآن نحن على أرض مُحايدة، سألعب معك لعبة بسيطة، إما أن تخرج منها حيًّا، أو تودّعنا ميتًّا، مع أيّ أعرف أنك ستموت، ولكن لا مُشكلة في التجربة».

صرخ السيّد عمرو وهو يتوسّل إلى حازم ويقول:

- «أتوسّل إليك أن ترحمني، أنا آسف على كلّ ما فعلته، خذ كلّ شيء، الأموال وحسابات البنوك والسّيّارات والمنزل وكلّ شيء، خذ كلّ شيء ولكن ارحمني واتركني على قيد الحياة أرجوك».

- «أخبرتكَ من قبل أيّ أريد أن آخذ روحك، والروح شيء معنويّ يا سيّدي».
استطرد حازم بغضب قائلاً:

- «ماذا سأفعل بالأموال والسّيّارات وأنا دون عائلة، لقد لعبت على الوتر الوحيد الذي لا يُمكنني إصلاحه مُجدّدًا، لقد جعلتني أفقد الشيء الوحيد الذي لا يُمكنني تعويضه، عائلتي، وأنا هنا لأقتلك وأخلّص العالم من روحك النتنة».

وقف حازم بغضب ثم أخرج من حقيبتة ذلك السلك الكهربيّ ووضعه في الكهرباء، ثم أمسك بالطرف الآخر العاري منه ووضعه على جسد السيّد عمرو الذي أخذ يهتز من سريان الكهرباء في جسده، نرعه بعد ثلاث ثوانٍ والأخير يصرخ ويقول:
- «ارحمني أرجوك».

- «لقد انتهى زمن الرّحمة، أنا هنا لأعذبك، لقد أتيت إلى الشّخص الوحيد الذي نُزعت من قاموسه كلمة الرّحمة، لقد أخطأت العنوان».

استمرّ في تعذيبه بالكهرباء ثم بقوة دفع جسده من على الكرسي ليسقط على الأرض

وهو يبكي من شدة الألم، ليكمل بعدها حازم قائلاً:

- «الشيء الوحيد الذي أريد أن أعرفه، لماذا أنا؟ لماذا أنا هو الشخص الوحيد الذي كان ولا بد أن ينضم للمنظمة، لماذا اخترقوني أنا بالذات؟!»

- «لم يكن الأمر من رغبتى، لقد كانت أوامر رئيس المنظمة».

- «وأوامر رئيس المنظمة حتمت عليكم أن تقتلوا والدي وشقيقتي أيضاً؟»

تلثم السيد عمرو في قوله ليكمل حازم قائلاً:

- «أعلم أنك من أمرت سامح بهذا».

- «ولم لا تذهب وتقتله هو الآخر؟!»

أخذ حازم يدور في المكان وهو يقول:

- «لا تتعجل يا سيدي، كل من اشترك في مقتل والدي وشقيقتي سينال جزاءه، جميعكم ستقتلون، ولكن كل في وقته المحدد».

- «إذن ماذا تريد مني الآن، إن كنت تريد أن تقتلني فافعل ذلك وارحمني من كل هذا».

تعجب حازم ثم قال:

- «أحببت الموت إذن؟! لم أكن أعرف أن السيد عمرو بجلالة قدره سيحب الموت بهذه السرعة، وحينما تقابله ماذا ستقول له عن كل ما ارتكبته من جرائم دامية؟!»

- «تحدثني هكذا وكأنك لم تشترك معنا، هل نسيت كل من قتلتهم يا حازم؟!»

- «أنا أعرف نهايتي منذ أن اشتركت معكم في تلك اللعبة الحقيرة، وأعلم أن كل ما أفعله كان مجرد رد فعل لما فعلتموه بي، وأعلم أن هذا لا يعفيني من العقاب في الآخرة، ولكنني فضلت أن آخذ حقي بيدي الآن، لا أريد أن أترك من كانوا السبب في تدميرى على قيد الحياة للحظة أخرى».

- «إذن اقتلني الآن ولا تتعب نفسك بكل ما تفعله هذا».

- «ألم أخبرك من قبل أنني أحب العدل والإنصاف؟ جميع من سبقوك خاضوا نفس اللعبة، مع اختلاف مراحلها بالطبع، ولكن في النهاية، يجب أن تخوض جميع المراحل».

وقف حازم ثم أخرج من حقيبتة السكين الخاص به واتجه صوب السيد عمرو ثم

أمسك بذراعه الأيسر وأخذ يخطّ عليه كلمة (الحنوتي) في ظلّ صرخات الأخير من كثرة الألم الذي أصابه، لينتهي بعد دقائق وهو يبتسم ويقول:

- «ما رأيك فيها، حقًا إنها لطيفة جدًّا».

أخرج حازم مُسدّسه وأخذ يحركه أمام السيّد عمرو وهو يقول:

- «تبقت لك رصاصة من مُسدّسي، أين تُريد أن تأخذها؟»

صرخ السيّد عمرو من فرط الخوف وهو يقول:

- «أريدها في رأسي حتى أنتهي من هذا الحلم السيّء».

- «في الحقيقة لن أفعل ذلك، اعذرني يا سيّدي، أريد أن أرى وريدك الودجي وهو ينفجر باستخدام سكينني هذا، ألم أخبرك أنني أعشق تلك الدماء النتنة وأريد أن أخلّص العالم منها، لذلك أريد أن أحتسي دماءك كلّها، ولكن بعد أن أضعها على النيران قليلًا مع إضافة بعض النكهات التي ستعطيها طعمًا مُمتازًا، هه».

ظلّ السيّد عمرو يصرخ قائلاً:

- «يا ربّ!»

أردف حازم مُتعبًا ممّا سمعه قائلاً:

- «ومُنذ متى وأنت تعرفه؟! إن كنت تعرف الله حقًا فأجزم أنك لم تكن لتفعل كلّ هذا».

سكت قليلًا ثم استطرد قائلاً:

- «أعذرني فإني لا أمتلك الوقت الكافي لهذا الهُراء، لديّ ما يجب أن أفعله».

مرّر حازم يده على دماء السيّد عمرو التي كانت تسيل على الأرض ثم كتب بها تلك العبارة المعهودة: «(الحنوتي) لم يمت»، ثم أمسك بالسكين الخاصّ به، ثم اتجه بخفة نحو رأس السيّد عمرو وأخذ يُمرّر السكين ببطء على رقبته التي انفجر عنها سيل من الدماء ذات الرائحة المُقرزة مثل صاحبها وانتشر على الحائط، ظلّ هو يُردّد كلمات غير مفهومة نتج عنها خروج الكثير من الدخان الذي ملأ المكان، وما أن تلاشى حتى اختفى السيّد عمرو وبقي الكرسيّ عليه آثار الدماء، أما الحائط، فقد تشكّلت عليه أحد العبارات الغريبة كعادة كلّ المرات السابقة، في ظلّ صمت ساعة الحائط التي توقفت على الرابعة صباحًا.

يوم الثلاثاء ٧ / ٦ / ٢٠١١، السّاعة الثالثة مساءً.

كان الضّابط كامل يُمسك بتقرير الطبّ الشرعيّ الخاصّ بأحمد الذي اكتُشِفَتْ جثته صباح اليوم وهو ينظر إلى كريم الذي قال:

- «ماذا سنفعل إذن يا كامل، لقد كثرت عمليّات القتل التي يرتكبها ذلك الجاني، لقد مللت الانتظار حتى أعرف التالي».

أخذ كامل يُقلّب في الأوراق المتواجدة على مكتبه حتى أمسك بذلك الظرف الأسود الذي تلقاه منذ عدّة أيّام وهو يقول:

- «حتى ذلك الظرف، لا أدري لماذا يفعل ذلك، كلّ فترة يُرسل لي رسالة غريبة، لا أفهم منها سوى أنه يعرف أنني سأصل إليه، ليس هكذا فقط، بل أنه يُعطيني التفاصيل التي تُساعدني في العثور عليه، لا أدري لِمَ يفعل ذلك، حتى أنني حينما أسير وراء كلّ معلومة أجده على صواب».

ردّ كريم سريعاً:

- «بالطّبع يفعل ذلك لأنه يُريدك أن تصل إليه، ولكن في الوقت الذي يُريده هو وليس أنت، يُريدك أن تصل إليه ولكن بعد أن يقتل كلّ من يريد أن يقتلهم، يُريدك أن تصل إليه بعد أن يكون قد انتهى من كلّ ضحاياه، يريدك أن تصل إليه بعد فوات الأوان يا كامل!»

- «والحلّ يا كريم؟»

- «أعطني ذلك الظرف ودعني أقرأ مُحتواه مرّة أخرى».

أمسك كريم بالظرف ثم أخرج الرّسالة وبدأ يقرأ مُحتواها:

صراحةً لا أدري هل أهتُك على وصولك لكّل هذا أم أحذرك، إن أخبرتك أنني الوحيد الذي أخاف عليك فلن تصدّقني بالطّبع، ولكن هذه هي الحقيقة، الحقيقة أنني لا أريدك أن تصل إليّ تجنباً للمشاكل التي ستواجهها بعد ذلك، لا أدري هل أخبرك من أنا أم لا، ولكنني سأكتفي بالتحذير يا كامل، لا تبحث عني، فحتماً لن تجدني، وإن وجدتني، فسيبحثوا عنك كما بحثوا عني، الأمر ما هو إلا لعنة تُصيب كلّ من يبحث

عني، إذن من أنا؟! سأترك لك الخيار، إمّا أن تُسلّم وتبتعد، أو أن تُفَضِّل الاقتراب من النيران، ولكن تذكّر أن من يقترب من النيران سينتهي به الأمر إلى أن يحترق، تذكّر هذا يا كامل، تذكّر هذا، سيحترق!

* * *

- «والعمل؟»

قالها كريم ليردّ عليه كامل قائلاً:

- «لا أدري يا كريم، ولكن ما أعلمه حقًا هو أنني يجب أن أكمل ما بدأت، يجب أن أضع حدًا لكلّ هذا الهراء».

- «وهل ترى أنك ستتمكّن من فعل ذلك؟ يا كامل، أنت تتعامل مع مُجرم فقد حتى إمكانية الشعور بأنه يُخطئ أو يرتكب جريمة، لقد فقد عقله بالطبع».

- «كلّ هذا لا يُهمّني يا كريم، لقد خضت الأمر منذ البداية واخترت أن أتولّى مسؤولية هذه القضية، لذلك فأنا من يجب أن يملك القرار في الإكمال أم لا، وأنت تعلم أنني لن أستسلم أبدًا ولن أترك كلّ ما فعلته، هو يُريد أن يجعلني أصل إليه في الوقت الذي يريده، سأفعل ذلك، ولكن بطريقتي، سأصل إليه وأوهمه أنني لا أعرفه، حتمًا سأصل إليه يومًا ما».

- «أعرف أنك ستتمكّن من فعل هذا يا كامل وأنا معك، ولكنني لا أريد أن أفقدك، لا أريدك أن تكون ضحية (الغانوقي)».

- «أتذكّر اليمين الذي حلفناه حينما بدأنا بالعمل في الشرطة، حلفنا بالإخلاص للوطن، وإخلاصي لوطني يُحتم عليّ أن أقبض على كلّ من يضرّ بمصلحة الوطن، حتى لو كلّف ذلك حياتي بأكملها، يكفي أنني لم أستسلم لحظة».

- «دعنا من كلّ هذا، هل وصلت إلى وفاء مُنذ آخر لقاء؟»

- «لم أعد بحاجة إليها بعد الآن، لقد عرفنا كلّ المعلومات».

- «ومن أخبرك أن ما عرفته هو كلّ شيء؟!»

- «ماذا تقصد؟»

- «أقصد أن كلّ ما وجدناه لا يُوحى إلّا بأننا عثرنا على الجزء الذي كان يُريدنا أن نعرفه، هناك جزء من المعلومات مُهمّ ليس معنا، هذا الجزء إن وصلنا له سنتعرّف

- على هويّة (الحنوتي)».
- «وأين ترى أنه يمكننا أن نعثر على تلك المعلومات؟»
- «لا أدري، ولكننا حتمًا سنفعل».
- «الأمور ليست مُبشرة يا كريم، مُنظمة لتجارة الأعضاء البشريّة تتقنع بقناع شركة لاستيراد وتصدير الأدوات الطبيّة حتى تتمكّن من الوصول للمُستشفيات بسهولة، لتستقطب الضحايا وتنال منهم في النهاية».
- «ألم يخطر شيء على بالك؟»
- «ماذا؟!»
- «الضحايا الجدد».
- «أتقصد آخر الجرائم التي تمّ اكتشافها؟»
- «نعم، أيّ في تلك الفترة التي تلي مقتل سلمى بالضبط».
- «نعم، ما بهم؟»
- «ألم نقم بتحريّات على الضحايا السّابقين واكتشفنا وجود علاقة تربطهم؟»
- «نعم».
- «إذن من البديهيّ أن يكون كلّ الضحايا الذين تمّ اكتشافهم بعد مقتل سلمى تربطهم علاقة ما أيضًا يجب علينا أن نكتشفها».
- أطرق كامل قليلًا ثم أردف قائلاً:
- «فعلًا، معك حق، ألم أقل لك أنني يجب أن أدخل مبنى الشركة، هناك أشياء كثيرة سنكتشفها إن قمت بذلك».
- «وكيف ستتمكّن من الدخول أيّها الذكيّ، إنه مبنى لشركة في مكان عام، هل ترى أن دخول مبنى شركة في مكان عام بهذه السّهولة؟»
- «ليس مُستحيلًا».
- «ولكنه صعب».
- «ماذا تُريد يا كريم؟»
- «لا أريدك أن تُكرّر ما فعلته حينما دخلت شقة سالم الأسيوطي، هل نسيت ما حدث لك وقتها، لقد تم إيقافك عن العمل يا حضرة الضّابط، يجب أن تحصل على

تصريح أوّلًا».

- «وهل ترى أن الوقوف وعدم فعل ذلك سيجعلني أنهي هذه القضية اللّعينّة؟ حتى التصريح سيأخذ وقتًا، والوقت ليس بصالحنا».

- «على الأقل لن تخسر عملك، تذكّر يا كامل أنك إن تم إيقافك عن العمل هذه المرّة سيتمّ فصلك، ستكون القضية، وهذا ما يُريده (الحانوتي)، يجب أن لا تفعل ذلك أبدًا».

- «على الأقل ليس الآن، سأستمع إلى قولك وسأزيل الفكرة عن تفكيري لفترة من الوقت، علّنا نكتشف شيئًا جديدًا يُغنينا عن كلّ هذا».

- «جيد، وحتى نكتشف ذلك، علينا أن نُقسّم الأدوار».

- «كيف؟»

- «كما كنا نفعل سابقًا، أحدنا يقوم بالتحريّ حول الضحايا الذين قُتلوا بعد مقتل سلمى، والآخر يُحاول الوصول إلى الموقع الذي قد نجد فيه (الحانوتي)».

- «جيد، صحيح يا كريم، هل تذكر حازم نجل سالم الأسيوطي؟»

- «نعم أذكره، الذي مات مُحترقًا في مستشفى الأمراض النفسيّة».

- «يجب أن نضعه أيضًا في الحساب، سنقوم بتحريّات شاملة عن كلّ ما له صلة بسالم الأسيوطي، ابنه وابنته في المقدّمة، وأيّ شخص نشكّ أنه قد يُساعدنا في التحقيقات».

- «هذا جيد، ولكن ما سرّ هذا الحماس المفاجئ؟»

- «ألم تقل أنني يجب أن لا أفقد عملي؟ إن لم أفعل هذا سيُقال عليّ أنني ضابط فاشل، وهكذا سأفقد عملي أيضًا».

- «حسنًا، ولكن إن كنت تريد أن تعمل، فدعنا نذهب الآن، حتى لا نفقد عملنا نحن الاثنان».

- «حسنًا، كما اتفقنا، وسأكلف العديد من المُخبرين ليساعدونا في عمليّة التحريّ».

- «جيد، إلى اللقاء».

خرج كريم بينما أمسك كامل أحد الأوراق الفارغة المُتواجدة على مكتبه وظلّ يخطّ الآتي:

* * *

سالم الأسيوطي، سلمى، حازم، يوسف، جابر، شريف، صالح،
ياسر، وليد، محمود، سيد، أحمد...!

* * *

أنهى ما كتبته يداه ثم أخذ ينظر إلى الورقة وهو يفكر ثم همس: «ربّما!»
* * *

يوم الثلاثاء ٦ / ٧ / ٢٠١١، الساعة التاسعة مساءً.

دلف حازم إلى منزل جدّه بعد إنهاء ضحيّة كانت تُمثل عبثًا بالنسبة له، لم يكن
شعوره الدّاخليّ بالانتصار قد اكتمل بعد، ولكنه قد قارب على الاكتمال، لم يُشعل
مصاييح الإضاءة، بل أخذ يتحسّس الغرف حتى وصل إلى باب غُرْفَة ما، كانت تلك
الغُرْفَة بالذات مليئة بالأتربة دونًا عن بقيّة الغرف، وبالتحديد تلك اللافطة التي تم
وضعها على الباب، أخذ يتحسّس المكتوب عليها حتى لامست أصابعه الحروف،
شكّلت الحروف جملة، (غُرْفَة جلسات الحضور)!!
* * *

أنت الآن داخل مكتب عابد، بالضبط داخل تلك الغُرْفَة التي علّق عليها ورقة كُتب
عليها عبارة (غُرْفَة جلسات الحضور).
* * *

بالطّبع كانت تلك الغُرْفَة هي التي يستقبل فيها جدّه عابد الحالات التي تأتي له،
دلف سريعًا ثم جلس على كرسيّ جدّه وسط الظّلام الدّامس، كانت الأتربة تُحيط
بكلّ شيء في الغُرْفَة، شرد لثوانٍ ليتفاجأ بعدها بسماعه لشخص ما قد قال:
- «مرحبًا بالحفيد!!»

لم تلبث العبارة أن تكتمل حتى تفاجأ بإضاءة جميع مصاييح الغُرْفَة ليرى شخصًا ما
يجلس أمامه، لينطق على الفور ويقول:

- «مرحبًا بالمساعد والأستاذ، مرحبًا حسين!»

- «أنهيت الاثنين المتبقيين؟»

- «نعم».

* * *

أنهى تجهيز حقيبته التي يحملها معه كالعادة، نظر إلى الخلف ثم قال بهدوء:
- «كنت على حق، ولكني لا أملك إلا هذا الخيار، سنتحدث بعد أن أنهي الاثنين
القادمين، ووقتها سأخبرك بكل شيء».

خرج وذلك الشخص الذي كان يُحدثه ينظر إليه وهو يُردّد:
- «ما زلت تملك الفرصة لإنهاء كل شيء، العهد بانتظارك أيها الحفيد!»
* * *

- «أتعلم أنني كنت أنتظر تلك المقابلة منذ سنوات، سنوات وأنا أنتظر تلك اللحظة
التي ستحين وأنا أجلس فيها أمامك الآن وأنت على كرسيّ جدّك عابد».

- «بالطبع لم يكن جدّي يتوقع هذا أليس كذلك؟»
- «بالعكس، لقد كان يتمنى جدّك أن يأتي اليوم الذي يجده فيه تتسلّم العهد منه
شخصيًا، ولكن ما حدث قد منع هذا».

- «هذه هي النتيجة المحتومة لكل بداية من مثل هذا النوع».
- «في الحقيقة يا حازم، لم أكن أعلم أنك ستكون ضدّ استلام العهد، لو كان جدّك على
قيد الحياة لعانى كثيرًا لأجل هذا ولكن...»
قاطعته حازم على الفور:

- «ولكن ما حدث أجبرني على استلام العهد، العهد الذي ظلّ مُعلّقًا طيلة العشر
سنوات الماضية».
- «لم يكن جدّك يتوقع أن يكون ذلك هو العهد الأخير».

نظر له حازم بعدم اقتناع ثم قال:
- «عن أيّ عهد تتحدّث؟! العهد الذي برمه مع عشيرة الجن حتى يحصل على القوة،
العهد الذي شرع بسببه في تدمير نفسه وتدمير كلّ حفيد من نسله؟! العهد الذي
تسبّب في فقداني لمعالم حياتي لمُجرّد أنني لم أكن أملك حلًا غير استلامه؟! عن أيّ عهد
تتحدّث برّيك؟!»

- «يا حازم، لقد فعل جدّك عابد كلّ هذا لأجلك أنت، لأجلك أنت وحدك».
- «كفاك كذبًا، لقد فعل كلّ هذا لأجل نفسه لا غير».
- «وإن كان قد فعل هذا لأجل نفسه فقط، أكنت ستكون أمامي الآن؟!»

سكت حازم قليلاً ثم استطرد حسين قائلاً:

- «لقد ضحى جدك بكل شيء يا حازم، لقد كان يعلم أن العهد الذي برمه يحتاج لقربان كبير، القربان ذو العشرة أشخاص، وكون القربان يتطلب أن يكون أحد الضحايا على صلة قرابة بطالب المال يجعل استكماله أمراً مستحيلاً، ورغم كل ذلك، كان جدك يريد أن يبدأ فيه، حتى ينتقل العهد إليك ويتحرر القربان من ذلك القيد، لقد كان جدك يعلم عاقبة عدم تنفيذ القربان، وقد رأى هذا بألم عينيه قبل أن يبدأ فيه، ولكنه رغم خوفه من العاقبة قرر خوض التجربة لأجلك أنت، لأجل توفير القوة لجميع أحفاد نسل عابد سلام الأسيوطي، كأنه كان يعلم أنك ستحتاج إلى ذلك العهد في حياتك، وتأتي أنت بعد كل هذا وتكر فضل جدك عليك؟!»

- «لا يهمني ذلك الحديث العقيم، سواء كان العهد يصب في مصلحتي أم لا فأنا لست هنا لأجل هذا، ما يهمني الآن أن القربان لم يتبق منه سوى شخصين».

- «ومن أين ستحصل عليه؟»

عاد حازم بكرسيه نحو الورا ثم استلقى بظهره وقال:

- «لقد حصلت على أحدهم بالفعل، إنه الشخص المتبقي، إنه ذلك الذي قتل والدي وشقيقتي، لن يكون قليلاً عليه أن يموت في سبيل إكمال هذا القربان».

- «ومتى ستفد؟»

- «التنفيذ يكون في كل يوم فردي، في الثالثة صباحاً، نفس الوقت الذي مات فيه جدي، نفس الوقت الذي تحترق فيه تربته منذ عشر سنوات وحتى الآن».

- «ولكن يا حازم...»

قاطع حازم على الفور بغضب:

- «ولكن ماذا؟ يكفي أنني اقتنعت بإكمال ذلك العهد، أليس لديك اعتراض على أي أفعال لي؟»

- «مُتسرع كجدك، لم يكن هذا مقصدي، إنما كنت أريد أن أخبرك أن القربان الأخير لا بد أن يؤخذ في منزل جدك».

- «أتقصد في هذه الغرفة؟»

- «نعم».

التفت حسين إلى الخلف ثم أشار نحو شيء فوق مدخل باب الغرفة وهو يحدّق بشدة، لقد كان يُحدّق في القلادة!!

* * *

قلادة كان منظرها غريبًا، كان عابد يُعلّقها على الحائط المُقابل له، بالتحديد أعلى مدخل باب الغرفة، إن أردت أن أصفها لك فلا مانع، لقد كانت قلادة مُختلفة في الشكل، لا يمكنني أن أطلق عليها قلادة ذهبية، فاللون الذهبيّ فيها لم يكن خالصًا، كان عليها طبقة من لون غريب، لا تستطيع أن تُميّز ماهيّته من بعيد، أما إذا اقتربت وحاولت لمسها، ستجد أن ملمسها كملمس جلد البشر! في الحقيقة، كانت تلك الطبقة الموجودة على القلادة جزءًا من جلد بشريّ، أو بالأحرى عدّة قطع منه، أي أنها ليست من جلد شخص واحد!!

* * *

أشار حسين إلى القلادة ثم قال:
- «هذه القلادة هي التي تحمل كلّ شيء الآن، القلادة التي تحمّل جلد الذراع الأيسر لكلّ ضحيّة من الضحايا للعهد».
- «أتقصد أن جُثّة كلّ ضحيّة كانت تعود مسلوخة جلد الذراع الأيسر لهذا السّبب؟»
- «نعم، هذه القلادة هي التي ستجلب لك القوّة حينما تنهي العهد، يكفي أن تصبح معك وستكون القوّة والحماية بحوزتك».
- «يبدو أن الأمر خطير، في الحقيقة، فضولي يدفعني لإكماله لأعرف النهاية، دونًا عن أني أفعل هذا لأخذ حقي ممّن قتلوا والدي وشقيقتي».
- «سيكتمل العهد، ووقتها ستعلم كلّ شيء، وبدلًا من خادم جدّك المطيع الذي كان معه سيُصبح لديك عشيرة كاملة تحت خدمتك، وكلّما زادت العهود كلّما زادت العشائر التي تخدمك».
- «أين هو إذن؟»
- «مिमون؟! إنه حبيس تربة جدّك منذ عشر سنوات، بإكمالك للقربان سيتحرّر وسيصبح خادمك الأوّل والمقرّب».
- «يبدو أنني كان يجب أن أكمل القربان منذ فترة طويلة».

- «لا مشكلة، المهمّ الآن هو أن تُكمّله في الموعد المُحدّد».

- «سيحدّث، عليّ الآن أن أنصرف، فهناك الكثير من الأشياء التي تنتظرني».

- «بإمكانك الذهاب، وأنا سأظلّ هنا، تلك الغرفة لن تُفتح إلا بيدك أنت بعد الآن، وداعاً أيّها الحفيد!»

انصرف حازم بينما ظلّ حسين يُحدّقه بنظرات غير مفهومة، أغلق عينيه وهو يتذكّر حديث حارق عن الحقبة الزمنية المجهولة، ما زالت عبارته تتردّد في أذنه مُنذ ذلك الوقت.

* * *

- «لن أخبرك بموعدها، ولكنها في القريب العاجل، القريب الذي أقصده قد يكون بعد عشر سنوات من سنوات البشر أو أكثر قليلاً، المهمّ أنك ستعرف الغول حينما يظهر، ستعلم كلّ شيء حينما يحدّث، وقتها لن تملك له إلا السّمع والطاعة، سيكون الغول القادم هو ملعون هذا الزمان، احتس من إيذاء الملعون، وإلا فستدفع الثمن غالباً، ابتعد عن طريقه يا حسين».

* * *

أخذ حسين يُكرّر العبارة في نفسه عدّة مرات، حتى فتح عينيه مُجدّداً وهو يحدّق نحو القلادة من شدّة الفزع، ثم صرخ وهو يقول:

- «الملعون!!»

* * *

الفصل الثامن: الملعون .

«قد لُعِن وانتهى الأمر، لذا لا تتعجّب إن وجدته قد كان السّبب في لعن البشر جميعًا، الملعون ما هو إلا تجسيد لجميع أعمال الشرّ، ولكن في شخص واحد!!»

نهض من مكانه ثم أمسك بالسكّين الذي كان يحمله في جيبه واتجه صوب الرّجل المقيّد، بحركة سريعة قام بتمرير السكّين على مفصل يده اليسرى ما نتج عنه اندفاع كمّية من الدّماء في ظلّ صرخات الأخير وهو يستغيث ويقول:
- «ارحمني أرجوك».

* * *

يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١، الساعة العاشرة صباحًا.
كان اجتماعًا مُغلّقًا، ليس اجتماعًا بالمعنى الحرفيّ لكلمة اجتماع، ولكنه كان أشبه بجلسة لتبادل الأفكار، كان كامل يُحدّث كريم عمّا توصّل له كلّ منهما بخصوص التحقيقات التي اتفقا عليها، شرع كامل في الحديث قائلاً:
- «لا أدري يا كريم هل أسعد لأنني تحصّلت على جزء مُهمّ من المعلومات، أم أحزن لأنني اكتشفت حقائق كارثيّة».
اعتدل كريم باهتمام ثم قال:
- «ما الأمر يا رجل؟»
- «لقد قمت بعمل تحرّيات على الضّحايا الذين قُتلوا، اكتشفت أنهم جميعًا أصدقاء، ولكن يبدو أن الأمر لن يتوقف عند هذا الحدّ، هُناك أشخاص آخرون يجب أن أعرفهم، في الواقع، يبدو أنهم جميعًا يعملون في تلك المنُظّمة الحقيرة».
نظر كريم إلى كامل بتردّد ثم قال:
- «قد يكون ذلك، ولكن ما الذي يجعلني أصدّق كلّ ما وصلت إليه، قد تكون محض صُدفة لا أكثر».

- «ما الأمر يا كريم؟! ما بك تتحدّث هكذا؟!»
حاول كريم فضّ الغُموض ثم قال:
- «لا شيء ولكن لا بدّ أن نسير وراء كلّ الاحتمالات المُمكنة».
- «حسنًا أخبرني إلى ماذا وصلت أنت؟»
- «لا شيء يُذكر، كلّ من لهم علاقة بسالم الأسيوطي اختفوا، منهم من مات طبيعيًا والآخر قُتل، أو بعض أقاربه الذين يعيشون في الإسكندرية ولكنهم لا يختلطون به».

- «لا أدري ما الأمر يا كريم، إننا نمرّ بفترة صعبة جدًّا، لقد وصلت إلى حالة يُرثى لها، أودُّ أن أنام وأستيقظ لأجد أن كلَّ هذا كان مُجرَّد حُلْم، ولكنه حتى لو كان فسيكون حُلْمًا يصعب تصديقه، لن يصدِّق أحد أن كلَّ هذا قد يحدث في الواقع».

- «اهدأ يا رجل، سنتمكن من حلِّ القضية ولا تخف».

- «عن أيِّ هُدوء تتحدَّث، ألا تُفكِّر في كلِّ الذين قُتلوا، ناهيك عن أن أغلبهم مُذنبون بما كانوا يفعلون، ولكن هل تصدِّق أن إزهاق الأرواح أصبح بهذه السهولة واليسر بين الناس؟! من كان يُصدِّق إمكانيَّة حدوث كلِّ هذا».

- «لا عليك الآن، يبدو أنك مُتعب، ما رأيك أن تذهب وتغسل وجهك بالماء حتى تفيق قليلًا ونُكمل العمل؟»

- «أرى أن هذا حلٌّ جيّد».

انصرف كامل مُتجهًا إلى دورة المياه، أخذ يغسل وجهه مُحاولًا الإفاقة، كانت الهالات السوداء التي تُحيط بعينه يصعب تصديقها، لقد كان كامل لا ينام تقريبًا، أيُّ ضابط مثله سيكون هكذا، سيكون هكذا وهو يرى وطنه تحدَّث فيه الكثير والكثير من الجرائم دون إمكانيَّة السيطرة عليها، انتهى من ذلك ثم اتجه نحو مكتبه الذي كان قد ترك بابه مفتوحًا ليُصدم حينما يسمع ما سمعه، لم يستطع وصف ما سمعه إلا بالكارثة، ظلَّ بالخارج لفترة حتى ذهب كريم لمكتبه وعاد كامل إلى مكتبه مرَّة أخرى، انتظر دقائق ثم طلب من كريم المجيء، ليأتي بعدها بدقائق ويقول:

- «ما هذا الاستعجال؟! اهدأ يا رجل، أخبرتني مُنذ عشر دقائق أنك تريدني، وها قد أتيت إليك، ما بك غاضبًا مني؟!»

- «لقد اكتشفت شيئًا مهمًّا».

- «كفاك مضيعة للوقت، ما الأمر؟»

- «اليوم بالصدفة وأنا في مكتبي الشَّخصي سمعت من بعض المُخبرين أنهم استطاعوا العثور على الجاني، قاموا ببعض التحريَّات كما أمرتهم وأخبروني بالنتائج».

صمت كامل للحظات ثم قال:

- «أهنتك يا صديقي، لقد تمكنا من حلِّ القضية أخيرًا».

لم تظهر على كريم السَّعادة مُطلقًا، بل انقلب تعبير وجهه بطريقة غريبة ولكنه

حاول إخفاءها دون جدوى، لقد استطاع كامل أن يتأكد ممّا كان يشكّ فيه، ثم أكمل قائلاً:

- «سأناقش بعض التفاصيل وأخبرك بالنتائج النهائية».

- «حسنًا، هل تريدني في شيء آخر؟»

- «لا، يُمكنك الرّحيل».

- «أراك لاحقًا».

خرج كريم بينما كان كامل ينظر إليه نادماً، كيف استطاع أن يثق بهذا الشّخص دون أن يعرف أنه الشّخص الوحيد الذي قد خانته، يبدو أن نظرتة في الناس لا بدّ أن تتغيّر.

* * *

في نفس هذا الوقت كان حازم يُجري مُكالمة بشخص ما، يبدو من ردّة فعله أثناء الحديث أنها كانت لشخص لم يتحدّث معه لفترة طويلة.

- «مرحبًا نادر».

* * *

ابتسم نادر وهو ينظر إلى ذلك الشّخص نظرة بها مزيج من السخرية والضّحك وهو يقول:

- «انتقام مجيد صديقي حازم!!»

* * *

- «حازم، مرحبًا يا رجل، كيف هي أحوالك؟»

- «أنا بخير، ولكني كنت أحتاج لأن أتحدّث معك قليلاً في بعض الأشياء».

- «تفضّل يا حازم، ولكن أخبرني، ماذا بخصوص ما كنت تفعله سابقًا؟»

- «هذا ما كنت أريد أن أحدثك فيه».

تغيّرت نبرة نادر قائلاً:

- «ما الأمر يا حازم؟! لقد أقلقتنني».

- «فقط أردت أن أخبرك بأنك قد لا تستطيع أن تراني مُجدّداً».

- «ما هذا الهراء الذي تقوله، أخبرني يا حازم ماذا حدث بالضبط».

- «لم يتبقّ إلا القليل، بعد ساعات سينتهي كلّ شيء يا نادر، بعد ساعات سيكتمل

- القُربان، وتختفي أسطورة (الحنوتي)، وسيختفي حازم نفسه».
- «ما هذا؟ ألم أخبرك أنني لم يتوجّب عليّ أن أسافر حتى أظّل بجانبك».
- «لا يا نادر، لا تجعلني أشعر بأنّي أخطأت حينما تحدّث إليك وطلبت مُساعدتك مُنذ البداية من فضلك».
- «حازم! أنت صديقي، إذا لم أساعدك أنت فمن سأساعد؟!»
- «لا يُهمّ هذا الآن».
- «حسنًا أخبرني بالذي تريد أن تقوله».
- «الصُحيّة الأخيرة بعد ساعات ستكون في مركز الشّربة، وهُنا يحين التحديّ الأخير».
- «ماذا تقصد؟»
- «يجب عليه أن يهرب، حتى أمسك به يجب عليه أن يهرب».
- «وكيف سيحدّث ذلك؟»
- «لقد رتبت كلّ شيء وأنا أعلم كيف سأجعله يهرب، ستصله زيارة بها كلّ التفاصيل، وحينما يُنفذها سيقع في يديّ».
- «حازم! عليك أن تنتبه».
- «الانتباه مطلوب للوصول للنهاية، حتمًا إنها نهايتي يا صديقي».
- «حازم...»
- قاطعته على الفور:
- «لا يُهمّ كثرة الحديث يا نادر، لا فائدة منه، لقد وصلت إلى النهاية وانكشف كلّ شيء، إمّا أن أنهي القُربان وأقتل الصُحيّة الأخيرة، أو أن أقتل برصاص الشّربة، أيّهما أختار إذن، الأولى بالطبع».
- «ولكن يا حازم...»
- قاطعته مُجدّدًا:
- «صدّقني، لا فائدة يا صديقي، لقد انتهى الأمر، لقد اتصلت بك اليوم فقط حتى أودّعك».
- «حسنًا يا حازم، إلى اللقاء».
- اغرورقت عينا حازم بالدموع وهو يقول:

- «الوداع يا صديقي!»

* * *

يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الثالثة مساءً.
قرّر كامل أن يعود إلى منزله ليفكر في كلّ ما اكتشفه، جلس على كرسيه الخاص ثم أخذ يتذكّر بعض المواقف السابقة.

* * *

خرج من منزله قاصداً مقهى مُقارب لمكانه، عاد وكان قد اشترى جريدة ما يتابعها دائماً من أسفل منزله، ثم صعد وأخذ يقرأ فيها، أمسك بها وفتح صفحة الحوادث، قرأ المقالة الأولى، جذبه العنوان: «كارثة (الحنوتي) قد تصل إلى منزلك»، أنهى المقالة وهو ينظر لها بتمعّن، اتسعت عيناه فجأة، لا بُدّ أن وقع الصدمة كان كبيراً عليه، رفع عينيه لينظر على الحائط المُواجه ليجد عبارة كُتبت بخطّ كبير بلون أحمر!!

* * *

هنيئاً لك، كارثة (الحنوتي) وصلت إلى منزلك بالفعل!!

* * *

صُدّم لقراءة تلك العبارة، ثم تبعها سماعه لباب شقته يُعلق بعنف! ظنّ أنه كان قد نسيه مفتوحاً وأنه قد أغلق بسبب الهواء العنيف، ولكن كان ذلك مُجرّد مُبرّر لما حدث، لأنه كان قد أغلقه بالفعل!!

* * *

- «أين كانت العبارة بالضبط؟»

- «في الحائط الموجود خلف الأريكة».

خرج كريم بسرعة، ونظر على ذلك الحائط، وفي كافة أرجاء الشقة، ثم عاد لكامل قائلاً له:

- «لم أجد شيئاً!!»

- «ماذا؟!»

- «اهدأ يا كامل قد تكون مُتعب الأعصاب فقط جرّاء ما حدث لك».

قاطعته كامل قائلاً:

- «أنا لست مجنونًا يا كريم، أنا مُتأكد ممَّا رأيته».

* * *

أخذ كامل يتذكَّر تلك المواقف ثم تذكَّر أيضًا موقفًا كان عابرًا وقتها بالنسبة له، تذكَّر أنه في إحدى المرات أخذ يبحث كثيرًا عن مفاتيحه ولكنه لم يجدها، كان مُتأكدًا أنه قد تركها في مكتبه حينما ذهب إلى مكتب رئيسه في العمل، وقتها سأل كريم عليها فقال له أنه قد نسيها في مكتبه، تذكَّر ذلك الموقف فعلم أن كريم قد سرق المفاتيح وأخذ نسخة من مفتاح شقته وأعطاها لمن دخل وكتب تلك العبارة السابقة، ثم تأكد أن الشقة لم يكن فيها أحد سوى كريم حينما كان مُغمًا عليه، هذا يعني أن كريم هو الذي قام بمسح العبارة من على الحائط، ظلَّ هكذا حتى صرخ قائلًا:

- «أيَّ ذنب فعلته لأصدم في أعز أصدقائي؟!»

كان ردُّ فعله طبيعيًا بالنسبة لأيِّ شخص قد يُواجه مثل هذا الموقف، ظلَّ صامتًا لثوانٍ حتى أخرج هاتفه واتصل بكريم ثم قال دون مُقدمات:

- «هل أنت مشغول الآن؟»

- «لا، ما المشكلة؟»

- «لا شيء، ولكن أريد أن نتقابل في السابعة».

- «أين؟»

- «الشارع الخلفي لمنزلي، نفس المكان الذي كنا نتقابل فيه دائماً».

- «حسنًا ولكن ما الداعي لهذا؟ لقد كنا سوياً في الصُّباح».

غضب كامل عليه ثم قال:

- «أخبرتكَ أن نتقابل فحسب، لا تسأل أيَّ أسئلة أخرى حتى أراك».

أجاب كريم بعدم فهم:

- «حسنًا».

أنهى كامل المُكالمة ثم ألقي بهاتفه على بُعد يده في الأرض، بينما على الجانب الآخر كان صديقه كريم يشعر أن هناك شيئًا غامضًا، الأمر لم يعد يحتمل فهو لم يتعوَّد على كامل هكذا أبدًا، هو صديقه مُنذ فترة طويلة ولكنه لم يره هكذا أبدًا، أخذ كريم يهمس ويقول:

- «يبدو أن الأمر به شيئًا غريبًا، أدعو الله أن لا يتحقق ما أفكر فيه».

كان الموعد ليس ببعيد، فقد أخذ كريم يُنهي بعض الأشياء التي كانت في يده ثم أخذ يُجهّز نفسه لذلك الموعد غريب الأطوار، ولكن دائمًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، كان يظن أن الأمر سيمرّ بسلام، ولكن ما حدث كان غير ذلك، في نفس الوقت كان كامل يُجري مُكالمة بشخص ما، كانت غريبة بعض الشيء، ولكنها انتهت في النهاية حينما قال:

- «اتفقنا، السّابعة مساءً هو موعدنا».

* * *

كان حازم جالسًا في مكان ما، يبدو أنه كان يُرتب لبعض الأشياء التي ستحدث فيما بعد، كانت أمامه بعض الأوراق أيضًا التي كان قد كتب فيها بعض الكلمات والعبارات بالترتيب، يبدو أنها ستصل إلى شخص مُعيّن ليفعل بها شيء ما، عجبًا لحازم، بعد كلّ ما حدث له، لا أدري كيف يتمالك أعصابه إلى هذه الدّرجة التي تصل إلى انعدام الخوف على الإطلاق، أنهى ما كان يفعله ثم وضع هذه الورقة وسط أحد حاويات الطّعام الصغيرة ثم وضعها على المنضدة أمامه وقال:

- «والآن، كلّ شيء أصبح جاهزًا، ستصبح بعد ساعات في ملعبٍ أنا!»

نهض من مكانه وانصرف على الفور.

* * *

يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١، السّاعة السّابعة مساءً.

في الوقت المُحدّد كان كلّ منهما قد وصل إلى المكان المُتفق عليه، بدأ كريم بالحديث قائلاً:

- «ما الأمر يا كامل؟ أخبرني».

- «كريم، أريد أن أسألك بعض الأسئلة شريطة أن تُجيبني بكلّ صراحة».

- «أقلقتني، ما الأمر؟»

- «على مرّ معرفتي بك، هل قصدتني في خدمة وخذلتك؟»

- «لا».

- «هل سبّبت لك أيّ مشاكل بقصد أو دون قصد؟»

- «لا».

- «هل ترى أنني صديق جيد؟»

- «بالطبع يا كامل».

- «ولكن للأسف يا كريم، لقد اكتشفت أنك أسوأ صديق عرفته في حياتي أيها اللعين!!»
غضب كريم ثم قال:

- «ماذا تقول أنت؟ هل اختلّ عقلك؟»

- «المختلّ هو من يخون صديقه لأجل بعض الأموال، سحّقا لكلّ الأموال يا رجل!!»

- «عن أيّ خيانة تتحدّث؟!»

- «يبدو أنك لم تكن تعرف أنني قد سجّلت لك كلّ شيء».

أخرج كامل هاتفه ثم بدأ في تشغيل ذلك التسجيل الصوتي الذي سجّله في الصّباح.
* * *

سابقاً في يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الحادية عشرة صباحاً.

انتهى من ذلك ثم اتجه نحو مكتبه الذي كان قد ترك بابه مفتوحاً ليُصدم حينما
يسمع ما سمعه، كان كريم يُحدّث شخصاً في الهاتف ويبدو من طريقة حديثه أنه
كان مُزعجاً، حيث قال:

- «لقد قارب كامل على اكتشاف أمرك، يجب أن تختفي فوراً وتوقف كل ما فعلته».
أجاب ذلك الرّجل بغضب:

- «ماذا تقول أنت؟!»

- «أقول أنه يجب عليك أن تتوقف».

- «كيف أتوقف أيها الغبيّ، وأين كنت أنت من كلّ هذا، ألم أخبرك أن تمنعه من
القيام بأيّة تحقيقات عنا؟!»

- «لقد حاولت جاهداً، ولكنني فشلت».

- «إذن لماذا كنت تأخذ كلّ تلك الأموال وأنت ستفشل في المراحل الأخيرة».

- «أنا لم أفسل! لقد سرقت مفتاحه وأعطيته لك لتتمكّن من دخول الشقة وكتابة
تلك العبارة اللّعينة، وأنا من قمت بإزالتها حينما كان مُغمّاً عليه، لقد فعلت الكثير
والكثير من أجل عرقلة التحقيقات وأنت كلّ ما تقوله أنني لا أستحقّ كلّ هذا

المال؟!»

- «كنت دائماً ما أقول عليك أنك غبي، وقد أثبت لي هذا الآن».

تحدّث كريم بنفاذ صبر قائلاً:

- «اسمع يا رجل! لقد فعلت كثير من الأشياء وأنت لم تُقدّر هذا، أنت الآن لا تملك إلا أن تُعطيني بقيّة أموالي أو أن أتوقف وأخبره بكلّ شيء، كلمة أخرى وسأبلّغ عنك، أنت تعلم أنني أعرف كلّ شيء عنك».

- «عن أيّ معرفة تتحدّث، أنت لا تعرف عني إلا القليل يا كريم، أنت حُسالة، أنت شخص لا قيمة له في الحياة إلا أن يخون أقرب الناس إليه مُقابل بعض الأموال، أنت لا تفعل شيئاً إلا مُقابل الأموال، أنت لا تُساوي شيئاً، أنت حقير!!»
زادت عصبية كريم ثم قال:

- «يبدو أنني لم أعد أملك إلا هذا الخيار، سأريح العالم منك الآن وسترى ما يمكن لي أن أفعله بك، وقتها ستعرف من فينا هو الغبي».
صرخ ذلك الرّجل في وجهه ثم قال:

- «كريم! هل فقدت عقلك؟ هل تعرف عاقبة ما تقول؟»
- «بالعكس، أنت من لا تعرف من هو كريم، أنسيت أنني ضابط وأملك الكثير من الأشياء التي يُمكنني فعلها؟!»
- «مُجرّد ضابط خائن! يبدو أنك من نسيت من أكون أنا، ألم تُدرك أنني أستطيع أن أقتلك كما قتلت من في السّابق؟!»
- «لن تستطيع فعل أيّ شيء».

- «انتهى حديثنا هُنا، ولكنك ستعرف ما الذي سأفعله، ولكن نصيحة مني، احترس لنفسك في الفترة المُقبلة، كنت أودّ أن أقابلك ولكن اعذّرني، الوقت ليس في صالحني، لقد انتهى كلّ شيء».

* * *

أغلق كامل التسجيل ثم نظر إلى كريم وقال له كلمة واحدة:

- «لماذا؟!»

لم يلبث أن قالها حتى صفعه على وجهه فسقط كريم على الأرض وهو يبكي، ليُكمل

قائلاً:

- «لماذا فعلت بي كل هذا؟! لقد كنت صديقي الوحيد الذي أثق به، لماذا أردت أن تضرّ بعلمي يا كريم؟! لماذا أنا بالذات؟!»

وقف كريم وهو يقول:

- «أنت لا تعرف عظم المشاكل المادية التي أعاني منها يا كامل، أنت لا يهتمك شيئاً سوى النجاح في عملك، لم تتقرب إليّ مرة لتعرف عني شيئاً يخصني».

نظر له كامل بتعجب ثم قال:

- «أنا؟! لقد أضعت كل شيء كنت أكنّه لك يا كريم، لقد انتهى كل شيء، ومن الآن كل منا في طريقه بعيداً عن الآخر».

نظر كريم إلى الأرض ثم همّ بالمغادرة لينادي عليه كامل مرة أخرى قائلاً:

- «لن تذهب بهذه السرعة، يجب أن آخذ حقي منك الآن».

أخرج كامل مُسدّسه الخاص ثم صوّب تجاه كريم وقال:

- «لن أعطيك الفرصة لتعيش المزيد وتقضي على الكثير من الأشخاص، لن أتركك على قيد الحياة لحظة واحدة بعد الآن».

صرخ كريم وهو يقول:

- «إذن اقتلني، ماذا تنتظر؟! هيّا اقتلني إن استطعت».

استفزّت تلك العبارة كامل، فهمّ بإطلاق النار على كريم، خرجت رصاصة لتستقرّ في قلب كريم الذي سقط على الأرض فوراً وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، صرخ كامل من شدة الفزع ثم جلس على الأرض بجواره وقال:

- «ساعدني، قل أي شيء يشفع لك في آخرتك، أخبرني عن أي شيء تعرفه».

لم يستطع كريم أن يقول أي شيء سوى أن نطق بعبارة واحدة:

- «حارس العقار، سالم الأسيوطي».

لم يلبث أن قالها حتى صعدت روحه إلى السماء في نفس اللحظة التي أتى فيها رجال الشرطة الذين كانوا يقفون على بُعد ليشاهدوا الموقف ويُلْقوا القبض على كريم، ولكنهم قد تأخروا، أمسكوا بكامل ووضعوا الأقفال الحديدية في يده وهو يصرخ ويقول:

- «لست أنا، لست أنا من أطلق النيران عليه، لم تنطلق الرصاصة من مُسدّسي بل جاءت من الأعلى».

نظر الجميع إلى الأعلى ولكنهم لم يجدوا شيئاً بالطّبع، ألقى كامل بمُسدّسه وطلب منهم أن ينظروا إلى خزينته وهو يدّعي أنها كانت كاملة، أمسك بها أحد الضباط ولكنه وجد أن الخزينة قد تمّ استعمال رصاصة منها، فابتسم بعدم تصديق وهو يقول:

- «هل أنت مُتأكّد من هذا؟! هه، أنت موقوف يا حضرة الضابط، اقبضوا عليه».

أخذ كامل يصرخ وهو يقول:

- «لا، لست أنا، أنا لم أقتله، كريم، استيقظ يا صديقي! كريم!»

لم يستمع إليه أحد بالطّبع ولكنهم سارعوا بالقبض عليه على الفور بعد ما حدث.

* * *

يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١، الساعة العاشرة مساءً.

في نفس هذا الوقت كان سامح برفقة ثروت حتى يقصّ عليه آخر جزء من قصّة صاحب التربة الملعونة، شرع سامح في الحديث قائلاً:

- «لا أصدّق أنك ستُنهي لي القصّة أخيراً، لقد هرمت من أجل هذه اللّحظة».

- «لا أدري لِمَ تتعجّل دائماً يا سامح، أخبرتك أنني سأُنهيها لك في يوم ما، وها قد أتى ذلك اليوم، لِمَ العجلة إذن؟»

- «حسنًا، هيّا أكمل حتى لا نُضيّع وقت».

ابتسم ثروت بمكر ثم همس:

- «سُعجبك هذا الجزء كثيرًا عمّا سبقه من أجزاء».

بدأ ثروت في إكمال القصّة لسامح ووجهه لا تفارقه تلك النظرة الماكرة أبدًا.

* * *

يوم السّبت ١٨ / ٨ / ٢٠١١، الساعة الثالثة صباحًا.

كان يومًا عاديًا بالنسبة لعابد، فقد كان يُنهي في هذا اليوم التعامل مع أحد الضّحايا التي جلبها له ذلك المجنون الذي يُريد المال، أنهى عابد ذلك ثم عاد إلى حسين الذي شرع في الحديث قائلاً:

- «وهل ستستمرّ على هذا النهج؟»

تعجّب عابد ثم قال:

- «ماذا تقصد؟»

- «الكذب الذي نرسمه على الناس، وكلّ يوم يُقتل أفراد جدد».

سخر منه عابد ثم ضحك بمكر قائلاً:

- «لا أدري يا حسين، كلّ مرّة تثبت لي فيها أنك غبيّ جدّاً، لِمَ لا تُحاول محو هذه الصورة من مُخيلتي يا رجل».

- «لأنك فقدت عقلك، إلى متى ستظلّ تقتل في الناس لتُحقق رغباتك اللّعينة؟!»

- «رغباتك؟! حديثك هذا دالّ على أنك لن تحصل على شيء من ذلك، هل نسيت ما اتفقنا عليه يا حسين؟»

- «لم أنسَ، ولكن الأمر قد زاد عن حدّه».

- «يبدو عليك الجنون كذلك الآخر الذي قد ظن أنه سيحصل على المال، لم أعهد مرّة قرأت فيها عن جن يُعطي البشر أموالاً، هه».

- «لا تطلب مني أن أكمل معك شيئاً، من الآن، سيذهب كلّ منا في طريقه».

- «إن كنت تريد الذهاب فاذهب، ولكن لا تأتي لي بعد ذلك وتطلب مني السّماح وتتقرّب مُجدّداً».

غضب حسين ثم انصرف، وقد تفاجأ وهو يخرج بذلك الرّجل الذي كانوا يتحدثون عنه! صُدم حينما رآه، سُحقاً، لقد سمع كلّ شيء ثم دخل إلى المنزل وترك الباب مفتوحاً خلفه، لم يكن يدري هل ينصرف أم لا، إنها النهاية إن لم يفعل عابد شيئاً ويمنع ذلك الرّجل، قرّر حسين أن يذهب، لقد نبّه عابد كثيراً، لذا فقد حان الوقت ليدفع ثمن تصرّفاته!!

- «لا فائدة لي هنا».

قالها حسين ثم انصرف تاركاً عابد وحده مع ذلك الرّجل في المنزل.

يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١، الساعة العاشرة مساءً.

وصل الجميع إلى مركز الشرطة منذ ساعات، كان قد بدأ أحد الضباط في استجواب

كامل الذي أنكر كل شيء وقال سريعاً:

- «أنتم تُعرقلون عملي، أنا لم أقتله، لقد انطلقت الرّصاصة من خلفي، كما أنني يجب أن أنهي بعض التحريّات، هكذا ستزكون المُجرم يهرب، لقد تركتم الجاني وأمسكتكم بالشّخص الخاطئ، ماذا تفعلوا بحق السّماء!!»
أجابه الضّابط بعصبية:

- «كلّ ما تقوله مُجرّد هُراء للهروب من المسؤولية، لقد قتلت نفساً يا حضرة الضّابط!!»

- «تقرير الطّب الشرعيّ!، استخرجوا الرّصاصة وقارنوها مع الرّصاص الخاصّ بالضّابط ووقتها يُمكنكم مُحاسبتني إن تطابقت الأنواع».

- «ستعلّمنّا عملنا إذن؟! أنت هنا لأنك جان، اصمت وإلا وضعتك في الحجز، أنا أحترم كونك ضابط زميل يا كامل ولا أريد أن أتخذ أيّ إجراء قد يضرّك، اصمت حتى نحصل على التقرير».

- «أيّها الغبيّ، هكذا سيُفّلت الجاني، لقد تمّ تنبيهه بالهروب، أنتم تُضيّعون عليّ كلّ ما فعلته في الشهور المنصرمة».
ردّ الضّابط بعصبية:

- «يبدو أن الاحترام لن يُفيدك».
همّ ذلك الضّابط بصفع كامل على وجهه في نفس اللّحظة التي دخل فيها رئيسهما في العمل وهو يقول بغضب:

- «ماذا تفعل أيّها الضّابط، حلّ قيد سيادة الضّابط كامل، إنه بريء».
- «ولكن يا سيّدي...»

قاطعهُ سريعاً:

- «اصمت أنت وإلا حاسبتك على كلّ ما ارتكبته في حقه، حلّ قيده الآن، الرّصاصة التي قُتل بها الضّابط كريم لا تخصّ رصاص الشّرطة».

نظر ذلك الضّابط في الأرض في أثناء نظرات كامل إليه ليثبت له أنه كان على صواب ثم انصرف، ليردّ كامل قائلاً:

- «أشكرُك يا سيّدي، يجب أن أذهب الآن لأكمل، لقد اكتشفت الكثير من الأشياء

المُهْمَّة، سنعثر على الجاني قريبًا جدًّا». ردَّ رئيسه قائلاً:

- «ما زلت تُصدِّق كريم حتى بعد أن خدعنا جميعًا؟! لقد كان كريم ضابطًا خائنًا، كيف لنا أن نُصدِّقه بعد الآن؟!»
- «صدِّقني يا سيدي، أنا مُتأكِّد من أنه كان على صواب هذه المرَّة قبل أن يموت، يجب أن يرتاح في قبره سيدي».
- «سأستمع إليك، وإن استطعت حلَّ هذه القضية في غضون يومين على الأكثر سيتمَّ تكريمك وتكريمه بجنائز عسكريَّة تليق به».
- «سيدي، من فضلك، أريد أن يكون ما أخبرتك به سرَّ بيننا».
- «نعم يا كامل بالطبع، أنا لم أخبر الضباط الذين أرسلتهم إليك بشيء، بل طلبت منهم المجيء إلى ذلك المكان بحجة تأمين مُقابلة مُهمَّة ليس أكثر».
- «جيد، عليَّ الذهاب الآن».

همَّ كامل بالانصراف حتى أوقفه رئيسه قائلاً:

- «كامل، أنا أثق بك وأنا مُتأكِّد من أنك ستتمكَّن من حلِّ تلك القضية، وحتى قيامك بذلك، أنت تملك جميع الصلاحيات للقيام بأيِّ شيء يخصَّ القضية».
- «أشكرك سيدي، أستاذك الآن».
- «تفضَّل».

انصرف كامل على الفور وهو مُتجه إلى حارس عقار منزل سالم الأسيوطي، لقد فهم مقصد كريم حينما قال ذلك، يبدو أن الأمر كان خطيرًا!

يوم السَّبت ١٨ / ٨ / ٢٠١٠ السَّاعة الثالثة صباحًا.

- «هل كلُّ ما سمعته صحيحًا؟ هل كنت تكذب عليَّ وتخدعني؟ هل كلُّ من ماتوا كانوا لأجل قُربانك السَّخيف لتحصل على ما تُريد ثم تقتلني في النهاية؟»
- قالها الرَّجل وهو يصرخ في وجه عابد الذي ما لبث إلا أن استند بظهره إلى الخلف وهو يبتسم مكر ويقول:
- «نعم، هذا كلُّ شيء، وما تريد أن تفعله فافعله، أنا لا يُهمُّني أيُّ شيء، أنت أصلًا

لن تستطيع أن تفعل أي شيء، أنت غبي، وأنا انتصرت عليك لأنك غبي، يجب أن تعلم هذا».

غضب الرجل جدًا ثم قال:

- «سأريك الآن من الذي سينتصر».

ما لبث أن قال هذه الجملة حتى أخرج من يده سكينًا، ثم التفت وأمسك بعابد ثم مرر السكين بسرعة على رقبتة ما نتج عنه تطاير سيل من الدماء فخر عابد سريعًا، لم يكن الرجل يعرف ماذا يفعل الآن، ولكن ما أثبت أنه لن يستطيع فعل أي شيء أن باب الشقة أغلق وحده وانطفأت جميع الأنوار! ومن وسط كل هذا الظلام خرج صوت قطع الصمت، كان صوتًا أجشًا ولكن صاحبه كان يتحدث بهدوء وقال:

- «لقد خالفت العهد ولم تكمل القربان، ليحلّ العذاب عليك وعلى كل من منع إكمال القربان!!»

ما أن قيلت هذه العبارة حتى اشتعلت النيران في المنزل بأكمله وأخذت جنة عابد تحترق، وبعد دقائق اختفت وسط النيران، أما ذلك الرجل، فقد ظلّ يتابع المشهد من بعيد ولا يدري ما سيحدث له، لقد كان الكلام واضحًا: «وعلى كل من منع إكمال القربان!!»، أي أنه هو المقصود بذلك، حاول الهروب ولكن أي هروب وأنت تتعامل مع الجنّ، مجرد أن وصلت فكرة الهروب إلى عقله فقط حتى وجد النيران تحيط بجسده وترتفع حتى أحاطت بجسده بالكامل، وبعد صرخات وصرخات ظلت تخرج منه انطفأت النيران، ولكن، أين الرجل!!

* * *

يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١ الساعة العاشرة والنصف مساءً.

بعد فترة ليست بالطويلة استطاع كامل الوصول إلى حارس عقار منزل سالم الأسيوطي الذي تغيّرت ملامحه خوفًا حينما رأى كامل، حاول الانصراف ولكن كامل أمسك به قائلاً:

- «من فضلك انتظر، أنت الوحيد الذي ستمكّن من مُساعدتي الآن».

- «ماذا حدث يا حضرة الضابط؟ لقد قلت كل ما أعرفه في التحقيقات وأنتم من طلبتم مني الذهاب، ماذا حدث إذن؟»

- «هل سيكون هذا ردّك إن أخبرتك أن كريم قد قُتل؟!»
تغيّرت ملامحه مُجدّدًا ثم سلّم للأمر الواقع وقال:
- «تفضّل في غرفتي وسأخبرك بكلّ شيء».

دخل الاثنان ليبدأ حديثه بعدها قائلاً:
- «الضابط كريم هو من طلب مني عدم الحديث والتفوّه بأيّ كلمة عن يوسف».

- «لماذا؟»

- «لا أدري، ولكن الأستاذ سالم الأسيوطي قد حدّثني بعد انصراف يوسف وطلب مني أن أجلب له بعض الأشياء من مكان بعيد، ولكنني حينما عدت كان الوقت متأخراً، ووجدت حازم ابنه يطلب مني المساعدة لكسر الباب لأنه نسي مفاتيحه بالداخل ووالده لا يردّ، وبعدها وجدنا القتل غارقاً في دمائه فاتصلت بكم على الفور».

- «وماذا عن يوسف؟»

- «لقد سمعت جزءاً من شجارهما، كان يتحدّث عن أخيه ولكنني لم أعرف ما الأمر».

- «وهل أخبرك يوسف بشيء آخر؟»

- «كأنه كان يشعر أن شيئاً ما قد يحدث، بعد فترة طويلة أتى إليّ مُجدّدًا، ولكنه أخبرني جملة واحدة لم أنسها أبداً، طلب مني أن أتذكّر مكان مفتاح شقته الذي يضعه بجوار عدّاد الكهرباء في محلّ سكّنه، وحينما سألته لماذا قال لي أنني في يوم ما سأحتاج تلك المعلومة وقد أقصّها لأحد».

- «أخبرني بالعنوان».

أخبر حارس العقار كامل بعنوان منزل المرحوم يوسف فانصرف كامل على الفور مُتجهاً إلى هُناك، استطاع الوصول إلى عدّاد الكهرباء على الفور، وهُناك عثر على المفتاح بجواره وصعد إلى شقة يوسف التي أخبر عنها وقام بفتح الباب، وجد على المنضدة المتواجدة في الصّالة الخارجيّة للشقة أسطوانة مُدمجة كُتب عليها: «هام»، حمل الأسطوانة وأغلق الباب وأعاد المفتاح في مكانه وانصرف على الفور عائداً إلى منزله، وضع الأسطوانة في محرّك الأقراص وقام بتشغيلها، صُدم للمرّة الثانية حينما عثر على نفس المعلومات التي كانت مع الصحفيّة سلمى، ولكنها كانت مُكتملة

هذه المرة.

* * *

قام كامل بتشغيل الجهاز ثم وضع الأسطوانة بداخله لتُفتح ويُصعق كامل ممّا رآه!!

* * *

لم يكن يعلم أن الأمر بهذه الخطورة! لم يكن يتخيّل أن يكون الأمر كذلك، إن أخبرتك أنه صُعق كمن يُصعق بصدمة كهربائية فلن أكون كاذبًا، أغلق جهازه على الفور وأخذ يُردّد:

- «يجب أن أصل إلى الشركة بأيّ ثمن».

* * *

يوم الثلاثاء ٢١ / ٨ / ٢٠٠١ الساعة الرابعة مساءً.

بعد مرور أيام مُنذ حوار عابد مع ذلك الرّجل، كان خبر واحد هو الذي يُسيطر على جميع إصدارات الصّحف، مُجرّد أن تقرأ عنوانه سيجذبك المُحتوى لتكمل المقالة بأكملها.

* * *

مصرع العارف بالله عابد الأسيوطي بعد احتراق منزله في ظروف غامضة، جثته كانت محروقة ولكن الشقة لم يُصبها أيّ شعلة من نار! عبارة واحدة كانت تُسيطر على أحد حوائط الشقة بخطّ كبير.

* * *

لم يتمّ إكمال القُربان في الموعد المُحدّد!!

* * *

كان حسين قد قرّر الابتعاد عن عابد تمامًا، ولكنه صُعق حينما قرأ هذا الخبر في الصّحف، وعلى الفور ذهب إلى منزل صديقه عابد ليجده على نفس الحال التي تمّ وصفها، المنزل سليم ولا يوجد به أيّ دليل على اشتعال أيّ نيران، إذن كيف احترقت جُثة عابد؟! خطر على باله سريعًا ذلك الرّجل الذي كان معه آخر مرّة، كان يعرف عنوان منزله، قرّر الذهاب إليه على الفور ليُحاول معرفة ما حدث، لأنه الشاهد الوحيد على كلّ ما حدث في تلك اللّيلة المشؤومة!!

=====

يوم الأربعاء ٨ / ٦ / ٢٠١١، الساعة الحادية عشرة مساءً.

لم يكن يملك وقتًا كافيًا في التفكير حول إمكانية الدّخول من عدمه، أو كيفية الدخول بحدّ ذاتها، ولكنه لم يكن يعلم إلا أنه يجب عليه أن يدخل، وصل إلى هُناك، حاول الإطّلاع على الأبواب الأماميّة ولكنها كانت مُوصدة، فاتجه إلى مؤخرة الشركة، وجد هُناك بابًا صغيرًا يبدو أنه يُوصل إلى مكان ما مُنعزل، استطاع أن يقوم بكسره ثم دخل سريعًا حتى لا يلحظه أحد، أخذ يسير في الشركة مُستعملًا أحد مصادر الإنارة التي كانت بحوزته، كانت الأرضيّات والحوائط تملؤها كمّيّات كبيرة من الأتربة، في الحقيقة، لم يكن يعلم أنه سيدخل مكان كهذا، أخذ يطّلع على أبواب المكاتب، كانت الشركة في ظاهرها تبدو أنها شركة لاستيراد وتصدير الأدوات الطّبيّة، جميع المكاتب والأوراق الموجودة تشير إلى ذلك، ولكن هُناك سرّ، تمكّن من الوُصول إلى مكتب المُدير، أخذ ينظر من حوله على أيّ شيء مُثير للشكوك ولكنه لم يعثر على شيء، أخذ يُبدّل نظره على الحوائط حتى وجد لوحة كبيرة موضوعة على أحد الحوائط، كانت اللّوحة تُغطي ذلك الحائط بأكمله، أثارت تلك اللّوحة اهتمامه فقد كانت تحمل صورة لشخص يُمسك بمفتاح كبير وينظر نحو حائط مُصمت، استنتج أمرًا ما وقد كان استنتجه في محلّه، حاول نزع اللّوحة، كانت ثقيلة ولكنه استطاع دفعها فسقطت على الأرض مكسورة، ومن خلفها وجد أن ذلك الحائط باب يعزل ذلك المكتب عن مكتب آخر، دخل وأخذ ينظر من حوله، وجد جهاز حاسب آليّ، ومكتبًا عليه العديد من الأوراق، أخذ يطّلع إلى الأوراق فوجد الكثير من الصفقات بالإضافة إلى معلومات عن بيع الأعضاء، وتصفية حسابات بين بعض الأشخاص، كانت الأمور غير واضحة بالنسبة له، ولكنه قام بتشغيل الحاسب الآليّ وأخذ يطّلع على مُحتوياته، حينما فتح مُنصفح الإنترنت وجد أن آخر الصّفحات التي تم زيارتها كانت صفحة لبريد إلكترونيّ، أخذ يُدقق في مُحتوى الرّسائل، يبدو أنها كانت مُشفرة بكلمات غريبة، مُعلم وتلاميذ وما إلى ذلك.

مرحبًا بتلميذي العزيز، أتمنى أن تكون بصحة جيّدة.

من فضلك، أريد أن يصل سلامي إلى زميلك الجديد في الفصل، أخبره بأنني مُعجب بتصرّفاتِه جدًّا، ولأنه الأذكي فيما بينكم، أخبره أنني قمت بتعيينه نائبًا لك في كلّ ما هو قادم داخل الفصل، أريده أن يعمل بنفس ذلك الأسلوب الجيّد الذي رأيته منه. سيصل إليكم طالب جديد في الفصل، رَحّبوا به جيّدًا، سأخبركم ببعض المعلومات عنه في رسائل قادمة! مُعلّمك العزيز.

* * *

لفت نظره أيضًا عبارة غريبة كانت تُسيطر على بداية كلّ رسالة.
* * *

الدّماء تُحيط بكم، والجُثث تملأ غرفكم، مهما فعلتم فستصلكم جُثثكم!!
* * *

قام بطباعة كلّ تلك الرّسائل، وأخرج هاتفه وطلب من زملائه الضّباط الدّخول بسرعة، فقد كانوا ينتظرونه في الأسفل حتى يُعطيهام الأمر بالدّخول، دخل بعضهم فنادى كامل على أحدهم ويبدو أنه كان خبير أمن معلومات فقال له:
- «أريد أن أعرف مكان إرسال هذه الرّسائل، تلك التي تمّ إرسالها منذ شهرين وحتى آخر رسالة هنا، تصرّف، هذه مهمّتك الآن».
- «عُلم سيّدي».

أخذ ذلك الخبير يقوم ببعض العمليّات على جهازه المحمول الذي كان معه بعد أن قام بتوصيله بالجهاز المُتواجد في المكتب الذي به الرّسائل، استمرّت العمليّة ما يُقارب السّاعة حتى استطاع ذلك الخبير طبع ورقة بها عنوان وقال لكامل:
- «تمّ إرسال هذه الرّسائل من هذا العنوان يا سيّدي».
صُعق كامل من جديد، لقد كان ذلك العنوان هو عنوان منزل سالم الأسيوطي نفسه!!
* * *

يوم الثلاثاء ٢١ / ٨ / ٢٠٠١ السّاعة السّابعة مساءً.
وصل إلى منزل ذلك الرّجل، لم يكن يدري ما الذي سوف يراه، طرق الباب وانتظر ثوانٍ حتى فُتح، صُدّم حينما رأى الرّجل، لم يكن هكذا حينما رآه آخر مرّة، أمّا الآن،

=====

فقد ابيضّ شعر رأسه، وأصبح وجهه شاحب اللون، أما يده اليسرى فقد كانت مسلوخة بالكامل، أشار له الرجل بالدّخول، وما أن دخل حسين حتى أخذ الرجل يصرخ ويقول:

- «أنا السّبب في كلّ هذا، ما حدث في تلك اللّيلة كنت أحقر من أن أتحمّله».
أخذ حسين يُهدّئ من روعه ثم قال:
- «أخبرني ماذا حدث بالضّبط في تلك اللّيلة».

وبدأ الرجل في سرد كلّ ما حدث في تلك اللّيلة لحسين وهو يرتعد:
- «لقد رأيت جُثة عابد وهي تتفحّم أمامي، خرجت من الأرض ألسنة من النيران أخذت تأكل جثته، لم يكن هذا هو الأصعب، لقد تشكّلت ألسنة النيران بأشكال غريبة، ظهر من وسط النيران رؤوس لأشخاص مُرعبين الملامح، كانوا يُردّدون كلمات غريبة، لم أفهم منها سوى بعض الكلمات مثل: (القُربان، لم يكتمل،...)، وكلمات أخرى من هذا القبيل، وبعد ذلك اشتعلت النيران وأحاطت بعابد واختفى في وسطها ولم أره مرّة أخرى، أما أنا فقد أخذت النيران تُحيط بي، وتشكّلت لي نفس الرّؤوس وأخذت تقول عبارة واحدة: (لم يكتمل القُربان بسببك)، ومن بعد ذلك تصاعدت النيران مُجدّداً وأحاطت بي، ومن بعد ذلك سمعت عبارة بصوت مرتفع تشقّ صوت النيران: (باسمه تنطفئي)! وفقدت الوعي، حينما استيقظت وجدت نفسي مُلقى أمام باب منزل عابد، لم أتمالك نفسي ولكنني عدت سريعاً إلى منزلي، ومُنذ حدوث ذلك وأنا أرى نفس الرّؤوس تظهر لي في كلّ الأوقات».

- «لقد كُنت ضحيّة عدم تنفيذ القُربان».

- «أعلم أن عابد كان يستغلّني ولم يكن يفعل هذا لأجل ما طلبته منه، وإمّا كان يفعله لأجل نفسه، ولكن ما ذنبي أنا لأتحمل عاقبة عدم إكمال القُربان؟ لقد تحوّلت حياتي لكلّ سوء، وكلّ ما حدث له أنه قد مات، أمّا أنا فأتعذب الآن بسببه».

- «يحدّث لك هذا لأنك من منعت عدم إكمال القُربان، لم يكن عليك أن تفعل هذا، إن كنت قد انتظرت أيّها الغبيّ لكنت سأساعدك، حينما رأيته آخر مرّة كان الخلاف قد اشتدّ بيني وبينه بسبب ذلك الأمر، لذلك فكّرت في إخبارك بكلّ شيء حتى تبتعد، ولكنك تسرّعت وقتلتها، صحيح أن لا أحد من أفراد الشّركة سيعلم أنك القاتل، ولكن

الأعظم من هؤلاء قد علموا، إنهم الجنّ، ولن تستطيع الهروب من الجنّ ما دمت حيًّا، أو بالأحرى، أنهم لن يتركوك إلا وأنت ميّت».

- «وما العمل إذن؟»

- «اجلس وانتظر ساعة موتك، لن تستطيع النجاة من هذا».

- «وهل يُمكنني أنا أن أكمل هذا القربان؟»

اندهش حسين حينما سمع تلك العبارة، أهذا هو نفس الشّخص الذي قتل عابد لأنه كره قتل الأبرياء، وها هو الآن يُريد إكماله، جميع من يدخلون في هذا الطّريق لا يُهمّهم إلا مصلحتهم فقط، لقد تأكّد حسين من ذلك فعلاً، فردّ قائلاً:

- «لا يُمكنك بالطبع، القربان لن يستطيع إكماله شخص إلا من سلالة عابد، أيّ أوّل أحفاده».

- «وأيّن هو إذن ذلك الشّخص؟»

- «لن تستطيع أن تطلب منه ذلك، لن يستجيب على الإطلاق».

- «أخبرني باسمه، صدّقني، سأتولّى أنا أمر إقناعه».

- «ما تقوله الآن مُجرّد هراء يا رجل، لن تستطيع الهروب من قدرك، لن أستطيع أن أساعدك».

- «ساعدني من فضلك يا أستاذ حسين، أنت أُملي الوحيد في الحياة الآن».

- «لا مفرّ من واقعك الآن، عليّ الذهاب».

خرج حسين وهو يلتقط أنفاسه ممّا سمعه، لقد كان الأمر مُؤذيًّا بالفعل.

* * *

يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الثانية عشرة صباحًا.

انصرف كامل مُتجهًّا إلى العنوان مرّة أخرى بعد أن طلب من زُملائه الضّباط أخذ كلّ الأشياء والأوراق التي تمّ العثور عليها في مقرّ الشركة ثمّ تشميعها بالشمع الأحمر، بعد نصف ساعة تقريبًا كان قد وصل إلى المنزل ثم عاد إلى حارس العقار مرّة أخرى حيث سارع بالوقوف قائلاً:

- «مرحبًا سيّدي».

أمسك به كامل من طرف ثوبه بغضب قائلاً:

- «إن لم تخبرني بكل شيء الآن سوف أقبض عليك وأنت من ستتحمل كل تلك الجرائم السابقة».

- «ما الأمر يا سيدي؟!»

- «هذا المدعو سالم الأسيوطي، هل يملك شقة في هذه العمارة غير خاصته التي أعرفها؟»

تردد حارس العقار في الردّ، ولكن ما أن اشتدّ كامل عليه حتى قال بخوف:

- «نعم نعم، الشقة الموجودة بالدور الأوّل».

- «وأنت أيّها الغبيّ لم تلاحظ دخول أحد الغرباء لها في الأشهر الفائتة أبداً بعد مقتله؟»

- «أقسم لك سيدي أنه لم يدخلها أحد».

ردّ عليه كامل بغضب قائلاً:

- «حسنًا، أريد أن أدخلها الآن!»

- «حسنًا، حسنًا».

أخرج حارس العقار من جيبه سلسلة من المفاتيح وأمسك بأحدهم ثم وضعه في الباب وفتحه على الفور، كانت الشقة بها كميات كبيرة من الأتربة، طلب كامل من حارس العقار الانصراف وتركه وحيداً، أخذ كامل يدور في الشقة حتى عثر على نافذة لم تكن موصدة ففهم وقال:

- «هكذا إذن».

ظلّ يبحث في الشقة حتى عثر على جهاز حاسب آليّ أيضاً، وعلى ذلك المكتب وجد العديد من الأوراق، صُعق مُجدّداً حينما رأى كلّ هذا، لم يكن يتخيّل أن ما رآه في الأسطوانة التي كان يحملها يوسف سيكون حقيقياً بهذه النسبة العالية، أخذ يقرأ محتويات تلك الأوراق بسرعة حتى اتصل بالضباط الموجودين بالخارج وطلب منهم الدخول، أخبرهم بكلّ شيء وطلب منهم أن يفعلوا بتلك الأشياء ما فعلوه بما كان في الشركة ليقول أحدهم:

- «ما كلّ تلك الأشياء، لم أكن أتوقع أن يكون الأمر بهذه الصّورة أبداً».

- «القضية كبيرة، ولكنني لم أكن أفكر من هذه الزاوية أبداً، لقد خدعنا ذلك الجاني

مُستغلاً أننا لن نبحت وراءه هو بالذات مُتقين بموته ولكن هيهات، كنت على حقّ حينما قلت أنه لم يمت».

- «وأنت أين ستذهب الآن يا سيّدي».

- «سأذهب إلى مُستشفى الأمراض النفسيّة التي كان فيها لأتأكّد من بعض الأشياء، ومن بعدها يجب أن أنطلق في طريقي إلى المقابر، هناك شخص سيقتل الآن! اذهبوا أنتم إلى المقابر وسألحق بكم على الفور!»
- «عُلم سيّدي».

* * *

يوم الأحد ٢٦ / ٨ / ٢٠١٠ الساعة الثانية والنصف صباحاً.

مرّت الأيام، قُتل عابد ومن بعد ذلك فُتحت أبواب الجحيم كما يُقال، يبدو أن الأمر لم يكن ليتوقف عند هذا الحدّ فقط، فقد حدث أنه قبل مرور أسبوع كامل على مقتله، كان خبر واحد هو ما يُسيطر على صُحف الأخبار هذه المرّة.

* * *

العثور على رجل مذبوح في منزله، وعلى وجهه أشدّ علامات الفزع، وُجدت بجانبه ورقة كُتب فيها: «ضعوني في مقبرة الرّجل الذي أحرقتة».

* * *

كان حسين يتوقع حدوث هذا، قرأ الخبر وبعد ساعات على الفور قرّر أن يذهب إلى المقابر، وصل سريعاً إلى مقبرة عابد سلّام الأسيوطي، نظر إليها، سأل التربيّ الموجود هناك عن الأمر فكانت إجابته كالتالي:

- «نعم نعم، هناك رجل تمّ دفنه هنا منذ ساعات، لم يستلم أحد من ذويه جُثته وأخبرونا أنه قد مات منذ زمن، في الحقيقة لم نكن نعلم ماذا نفعل، فمثل هذا الرّجل وحسبما عرفنا عن مقتله لا يصحّ أن يُدفن في مقابر الصّدقة أبداً، لذلك دفناه في تربة الأخير الذي يُسمّى عابد سلّام الأسيوطي، المقابر لا يصحّ أن تفتح قبل شهر على الأقلّ يا أستاذ منذ آخر شخص دُفن فيها، ولكن لم نملك إلا هذا الخيار».

أنهى التربيّ عبارته في نفس اللّحظة التي رأى فيها التربة تشتعل وتصدع منها نيراناً

عالية، صرخ الرجل وأخذ يُردّد:

- «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله».

نظر حسين إلى ساعته ليجدها الثالثة صباحًا، نفس الوقت الذي قُتل فيه عابد، ومن المؤكّد أنه نفس الوقت الذي قُتل فيه الرجل الآخر، أمسك حسين بالتريّ على الفور قائلاً:

- «لا تُحاول فتح هذه التربة أبدًا، في الغالب ستشتعل في نفس الوقت كلّ يوم، وقد يحدث ذلك في بعض الأوقات الأخرى، حينما يحدث ذلك لا تفعل شيئًا إلا أن تجلس أمامها وتقرأ، سأعلّمك بعض الأشياء التي تقولها إذا تصاعدت النيران بكثافة». أخذ حسين يُلقن التريّ بعض الكلمات الغريبة حتى حفظها، كان التريّ مُتعبًا ممّا يسمعه ولكنه علم أن الأمر له علاقة بالجنّ، انصرف حسين على الفور تاركًا التريّ في حيرته، كانت أفكار حسين لا حصر لها بعد كلّ ما حدث، أهمّ ما كان يُسيطر على فكره هو أمر واحد، هل حقًا سيقتنع حفيد عابد بإكمال القربان، كان الأمر صعبًا جدًّا، حتى أنه أخذ يُردّد:

- «من يستطيع إقناعك إذن يا حازم!!»

* * *

يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الثانية عشرة والنصف صباحًا. وصل كامل إلى مُستشفى الأمراض العقلية التي كان حازم مُحتجزًا بها منذ أشهر، أخذ يتساءل عن حازم، لم يُجبه أحد سوى مُمرّضة واحدة حيث قالت:

- «حضرة الضابط!، هل تقصد حازم الأسيوطي الذي جاء إلى هنا بعد مقتل والده؟» أجابها فورًا:

- «نعم، هذا هو ما أقصده، أخبريني عنه».

- «بعد احتجازه في المُستشفى بعدة أيّام، دخلت إلى غرفته فلم أجده، تحققت من كلّ الأماكن التي قد أجده فيها ولكن دون جدوى، بعد ساعات عُدت إلى غرفته مُجدّدًا لأتفاجأ بوجوده، كان طبيعيًا وكأن شيئًا لم يكن أو أنه كان مُختلفًا في هذه الساعات، في أحد المرّات طلب قلمًا وبعض الأوراق، أُحضرت له تلك الأشياء وكان يخطّ بها الكثير من الأشياء الغريبة».

- «وهل لديك هذه الأوراق؟»

- «حينما احترقت غرفته دخلنا إليها، كانت الغرفة مُحترقة بالكامل، حتى هو لم نجده، وجدت آثار الأوراق التي أعطيتها له، ولكن جثته لم تكن موجودة، هذا ينفي قولنا في السابق أنه مات محروقًا، كانت كذبة حتى نخرج من هذا الموقف، ولكن الغريب كان أنني من وسط النيران، وجدت ورقة في سلّة المهملات لم تحترق، لا أعرف كيف حدث ذلك».

- «هل تملكي هذه الورقة؟»

- «نعم، لحظات وسأعطيك إيّاها».

ذهبت المُمرضة وعادت وهي تحمل في يدها ورقة ما، أمسك كامل بها ليجد مُحتموها كالآتي:

* * *

الانتقام

الأفكار

الخدع

الموت

الحـ...

الشـ... لا... ينتـ... أبـ... الشـ... لن... ينتـ... إلّا... بـ... مقتـ... جميـ... البـ... أمـ... أنـ...
. فـ... هنـ... لـ... آدـ... تلـ... المُـ... ستسـ... المـ... البـ... ولن... يتمـ... أحـ... من... إنهـ...
... لا... نهـ... لـ... مذا... (حـ)!!

* * *

ليس لديّ ما أقوله لك، ولكن حازم بعد أن خطّب بيده هذه الكلمات أمسك الأوراق وأخرج قِذّاحة من جيبه وأشعل النيران في جميع الأوراق ووضعها على سريره وهي تحترق!!

- «دكتور عادل، دكتور عادل، مصيبة تحدث، غرفة حازم تحترق بالكامل!!»

* * *

أخذ كامل ينظر إلى مُحتوى الورقة، ماذا تعني كلّ تلك الكلمات المُقطّعة، وضع

الورقة في جيبه وانصرف على الفور مُتجهًا إلى المقابر، لقد تأكد من كل شيء كان يُريده، لذا يجب أن يذهب الآن حتى يتمكن من اللحاق بآخر الأشياء التي يُمكن إنقاذها.

* * *

يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الواحدة صباحًا.

ما أن سمع سامح اسم حازم حتى صُقع واحمرَّ وجهه من شدة الخوف وقال:

- «من تقول؟ أتقصد حازم الأسيوطي؟!»

ابتسم ثروت وهو يقول:

- «نعم، إنه هو، حازم يكون حفيد العارف بالله عابد الأسيوطي يا سامح».

اقشعرَّ جسد سامح لما سمعه ثم أكمل قائلاً:

- «كيف ذلك؟ أتقصد أن من يُقتلوا الآن هم إكمال لهذا القربان؟»

- «احتمال، أنا لا أعرف أي شيء سوى هذه القصة، الجميع يتناقل أحداثها وأنا واحد

ممن سمعوها لا أكثر، أما ما يحدث الآن فأنا لا أعرف عنه شيء».

- «هل تعرف حازم أصلًا؟!»

حاول ثروت التهرب فقال:

- «والآن بعد أن انتهينا، ألا تريد أن ترى هذه التربة إذن؟»

- «الساعة الآن هي الثالثة صباحًا يا رجل، لا شك في أن النيران ستخرج منها مُجددًا».

- «لا تخف، لن يحدث هذا، هيّا سأفتحها لك».

اصطحب ثروت معه سامح ثم اتجه الاثنان نحو المقبرة، أخذ ثروت يفتح القفل

الموجود على الباب، وانفتح الباب بعدها بهدوء، أشار ثروت لسامح قائلاً:

- «تفضل بالدّخول».

تعجّب سامح ثم قال:

- «وَأنت؟»

- «لن أستطيع الدّخول معك، يجب أن تدخل وحدك».

لم يُجادل سامح كثيرًا فدخل على الفور، وبعد ثوانٍ لم يسمع ثروت من الخارج سوى

صرخات مُتتالية من سامح وهو يستغيث، ثم قال بصوت عالٍ:

- «سيد عمرو؟!»

لقد رأى جثة السيد عمرو موجودة داخل التربة، كانت ملابسه مُلطّخة بالدماء، أما ذراعه الأيسر فقد كان مسلوحًا بالكامل، كان الرجل مذبحًا بالطّبع، كان المنظر أقلّ ما يُقال عليه أنه مُرعب، أما على الجانبين الآخرين في التربة، رأى سامح كفين مُتهالكين بفعل الزمن، ولكن تبادر إلى عقله شيء ما أخبره أن الكفن الأيسر يخصّ عابد، والآخر لذلك الرجل، لم ينتهِ من أفكاره حتى وجد يدًا تسحبه إلى الخارج بغضب وصاحبها يقول:

- «أنت سامح الرّفاعي؟! أنت مقبوض عليك بتهمة القتل!!»

تعجّب سامح ممّا سمعه ثم قال بسرعة:

- «ماذا تقول يا حضرة الضّابط؟ أنا لم أقتل أحدًا».

أشار الضّابط - وقد كان هو نفسه كامل - إلى الجثة الموجودة داخل التربة ثم قال:

- «وهذا من قتله، أنا مثلاً؟! هيّا معي حتى لا أستعمل معك القوة».

أمسك كامل بسامح وأخذ ثروت أيضًا واتجه بالاثنين نحو مركز الشرطة.

* * *

بعد أقلّ من ساعة كان الجميع في مركز الشرطة، فضّل كامل أن يوجّه إليهما

الاتهامات حتى يعرف كلّ شيء سريعًا، حيث قال:

- «الآن إن لم يعترف كلّ منكما ستوجّه إليكما كلّ الجرائم التي لم يتمّ حلّها بسبب

ذلك الجاني».

أخذ ثروت يصرخ ويتوسّل إليهم ويقول:

- «أنا غير مسؤول يا حضرة الضّابط عن أيّ شيء، أنا لم أشارك معهم في أيّ شيء من

ذلك، لقد كان سامح من أفراد المنظّمة، أمّا أنا فأعمل في المقابر، ما دخلي إذن؟»

- «وهل دفنك لجثث مجهولة المصدر وجثث مسروقة أعضاؤها لا يُعتبر جريمة؟!»

- «صدّقني يا حضرة الضّابط، أنا غير مسؤول عن ذلك».

صرخ كامل في وجهه قائلاً:

- «إذن يجب أن تجلس وتقول كلّ شيء تعرفه».

نظر ثروت إلى سامح ثم قال:

- «لن أتحدث هكذا».

تفهم كامل ثم طلب من العسكري أن يأخذ سامح إلى الحجز، ثم طلب من وفاء الحضور التي أتت سريعًا ليقول:

- «الآن يمكنك أن تتحدث».

ردّ ثروت بخوف:

- «لن أتكلّم أمامك يا حضرة الضابط، سأخبر الأستاذة فقط».

هنا تحدّثت وفاء وقالت:

- «من فضلك يا كامل، اذهب الآن، وحينما ينتهي سأخبرك بكل شيء».

- «حسنًا».

انصرف الضابط، بينما أخذ ثروت يتحدّث قائلاً:

- «الأمر بدأ منذ فترة طويلة، كان سامح هذا وبرفقته أحمد الذي قُتل منذ فترة

يأتون إليّ بضحايا وأقوم بدفنهم، لاحظت أن الضحايا تكون مسروقة الأعضاء ولكني

حينما تحدّثت أسكتوني بالمال، ومن وقتها وأنا لم أبلغ الشرطة عن هذا».

- «ماذا عن حازم؟»

اضطرب ثروت ثم قال:

- «من هو حازم، أنا لا أعرفه».

- «لا تحاول إخفاء الأمر، أنا أعرف أنك تعرفه جيّدًا».

- «حسنًا، ما دام هذا مهمًا فسأخبرك، لقد كنت أساعد حازم في الإيقاع بالضحايا

الأخيرين، أقصد أحمد وغيره، حازم هو من طلب مني أن أقصّ تلك القصة على

سامح حتى يأتي للمقابر باستمرار، لتكون النتيجة هي ما حدث الآن».

* * *

يأتي اتصالًا هاتفيًا إلى ثروت من شخص ما، ليتكلم الشخص قائلاً:

- «يجب أن نتقابل الآن».

- «ولكن».

- «لا تُقاطعي، الأمر لا يحتمل التأخير».

- «حسنًا، أين؟»

- «وراء المقابر التي تحرسها يوجد مكان مهجور قلّما أن يذهب إليه أحد، أنا أنتظرِكَ هُنَاكَ الْآنَ، احضر بِسُرْعَةٍ».

- «حَسَنًا».

يُغْلِقُ هَذَا الشَّخْصُ الْإِتِّصَالَ وَبَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقٍ يَأْتِي إِلَيْهِ ثَرَوَاتٌ فِي الْمَكَانِ الْمُحَدَّدِ، لِيَتَحَدَّثَ الْآخِرَ قَائِلًا:

- «مَا الْأَمْرُ؟»

- «أَحْتَاجُكَ فِي أَمْرٍ مَهْمٍ».

- «كَفَاكَ غَمُوضًا، أَخْبِرْنِي بِالْأَمْرِ كَامِلًا».

- «أُرِيدُكَ أَنْ تَقْصَّ عَلَيَّ سَامِحَ قِصَّةِ جَدِّي، يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَهُ بِجَمِيعِ تَفَاصِيلِهَا، وَلَا تَتَسَرَّعْ، يَجِبُ أَنْ تُنْهِيَهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي سَأُخْبِرُكَ بِهِ، ثَرَوَاتُ!، تَذَكَّرُ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَنْفِذْ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ سَأَقْتُلُكَ، سَأَقْتُلُكَ يَا ثَرَوَاتُ! أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي أَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ يَوْقَعُ بِكَ فِي يَدِ الشَّرِطَةِ».

- «مَتَى أُبْدَأُ؟»

- «مِنَ الْيَوْمِ لَوْ تَرِيدُ».

- «سَأَنْتَظِرُ وَصُولَهُ وَسَأُبْدَأُ».

- «اتَّفَقْنَا».

وَيُخْرِجُ هَذَا الشَّخْصُ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمَهْجُورِ مُنْصَرَفًا.

* * *

- «أَيَّ قِصَّةٍ؟»

- «الْأَمْرُ طَوِيلٌ يَا أَسْتَاذَةَ، وَلَكِنِّي سَأُلْخِصُهُ لَكَ، جَدُّ حَازِمٍ كَانَ دَجَالًا وَاسْمُهُ عَابِدٌ، كَانَ يَعِيشُ فِي الْحَقْبَةِ الزَّمْنِيَّةِ مُنْذُ عَشْرِ سِنَوَاتٍ مِثْلًا، مَا أَعْرِفُهُ أَنَّهُ قَامَ بِعَمَلِ عَهْدٍ مَعَ عَشِيرَةٍ مِنَ الْجَنِّ لِيَحْصَلَ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْحِمَايَةِ، وَهَذَا الْعَهْدُ كَانَ يَتَطَلَّبُ قُرْبَانًا، لِيَكْتَمَلَ هَذَا الْقُرْبَانُ، كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ الْإِيقَاعُ بِعَشْرِ ضَحَايَا وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ هَذَا الْعَهْدِ، مَا حَدَثَ أَنْ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي كَانَ يَجْلِبُ لِعَابِدِ الضَّحَايَا انْقَلَبَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، وَبَعْدَهَا بِأَسْبُوعٍ مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، كَانَ مَمْسُوسًا مِمَّا رَأَاهُ أَثْنَاءَ مَوْتِ عَابِدٍ، نِيرَانٌ تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ وَتُحِيطُ بِهِ ثُمَّ تَأْكُلُ جَسَدَهُ، أَمْرٌ مُرْعِبٌ يَا أَسْتَاذَةَ، تَمَّ دَفْنُهُ فِي نَفْسِ

مقبرة الأول، ومن وقتها وتربته تحترق كل يوم في الثالثة صباحًا، نفس الوقت الذي قُتل فيه، ولكنه مات قبل أن يُكمل القُربان، لقد ضحى بأربعة أشخاص من أصل عشرة، والعهد ينتقل من الجدّ إلى الحفيد، أيّ إلى حازم، لذا كان يجب على حازم أن يُكمل القُربان الذي تخلف عنه جدّه، وهذا ما بدأ حازم في تنفيذه بحق، لقد قتل محمود وسيّد وأحمد والسيّد عمرو، أمّا الصّحيّة المتبقيّة هي بالطّبع سامح، بالإضافة لشخص آخر أنا لا أعرفه، أخذ حازم يقتل فيهم واحدًا تلو الآخر، كان حازم يقتل كلّ صحيّة جديدة في كلّ يوم فرديّ».

نظرت وفاء إلى ساعتها وقرأت التاريخ ثم قالت:

- «أيّ اليوم تقصد».

- «نعم، سيقوم حازم بقتل سامح اليوم!!»

- «وكيف وهو مُحْتَجز الآن؟»

- «لا أعرف، ولكنني مُتأكّد من أنه سيقتله اليوم».

- «حسنًا أكمل».

- «هناك ثأر خاص بين حازم وسامح».

همست وفاء بدهشة قائلة:

- «والده وشقيقته!»

- «نعم، لذلك كان حازم يفعل كلّ هذا».

- «والعمل الآن؟»

- «لا أعرف».

- «يجب أن يُمنع حازم من إكمال القُربان».

- «معك حق، ولكن هذا سيفتح لنا آفاقًا من المشاكل، وحازم لن يتوقف أبدًا».

- «ماذا يعني هذا؟»

- «لقد أخبرتكِ بكلّ ما أعرفه».

كان كامل قد أخبر العسكريّ أن يدخل حينما تأمره وفاء بذلك، فنادت عليه ثم قام بأخذ ثروت إلى الحجز، بينما ظلّت وفاء تكتب كلّ ما سمعته من ثروت في ورقها الخاصّ.

* * *

يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١، السّاعة الثّانية صباحًا.
كان كامل قد ترك وفاء في مركز الشّركة وعاد إلى منزله ليدرس كلّ تلك التفاصيل
التي وجدها في عمليّات البحث التي أجراها في هذا اليوم، لقد كان الأمر أكبر من
أن يتحمّله عقل.

- «الأمر خطير جدًّا، يجب أن ينتهي كلّ ذلك اليوم».
صرخ بهذه العبارة بعد أن كان ينظر لجميع الأوراق التي حصل عليها ثم قال
مُجدّدًا:

- «كلّ تلك الأوراق كان من المُفترض أن تكون في يدي منذ فترة طويلة ولكن».
نظر إلى الأرض ثم قال:

- «سامحك الله يا كريم!»
عاد بظهره واستند إلى الحائط ثم أغلق عينيه قليلًا وأخذ يُفكّر في كلّ شيء حوله،
حتى تفاجأ باتصال من وفاء حيث كانت تقول بنبرة سريعة:
- «كامل، يجب أن تأتي فورًا».
- «ماذا حدث؟»

- «لقد هرب سامح!!»

- «ماذا؟! أنا قادم فورًا».

خرج كامل مُسرّعًا ليتوجّه إلى مركز الشّركة.

* * *

سابقًا في يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١، السّاعة الواحدة والنصف صباحًا.
في نفس ذلك الوقت تقريبًا كان هناك شخص يجلس على مكتب ما ويُحاور أحدهم،
في الحقيقة، كان حازم هو من يتحدّث إلى حسين بالطّبع، حيث شرع قائلاً:
- «كلّ شيء سينتهي بعد ساعات من الآن يا حسين».

- «وكيف ستجلبه إلى هنا؟»

- «سامح؟! سامح هو أسهل ضحيّة سأجلبها إلى هنا، أسهل من الضّحايا التي كانت
تُجلب إلى جدّي يا حسين».

- «أخبرني إذن ماذا ستفعل».
- «ليس أنا من سأفعل، بل أنت!»
- «ماذا؟!»
- «ما بك مُتخوِّفًا هكذا؟ كلُّ ما في الأمر أن وجهك غير معروف للجميع، هل نسيت أنك اختفيت طيلة العشر سنوات الفائتة يا حسين، لا أدري كيف استطعت أن تعيش كلُّ هذا الوقت بعيدًا عن بلدك».
- «المهم، أخبرني بالذي سأفعله».
- «ستذهب إلى مركز الشرطة وستُعطي العسكريّ مالاّ ليدخل ذلك الطعام إلى سامح، واترك الباقي عليه، سيتمكّن هو من الهروب طبقًا للتعليمات التي أرفقتها مع الطعام».
- «أخبرني بها».
- «أنت لحوح جدًّا ولكنني سأخبرك، كلُّ ما في الأمر أنني وضعت مع الطعام سكّينًا سيُستعمل في قتل ثروت، بالطبع سيقوم سامح بذلك، وبعد حدوث ذلك سيقوم جميع من في الحجز بالطرق على الباب لحضور الضباط، سيُفتح الباب ويندفع الجميع من الخوف، في نفس اللحظة التي ستكون فيها أنت خارج المركز تقوم بفصل التيار الكهربائيّ عنه، وبعد ذلك، سأدخل أنا إلى هُناك وسأأخذه من وسط الظلام وأترك لهم رسالة حتى يعلموا أنني قمت باختطافه».
- «وماذا عن ثروت، لماذا يُقتل؟»
- «لأنه أفصح للشرطة عن كلِّ شيء بيني وبينه، وهذه هي نهايته يا حسين، بالطبع قد أخبرهم عن مكان هذا المنزل، وحينما يصلوا لن يتمكنوا من الدّخول إلى العُرفة التي سأنفذ فيها كلِّ شيء».
- «أتقصد تلك العُرفة الزجاجة».
- «بالضّبط هذا ما أقصده، هذه العُرفة لم تُفتح منذ زمن، منذ مقتل جدّي بالطبع، سأدخل إليها وأغلق الباب، لن يتمكّن أحد من الدّخول، سأتركه يُشاهدني فقط».
- «هذا جيّد».
- «ستكون معي بالداخل أيضًا يا حسين، والقلادة، يُستحسن أن تقوم بنقلها إلى تلك

الغرفة أيضًا، سنحتاجها».

- «حسنًا».

- «الآن افعل ذلك بسرعة حتى ننصرف سويًا».

قام حسين بتنفيذ المطلوب ثم انصرف كلاهما مُتجهين إلى مركز الشرطة.

* * *

يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١ الساعة الثانية والنصف صباحًا.

وصل كامل إلى مركز الشرطة سريعًا ليعرف ما حدث، ما لبث أن دخل المركز حتى

وجد كل الأمور مُنقلبة رأسًا على عقب، اتجه إلى أحد العساكر الذي قال له:

- «وجدنا صوت طرقات على باب الحجز، وحينما ذهبنا أخبرونا أن أحد الذين

تم حجزهم في النهاية قتل الآخر وكان يُهدد الآخرين، فتحنا الباب بسرعة واندفع

الجميع في نفس اللحظة التي انقطع فيها التيار الكهربائي عن المركز بأكمله، لم نجد

سامح بعدها، اختفى!!»

- «وماذا حدث بعد ذلك؟»

- «خرج أحدنا لرؤية مصدر التيار ووجدنا أن أحدهم قام بإطفائه، وقمنا بتشغيله

مُجددًا».

انصرف كامل ودلف إلى مكتبه ليجد وفاء هناك حيث قالت:

- «هل علمت ما حدث؟»

- «نعم».

- «ليس هذا هو المُهم، ولكن الأهم هو هذا».

أمسكت وفاء بظرف أسود وأعطته لكامل وهي تقول:

- «حينما عاد التيار وجدته أسفل الباب».

أمسك كامل به وقام بفتحه وأخذ يقرأ مُحتواه:

* * *

أهنتك يا حضرة الضابط على كل ما وصلت إليه، ثروت وقد مات، سامح وقد نجحت

في تهريبه، أخبرني ماذا تنتظر الآن، ألم أخبرك أنك ستسير على نفس الخطّة التي

رسمتها لك منذ البداية لتصل إليّ في الوقت الذي أريده أنا، لقد نجحت إذن، بالطبع

سُتُخبرك وفاء بكلّ ما قاله لها ثروت، ما زلت تملك الوقت، أنتظرُك في العنوان المُتفق عليه، ستُخبرك هي به، الوداع يا حضرة الضّابط.
(الحنوتي)

* * *

أنهى كامل القراءة ثم قال:
- «أيّ عنوان يقصد؟»
- «المكان الذي يقع فيه منزل جدّه، لقد أخبرني به ثروت».
- «وماذا ننتظر، هيّا وأخبريني بكلّ ما قاله لك ونحن في الطريق».
انصرف الاثنان مُتجهين سريعاً إلى العنوان المُحدّد.
* * *

يوم الخميس ٩ / ٦ / ٢٠١١، السّاعة الثالثة صباحاً.
أخذ ينظر من حوله دون إدراك لما هو فيه، هل هو في سجن أم أين؟! حاول تحريك يديه، يبدو أنه مُقيّد، من قام بتقييده كان ذكيّاً؛ لدرجة أنه لم يترك له فرصة ليتحرّك حركة بائسة؛ لينظر من حوله حتى، ما هذه الرّائحة؟ لو وصفت لك ما يستنشقه الآن سيقشعرّ جسدك من الفزع! رائحة أشبه برائحة الموتى، أو إذا أردنا الدقة، رائحة القبر، العظام والأجساد المُتحللة بسبب عوامل الزمن، نتيجة لدفنها هنا لعدة شهور!!

- «أيّ قبر يكون فيه كرسيّ حديديّ كهذا؟! يبدو الأمر مُحيرًا بعض الشيء، لا يمكنني حتى تخيّل المكان الموجود فيه، أشعر أن عقلي يتجمّد ويتوقف عن التفكير! ما هذا الظلّ الذي يتحرك بالقرب مني!!»
كانت هذه بعض من الأفكار التي كانت تدور بداخل رأسه الذي تتساقط عليه كل فترة زمنية معينة تقدر بالثواني عدد من قطرات الماء الساخنة، فينتفض جسده لحدوث هذا! ليبدأ هو بالحديث قائلاً:
- «هل من أحد هنا؟ أين أنا؟»
- «أكذب عليك يا صديقي لو أخبرتك أيّ هنا لأنقذك، بالطبع لا».
- «من أنت؟! ولماذا أنا موجود هنا؟»

- «لا تزعجني بكثرة الأسئلة، فما زال هناك الكثير من الأشياء التي لا بُدَّ أن نفعلها سوياً».

- «ماذا تقصد؟»

- «ستفهم كلَّ شيء قريباً، ولكن قبل أن نبدأ، لا بُدَّ أن أنتزع تلك النظارة الطبيَّة التي ترتديها، أظن أنها ستعيقني عن عملي».

نهض من مكانه مُتجهاً إلى ذلك الرَّجل المُقيَّد ثم نزع منه نظارته وألقاها على الأرض ثم ابتسم بهدوء قائلاً:

- «ألن تخبرني إذن لماذا فعلت كلَّ هذا؟»

- «أخبرك بماذا؟! أنا لا أعرفك أصلاً».

- «لا تعرفني؟! شيء غريب، لقد ظننت أنك ستعرف من أنا حينما تجد نفسك هنا».

- «تحدَّث بسرعة وإلا قتلتك».

ضحك ذلك الشَّخص بمكر ثم قال:

- «تقتلني؟! يبدو أنك لا تعرف شيئاً».

أنهى تلك العبارة ثم جلس على كرسيٍّ موجود في تلك الغرفة واستند إلى الحائط ثم قال:

- «أنت حقاً لا تعرف شيئاً، أنا واقعتك المؤلم، أنا الماضي والحاضر، أنا المُستقبل، أنا مُنتهى كلَّ شيء فعلته وستفعله، أنا نهايتك، أنا آفاق تفكيرك، أنا كلَّ شيء فعلته دون أن تُفكِّر في عاقبته، أنا العاقبة، أنا من سأخذ حقَّ كلِّ شخص قضيت عليه، أنا هنا لأخذ روحك يا صديقي!»

ابتسم الرَّجل المُقيَّد بمكر ثم أردف قائلاً:

- «مُجرَّد هُراء».

- «تعتقد أن هذا مُجرَّد هُراء فعلاً؟ أنا سأثبت لك عكس ذلك الآن».

نهض من مكانه ثم أمسك بالسَّكِّين الذي كان يحمله في جيبه واتجه صوب الرَّجل المُقيَّد، بحركة سريعة قام بتمرير السَّكِّين على مفصل يده اليسرى ما نتج عنه اندفاع كمِّيَّة من الدِّماء في ظلِّ صرخات الأخير وهو يستغيث ويقول:

- «ارحمني أرجوك».

تعجّب المتحدّث إليه ثم استطرد قائلاً:

- «أأرحم من لا يعرف الرّحمة؟! ستبدأ ليلتنا الآن يا صديقي، أنت في ملعبك الآن، استعد!»

- «استعدّ لماذا؟!»

- «ستعرف كلّ شيء الآن يا صديقي، ولكن يجب أن أرحّب بك أولاً».

قال هذه العبارة ثم قام بنقل كرسيه الذي كان يجلس عليه ووضعه في مواجهة الرجل المقيّد ثم جلس وقال:

- «مرحباً بالقاتل!!»

كان لتلك العبارة أثر سيء عليه ثم أخذ جسده يرتجف كأنه قد تعرّف على هويّة من يُحدّثه ثم قال بخوف:

- «أن...، أن...، أن...، أنت...»

قاطعه على الفور:

- «أنا (الحنوتي)!!»

* * *

في مثل هذا الوقت كانت وفاء قد قصّت على كامل كلّ ما أخبره ثروت لها، حيث قال على الفور:

- «كلّ هذا قد حدث وأنا لم أكن أعرف؟»

- «الأمر خطير يا كامل، يجب أن نلحق به قبل أن يقتله».

- «أنا أسير بالسرّعة القصوى، أحاول أن أصل بسرّعة».

- «أتمنى ذلك».

* * *

- «هل عرفتني الآن يا سامح؟!»

ردّ سامح بخوف:

- «حازم؟!»

- «جيد، هكذا دعنا نتحدّث دون قيود».

- «ماذا تريد يا حازم؟»

- «حقّ والدي وشقيقتي، لماذا قتلتهما؟»
 - «لم تكن أوامري، لقد أمرني السيّد عمرو بهذا وما أنا إلا مُنفذ لأوامره».
 - «تنفذ أوامره فتقتل من ليس لهم ذنب؟»
 - «سامحني يا حازم، حقًا كان كلّ شيء دونًا عن إرادتي».
 - «لا مكان للسّماح هنا يا سامح، أنت هنا لأنتقم منك يا صديقي».
 قال هذه العبارة ونهض من مكانه وقام بإضاءة العُرفة في نفس اللّحظة التي وصل فيها كامل ووفاء، حاولا الدّخول ولكن دون جدوى، فالباب لا يُفتح بالطّبع، ابتسم حازم ثم قال مُوجّهًا حديثه لسامح:
 - «لن ينجح أحد في الدّخول يا سامح، سيكتفيا بسماع حديثنا فقط».
 ارتعد سامح حينما سمع هذا فاستطرد حازم قائلاً:
 - «لماذا قتلتهما يا سامح، أكان ذلك انتقامًا لأخيك الذي مات بعد قتله لجدي؟! هو من كان غبيًّا وكان يُريد المال، فاستقطب أقرب الأشخاص إليه وجلبهم لجدي رغم أنه يعلم أن كلّ ما كان يحدث كان لأجل الجنّ، حتى أنه استقطب ابن عمّه لأن القُربان يطلب ذلك أيضًا».

* * *

حضر ذلك الرّجل الذي كان قد أتى إلى عابد مرّة أخرى من جديد، لم يكن بمفرده هذه المرّة، بل كان معه رجل آخر، يبدو على وجهه التّأهّب لدخول مثل هذا المكان، لقد كان المكان غريبًا عليه بعض الشيء، فهو لم يتعوّد على الذهاب لمثل تلك المنازل، منازل الشيوخ، أو ما كانوا يُطلقون عليهم اسم العارفين بالله، حتى هذه أيضًا كانت كذبة، فهم لا يعلمون عن الله سوى اسمه فقط، لقد كانت أعمالهم بعيدة كلّ البعد عن طريق الله، أخذ ذلك الرّجل يستكشف المكان ببطء وهو يقدم قدمًا ويؤخر الأخرى، حتى لم يكن من الرّجل الذي أتى به إلى هنا إلا أن قام بدفعه حتى يسير، ليظهر لهم عابد ويتحدّث بصوته الأجش ويقول:
 - «مرحبًا بطالبي القرب!»

* * *

ردّ سامح قائلاً:

- «وهل تعتقد أنني لم أكن أعرف؟ لقد منعتَه من فعل ذلك ولكنه رفض يا حازم، لذا كان انتقامي من والدك وشقيقتك لأجل أخي الذي قُتل بسببكم».

- «أخوك هو من كان غيبًا، هو من تعدّى على العهد وقتل جدّي، هو من منع اكتمال القُربان، لذا كان مصيره الموت، وأنت هنا لتُقتل مثله، يجب أن ينتهي نسل تلك العائلة نهائيًا».

- «وهل تعتقد أنك ستتمكّن من قتلي؟»

- «أعتقد؟! لا لا، أنا مُتأكّد يا صديقي».

- «صدّقني يا حازم، لن تستفيد شيئًا من قتلي».

- «في الحقيقة يا سامح، الشيء الوحيد الذي أريد أن أشكرك عليه قبل أن أقتلك هو قتلك لصديقك ثروت، لقد كان يتحدّث كثيرًا، رغم أنني من أمرته بأن يقصّ عليك هذه القصة منذ البداية، إلا أنه أتقن الدّور جيّدًا، ولكن دوره قد انتهى».

صُدّ سامح حينما سمع ذلك قائلاً:

- «ماذا؟! وأنت هنا لتجعلني ألقى نفس المصير أيضًا؟!»

- «على الأقلّ سأنتقم من مَن كان السّبب في مقتل جدّي ووالدي وشقيقتي، وسأكمل القُربان الذي بدّاه جدّي، وسأنهي كلّ شيء، الآن حتى لا تُضيّع الوقت، لقد عرفت مصيرك النهائي، لا تُضيّع وقتي إذن».

نهض حازم ثم اتجه نحو سامح وأخذ يلتفّ حوله ببطء ثم قال:

- «لأنني لا أملك الوقت، لن أخوض معك نفس اللّعبة التي خاضها جميع أصدقائك، سأقتلك مباشرة وأتركك تواجه العذاب في الحياة الأخرى، الوداع يا صديقي!»

نطق بتلك العبارة وهو يضحك بمكر ثم أخرج السكّين الخاصّ به وأمسك برأسه ومرّر السكّين ببطء على وريده الودجي فانفجرت الدّماء وخرّ سامح صريعًا في وسط ضحكات حازم وهو يقول:

- «لقد انتصرت، لقد اكتمل القُربان، لقد أنهيت كلّ شيء».

ارتعد جسد كامل ووفاء جرّاء ما رأوه من قتل، تكوّنت طبقة جليديّة على القلادة الموجودة في الغُرفة، تلك التي سقطت منها بعض القطرات من الدّماء لتكوّن الجملة العددية المعهودة، أمّا حسين فقد كان يتسمّم، حيث كان موجودًا في الغُرفة مُنذ

البداية ثم قال:

- «جيد يا حازم، كنت أعلم أنك ستفعل ذلك».

ابتسم حازم ناظرًا إليه بمكر ثم قال:

- «أخبرني يا حسين، هل كانت رحلتك إلى الصَّعيد جيِّدة».

* * *

- «أخبرتكَ أنني لا أريد تذكُّر الماضي، ولكن ما دمت أنت من بدأت، لذا سأخبرك بما كنت أفعله في الصَّعيد».

- «حسنًا».

- «كانت زيارتي للصَّعيد زيارة عمل، كانت هناك روايات قديمة تقول أن هناك منطقة في المحافظة التي كنت أذهب إليها تحتوي على مقبرة لأحد السَّحرة القُدَّامى، كنت أودُّ أن أكتشف هذه الأسرار وأعلم عنها كلَّ شيء».

* * *

صدم حسين حينما سمع ذلك ثم قال:

- «ماذا؟! كيف عرفت أنني كنت في الصَّعيد؟»

ابتسم حازم ثم استطرد قائلاً:

- «رحلة الصَّعيد، حينما دخلت مقبرة السَّاحر، أقصد حارق!»

صُعق حسين وأخذ يتساءل في نفسه عن كيفية معرفة حازم لهذا الأمر، ولكن حازم ردَّ قائلاً:

- «لا تتساءل كثيرًا يا حسين، لقد عرفت وانتهى الأمر، بالطبع لم يُخبرني جدِّي بذلك، مثلما لم يخبرك أن القربان سيكتمل بشخص قريب منه جدًا».

ردَّ حسين بخوف:

- «ماذا تقصد؟»

- «أقصد أن جدِّي عابد قد كذب عليك، وأجل إخبارك بذلك حتى يُنهي القُربان، وما دام لم يكمله فقد كان إخباري لك بذلك هو مسؤوليتي أنا مُنذ مقتله».

صمت حازم ثم أكمل قائلاً:

- «هل تتذكَّر حديث حارق حينما أخبرك عن الغول القادم؟»

* * *

- «ما أردت أن أعلمه لك يا حسين أن البشر دائماً ما يُحاولون التدخل في العالم الآخر، وجراء ذلك عُقدت العهود والقرايين بين البشر وعشائر الجن، والتي على أثرها أصبح البشر مُلزمين بالوفاء بتلك العهود للأبد، حيث ينتقل العهد من الجدّ إلى الحفيد ومن الحفيد إلى حفيده وهكذا، ونتيجة ذلك، ضاعت العهود وعجز البشر عن الوفاء بها، لذا فكلّ حقبة زمنيّة ستحدّث فيها مذبحة بشريّة لبعض طوائف البشر التي لها علاقة بتلك العهود، في كلّ حقبة زمنية سيظهر غول بشريّ يرتكب مذابح دامية بين البشر، ثم يختفي بطرق مُختلفة في كلّ مرّة».

- «وأيّ حقبة تلك التي سيظهر فيها الغول القادم؟»

- «لن أخبرك بموعدها، ولكنها في القريب العاجل، القريب الذي أقصده قد يكون بعد عشر سنوات من سنوات البشر أو أكثر قليلاً، المهمّ أنك ستعرف الغول حينما يظهر، ستعلم كلّ شيء حينما يحدث، وقتها لن تملك له إلا السمع والطاعة، سيكون الغول القادم هو ملعون هذا الزمان، احترس من إيذاء الملعون، وإلا فستدفع الثمن غالباً، ابتعد عن طريقه يا حسين».

- «وما المصلحة من ظهوره؟»

- «على البشر الذين برموا العهود مع عشائر الجن أن يُدركوا أن الجن والخدم ليسوا لعبة في أيديهم، وإنما هم عالم مثلهم وأفضل منهم أيضاً، يجب عليهم أن يُدركوا بُعد ما فعلوه، حتى لا يُكرّرونها مرّة أخرى».

* * *

- «نعم».

- «في الحقيقة يا حسين، لقد كان حارق صادقاً، ولكنه قد أخفى عنك جزءاً من الحقيقة، لم يخبرك أن ملعون هذا الزمان سيظهر من نسل عابد، لم يخبرك أن ملعون هذا الزمان سيكون حفيده، لم يخبرك أن ملعون هذا الزمان سيكون أنا».

زاغ بصر حسين وأخذ جسده يرتعش حينما سمع تلك العبارة ثم قال:

- «ماذا؟!»

- «في الحقيقة، لم يخبرك أنك ستكون نهاية القُربان الذي برمه عابد، الوداع لك أيضاً

يا صديقي، لقد انتهى كل شيء». قال حازم تلك العبارة ثم أمسك بحسين ومرّر السكين على رقبته وقتله على الفور لتتكوّن الطبقة الجلديّة الأخيرة على القلادة، والتي تساقطت منها قطرات الدماء التي كوّنت تلك العبارة.

* * *

اكتمل القربان الأكبر!!

* * *

أخذ حازم يضحك بسخرية شديدة ثم فتح الباب الفاصل بينه وبين كامل ووفاء ثم قال:

- «تفاجأت حينما عرفت كل هذا؟! لم أرد أن أخبرك أن (الحانوتي) هو ملعون هذا الزمان! لم تخبرك سلمى يا وفاء أن شقيقها هو الملعون أليس كذلك؟! لم يكن أحد يعرف ذلك على الإطلاق، ما لم يتوقعه أحد أن تكون الصحفية التي تُحارب منظمة تجارة الأعضاء البشريّة هي ابنة رئيس المنظّمة! البداية كانت من والدي الذي كان يُجهّزني لأحمل العهد، وكانت الطريقة الوحيدة لحدوث ذلك هو دُخولي في دوامة القتل والضحايا، أيّ طريقة أفضل من مُنظّمة لتجارة الأعضاء البشريّة؟! لقد فعل كل هذا ولكنه غفل عن مُراقبة السيّد عمرو جيّدًا، فكانت أولى قراراته وحده هي الأمر بقتل والدي، لم يكن يعلم أنه هو رئيس المنظمة، ولم يكن الأخير يملك الوقت ليمنع حدوث هذا فقتل على الفور، ونفس الأمر بالنسبة لسلمى، لم تكن تعلم أن والدها هو رئيس المنظّمة لأنها لم تحصل على المعلومات الكاملة».

* * *

ظلّ يبحث في الشقة حتى عثر على جهاز حاسب آليّ أيضًا، وعلى ذلك المكتب وجد العديد من الأوراق، صُقع مُجدّدًا حينما رأى كل هذا، لم يكن يتخيّل أن ما رآه في الأسطوانة التي كان يحملها يوسف سيكون حقيقيًا بهذه النسبة العالية، لقد كان رئيس المنظّمة هو سالم الأسيوطي نفسه! وحينما قُتل نتيجة خطأ فرديّ من السيّد عمرو أمسك حازم بزمام قيادتها وأخذ ينتقم من الجميع بالتحديد حينما قُتلت شقيقته بسبب قرارات فرديّة للسيّد عمرو طلب من سامح تنفيذها دون أن يرجع

لرئيس المنظمة الأصلي، أخذ كامل يدور في الشقة حتى عثر على عُرفة مُغلقة فيها، كان سردابًا يُوصل إلى شقة سالم الأسيوطي الأصلية الموجودة في في الدور الثاني، لهذا السبب تمكّن حازم من دخول الشقة إذن! ما كلّ هذا الخراب؟! ماذا ينتظرنا إذن في الساعات القادمة؟! عاد إلى المكتب ليجد رسالة قد كُتبت في ورقة ما كان مُحتموها.

* * *

لقد اقتربت النهاية جدًّا، ليست نهايتي، بل نهايتهم هم، نهاية كلّ شيء قد بدأ، أو ما كنت أظنها النهاية، يبدو أن للأحداث رأي آخر في تحديد نهايتها، ولكنها حتمًا ستظلّ مُستمرة كثيرًا.

* * *

صُغت وفاء وظهر عليها تعبير الدهشة، ليُكمل حازم قائلاً:

- «مثلما سمعتي يا وفاء، لقد علِمَ كامل بهذا مُنذ ساعات حينما دخل شقة والدي الأخرى، تلك التي لم يكن يعلم عنها أحد إلا هو وحارس العقار فقط، والتي اكتشفتها بعد مقتله، لحسن الحظّ أخبرني حارس العقار بهذا! لقد كان الأمر شائِكًا وأنا من كنت أحاول جاهدًا أن أبعدكِ أنتِ عنه يا وفاء، أنا من كنت أرسل لكِ رسائل التهديد حتى تبتعدي، أنا من كنت أرسل لك يا كامل كلّ تلك الرّسائل التي توصلك إليّ، ولكن بعد أن أكون قد أنهيت كلّ شيء».

ردّ كامل قائلاً:

- «و(الحنوتي)؟!»

- «مُجرّد غول ظهر في هذا الزمان وانتهى دوره وسيختفي كما اختفى من سبقوه».

صمت حازم ثم أردف قائلاً:

- «يجب أن تعلم أن الشرّ لا ينتهي أبدًا، بدأت الأرض بالخير، ولكن البشر هم من ابتدعوا الشرّ، البشر هم من كانوا السبب في شيوع القتل مُنذ بداية خلق آدم، البشر هم السبب في انتشار المذابح في الأرض، لذا فالمذابح البشريّة لن تنتهي أبدًا ويجب أن يعلم الجميع هذا».

حاولت وفاء الرّدّ ولكن حازم قاطعها قائلاً:

- «أمّا أنا فقد انتهى دوري، لقد انتهى كلّ شيء ويجب أن أعود لطبيعتي، ولكن،

هناك شعور غريب ينتابني، لا أعرف سبباً له للآن، أعتقد أنه يمكن تفسيره بشعور للانتقام؟ الرغبة في إنهاء الأمر؟ الهروب من الحقيقة التي كنت سبباً لها من البداية؟ الحقيقة التي بدأتها وكادت لتقضي عليّ، الحقيقة التي قضت عليّ فعلاً ولكن بشكل غير مباشر، الحقيقة التي كانت سبباً في انتهائي للأبد، انتهاء الحقيقة والفكرة، السبب والشخص، الحقيقة المسماة بالحقيقة المرة!!»

أنهى ذلك الشخص حديثه وأمسك بالسكّين الموجود على المنضدة ومرّ بهبطاً على عنقه ما نتج عنه تطاير سيل من الدماء انفجر في وجهه وملابس الشخص الواقف أمامه، لا يمكنني أن أنسى تلك الابتسامة الماكرة التي كانت على وجهه قبل أن يقوم بذبح نفسه، ابتسامة لم يفهمها الشخص الآخر، ولكن لا بد أن ما حدث له بعد ذلك فسّر له سر ابتسامته، فسّر له رغبته في أن يقول له أن كلّ شيء قد انتهى، وأن الحديث له بقيّة ولكن لا بد أن يكتشفها بنفسه، هذا إن تبقى له مُتسع من الوقت لفعل هذا قبل بداية نهايته، تدلّت رأس حازم إلى الأسفل لثوانٍ ثم رفعها مرة أخرى في ظلّ دهشة وفاء وكامل وسرّعان ما نطق بغضب قائلاً:

- «أنا ملعون هذا الزمان! أنا تلك اللعنة التي ستظلّ مُستمرة إلى الأبد بسبب فضول البشر، أنا الغول الذي يتغذى على دماء الشرّ، أنا لعنة الطلاسّم والتعاويذ، أنا مبدأ السّحر في الأرض، أنا السّاحر! أنا حارق! أنا فرد من أفراد الجان! أنا تلك الطائفة التي تُسيطر على البشر جميعاً بسبب فضولهم، أنا اللعنة التي تبدأ من أوّل حرف يُقرأ من كُتب السّحر، أنا لعنة العزائم وشمس المعارف وما يفوق إدراك جميع البشر، أنا اللعنة التي تنتقل عبر الأزمان، أنا تلك اللعنة التي انتقلت إليكم بعد إدراككم لهذه الحقيقة، أنا قاتل البشر أجمعين بسبب فضولهم اللعين، أنا ذلك الشرّ الذي لن ينتهي إلا بمقتل جميع البشر، أنا هنا لأداء هذه المهمة، لقد انتهى دور (الحانوتي) لذا سيختفي، ولكني سأظهر من جديد وباسم آخر، حارق لن يموت، لن يموت أبداً!!!»
صرخ بهذه العبارة وتفاصيل وجهه تتبدّل إلى وجه حارق، تلك العيون الحمراء الممتلئة بمزيج من الدماء والنيران، ذلك الذي لم يره أحد أبداً، اللهم إلا حسين الذي قُتل منذ ثوانٍ، احمرّ وجهه بسرعة جدّاً وهو يصرخ ويقول:
- «لقد انتهى كلّ شيء، انتهى كلّ شيء وأنتما الشاهدان الوحيدان على هذا، لذا

يجب أن تموتا الآن، الآن».

قال تلك العبارة في نفس اللحظة التي ظهر فيها دخان كثيف أحاط بالغرفة بأكملها، ثم اشتعلت نيران عالية أحاطت بوفاء وكامل، ارتفعت أصوات الصرخات في نفس اللحظة التي ظهرت فيها جميع الجثث التي قُتلت من قبل واتجهت نحو النيران المشتعلة، سالم الأسيوطي، سلمى، حازم، يوسف، جابر، شريف، صالح، ياسر، وليد، محمود، سيد، أحمد، عمرو، سامح، حسين! بالإضافة إلى الأربع ضحايا الذين تخلص منهم عابد منذ عشر سنوات، اتجهت جميع الجثث إلى النيران ثم أحاطت بهما وأخذت جميع الجثث تصدر أصواتاً غريبة وصرخات عالية، في نفس اللحظة التي تساقطت قطرات دماء من القلادة كوّنت العبارة الآتية:

* * *

الانتقام

الأفكار

الخدع

الموت

الحنوتي

الشر لا ينتهي أبداً، الشر لن ينتهي إلا بمقتل جميع البشر، أما أنا فهنا لأداء تلك المهمة، ستستمر المذابح البشريّة ولن يتمكن أحد من إنهاؤها، لا نهاية لمذابح (حارق)!!

* * *

كانت هي نفس العبارة التي كتبها حازم في الأوراق وهو في المستشفى، ولكنها هذه المرة العبارة الكاملة، ارتفعت النيران بشدة حتى كاد الاثنان يحترقان حتى ظهر صوتاً أجشاً يقول:

- باسمه تنطفئي!!»

وانطفأت النيران والإضاءة لثوان، ثم اشتعلت الإضاءة من جديد ولكن، لقد اختفى كل شيء! الجثث، كامل، وفاء، الدماء، حارق أو حازم، حتى القلادة، اختفى كل شيء، ولكن ظلت هناك عبارة واحدة تسيطر على الحائط بأكملها.

* * *

انتهت مذابح (الحنوتي) ولكن لا نهاية للمذابح البشرية، لا نهاية لمذابح (حارق)!!
* * *

ظَلَّت الإضاءة تذهب وتأتي، ثم تنقطع وتعود مرّة أخرى وهي مُتَرَدِّدة، لم تكن ثابتة أبداً، أمّا ساعة الحائط، فقد ظَلَّت تتحرّك حتى نجحت في الوصول إلى الرّابعة صباحاً، وصلت إلى تلك الفترة الزمنية اللّعينَة ثم توقفت، أمّا خارج المنزل، فقد كان كامل ووفاء مُغمّاً عليهما أمام تلك البوّابة البالية التي انهال عليها كمّيّة كثيرة من الأتربة وسط خيوط العنكبوت التي تُشير إلى عدم فتح هذا المنزل مُنذ سنوات، حتى تلك اللافئة التي كُتِب عليها: «عابد سَلَام الأسيوطي»، لم يكن الاسم واضحاً على الإطلاق من كمّيّة الأتربة الموجودة عليها، أمّا المقابر، بالتحديد تربة عابد سَلَام الأسيوطي، اشتعلت منها نيران عالية غطّت سطح التربة بأكملها وظلّت مُشتعلة لدقائق ثم انطفأت ولكن، ولكن سطح التربة اختفى وكأنه لم يكن موجوداً على الإطلاق، حتى اللافئة التي كُتِب عليها اسم العائلة: «مدافن عائلة الأسيوطي»، فقد اختفت مع اختفاء سطح التربة، أمّا خادم عابد الذي ظلّ حبيس التربة كلّ هذه الفترة، فقد تجسّد في صورة شابّ كان يقف في نفس مكان القبر بالضبط، أخذ ينظر من حوله ثم انقلبت عينيه، وأخذ شكله يتحوّل إلى ذلك الشكل المُخيف الخاصّ به في الحقيقة، وفي ظلّ تصاعد الدخان الكثيف صرخ بأعلى صوته وهو يقول:

- «لقد حلّت لعنته على كلّ شيء، إنه حقّاً، ملعون هذا الزمان!!»

* * *

خاتمة.

«الخاتمة هي مُجرّد نهاية نضعها لأفكارنا حتى لا نُفكّر في أحد الأمور مُجدّدًا، رغم أننا ندرك جيّدًا أنه لا يوجد شيء اسمه نهاية أبدًا، كلّ شيء مُستمرّ للأبد!!»

يوم الإثنين ٢١ / ٨ / ٢٠١٧، الساعة الواحدة مساءً.

انقطعت الجرائم لسنين لم تكن بالطويلة على الإطلاق، ولكن الجميع قد نسي ذلك، أقصد حاول أن يتناسى ولكن، ولكن دائماً ما تكون النهاية التي نعرفها هي مجرد بداية لأحداث أخرى لا نتوقعها أبداً، حيث تم اكتشاف أحد الجرائم منذ ساعات بنفس التفاصيل المعهودة لـ(الحنوتي)، في نفس اللحظة التي وصله فيها على مكتبه ظرفاً أسوداً يحمل رسالة مُحتموها الآتي:

* * *

انتظرك في المكان المعهود الذي التقينا فيه آخر مرة في تمام الثالثة صباحاً.
صديقك المُقرب.

* * *

وصلت نفس الرسالة إلى الصحفيّة وفاء، كان الاثنان يعلمان ذلك المكان جيّداً، شيء لا يُمكن نسيانه أبداً، فالاثنان قد فهما أن ذلك المكان هو أمام منزل عابد سلّام الأسبوطي، من بعد الصدمة التي أصابتهما منذ آخر جريمة اليوم وصلا في الموعد المُحدّد ليتفاجأ أن كلّاً منهما قد تلقى نفس الرسالة، ظلّ الاثنان صامتين لثوانٍ حتى ظهر شخص ثالث واتجه نحوهما بابتسامة قائلاً:

- «حُضرة الضّابط كامل، أستاذة وفاء؟»

أوماً الاثنان بنعم فأردف ذلك الرّجل قائلاً:

- «في الحقيقة، أنت لا تعرفني، ولم نلتق من قبل، ولكنني واثق أنك ستعرفني حينما أتحدّث إليك، في الواقع يا حُضرة الضّابط، لقد أتيت إلى هُنا لأذكرك بشيء ما، لا أدري هل ستتذكّره أم لا ولكن يجب أن تعلم أن الشرّ لا ينتهي أبداً، بدأت الأرض بالخير، ولكن البشر هم من ابتدعوا الشرّ، البشر هم من كانوا السّبب في شيوع القتل منذ بداية خلق آدم، البشر هم السّبب في انتشار المذابح في الأرض، لذا فالمذابح البشريّة لن تنتهي أبداً ويجب أن يعلم الجميع هذا، في الحقيقة، لقد انتهت مذابح (الحنوتي) ولكن لا نهاية للمذابح البشريّة، لا نهاية لمذابح (حارق)!!»

أنهى هذه العبارة ثم انصرف على الفور في نفس اللحظة التي صرخ فيها كامل قائلاً:

- «من أنت بحق السماء؟!»

التفت الرجل برأسه إليه بهُدوء أعصاب ثم ردّ وهو يبتسم قائلاً:

- «أنا؟! أنا (سَلَام الميْت) أنا ملعون هذا الزمان! أنا تلك اللّعة التي ستظلّ مُلازمة لكم للأبد! أنا اللّعة التي لا تنتهي أبداً! أنا لعنة (حارق) الأبدية، أنا المعلنون!!»
قال تلك العبارة وذهب في طريقه حتى اختفى وسط الظلام، أمّا الاثنان فقد ظلّت نفس العبارة التي قالها تتردّد في أفكارهما، لقد أصبح هذا قدرهم الأبديّ، يبدو أنه قد كان على حق.

* * *

يجب أن تعلم أن الشرّ لا ينتهي أبداً، بدأت الأرض بالخير، ولكن البشر هم من ابتدعوا الشرّ، البشر هم من كانوا السّبب في شيوع القتل مُنذ بداية خلق آدم، البشر هم السّبب في انتشار المذابح في الأرض، لذا فالمذابح البشريّة لن تنتهي أبداً ويجب أن يعلم الجميع هذا، في الحقيقة، لقد انتهت مذابح (الحنوتي) ولكن لا نهاية للمذابح البشريّة، لا نهاية لمذابح (حارق)!!

* * *

يجب أن تعلم أن الشرّ لا ينتهي أبداً، بدأت الأرض بالخير، ولكن البشر هم من ابتدعوا الشرّ، البشر هم من كانوا السّبب في شيوع القتل مُنذ بداية خلق آدم، البشر هم السّبب في انتشار المذابح في الأرض، لذا فالمذابح البشريّة لن تنتهي أبداً ويجب أن يعلم الجميع هذا، في الحقيقة، لقد انتهت مذابح (الحنوتي) ولكن لا نهاية للمذابح البشريّة، لا نهاية لمذابح (حارق)!!

* * *

قال تعالى: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...».

(سورة البقرة، الآية ١٠٢)

* * *

تمّت بحمد الله.

إهداء شخصي

في الحقيقة، الإهداءات هي مجرد كلمات تُقال لإثبات العرفان بالجميل لأشخاص

=====

مُعَيَّنِينَ، ولكنني بحق، أودّ أن أتوجّه بالشكر إلى كلّ من ساعدني وساندني وبالأخصّ: (أحمد طارق): صديقي الصّدوق، أو أخي كمّا أُسمّيكَ، أو بنيّ، أو الدُّنْجوان الصغير، لا يُهمّ، ما يُهمّني أن الكلمات قد عجزت عن التعبير عن دورك في حياتي، ولكنك تُدرّكه يا صديقي دون تفسير، أتمنى لك السَّعادة المصحوبة بفرحة لا تنقطع أبداً! (أيمن ضياء): طبيب المُستقبل، أحد من آمنوا بي، أدعو الله أن يُحقّق لك أحلامك يا صديق.

(زياد شكري): سيناريست المُستقبل، يوماً ما ستصل لحلمك وتحققه، و يوماً ما ستُنافس كبار الكُتّاب يا رفيق الدّرب، لن أنسى لك تشجيعك المُتواصل، ودعواتك الصّادقة.

(إيهاب يُسري، سميرة عيسى): والداي العزيزان، لا أدري هل تستطيع الكلمات أن تفسّر مقدار ما تحتويه نفسي الآن من كلمات تجاهكما، ولكن يكفيني حقّاً أنكما في حياتي، لا أدري ما الذي يجب عليّ أن أقوله الآن، ولكنني أدعو الله أن يُطيل في عُمركما وأن يرزقكما خيراً لا ينقطع.

(عمرو إيهاب): أخي المهندس المعماريّ، أو صاحب الحكمة الدّراميّة، لن أفسّر أكثر من هذا فأنت تفهمني، يكفيني فخراً أنك شقيقي وفقط.

(داليا إيهاب): أختي المهندسة، أوّل من آمنت بي، يكفي أن دعوتك لي لم تكن تُفارق لسانك.

(هبة رفعت): ابنة خالتي، الدّاعمة والمُساندة، يعلم الله دورك جيّداً فالشكر موصول لك.

(محمد كامل)، (أشرف عصام)، (محمد عاطف)، (أسامة أحمد)، (عبد المنعم الألفي)، (عبد الله إسماعيل: «الرّوك»)، (علاء النّجار)، (عبد الرحمن المُسلماني)، (علي السيّد)، (عز الدّين أيمن)، (أحمد العركي)، (أحمد سعيد)، (عبد الله شرف)، (أحمد مُحسن)، (محمد غُنيمي)، (عُمر طارق)، (عبد الله أسامة)، (أمجد مصباح)، (محمد مصباح)، (آية رفعت)، (عبير حكيم): جميعكم يعرف دوره ولكن أقل ما يقال هو شكراً لكم.

(أ.م.ع.): إلى الشخسيّة الحقيقيّة الخياليّة، لا أدري أيّ كلمات يُمكن لها أن تُقال في

مثل هذا الموقف، لعلمك مدى عظم مكانتك في حياتي رغم جميع الأحداث المحيطة،
ففي النهاية، تبقى مكانتك كما هي في قلبي، ورغم كل ما حدث وما قد يحدث،
يجب أن يصلك هذا الإهداء بأي شكل، فشكرًا على كل شيء، وأدعو الله لك بكل
خير حتى بعد المسافات التي فرقتنا.
إلى جميع من خاني قلبي ولم أذكر اسمه، ولكن اعلم أنك ما دمت تعرفني فأنت
تستحق إهداءً.
يعلم الله مدى أهمية شكر كل من دعمني وساندني حتى خروج العمل بهذا الشكل،
وحتى إن نسيت أحدًا، فكل منكم يعلم عظم الدور الذي قدّمه لي، شكرًا جزيلاً.
* * *

للتواصل مع الكاتب :

Facebook: <https://www.facebook.com/temyuser>

Instagram: <https://www.instagram.com/temyuser>

* * *



فصلة

للنشر والتوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub
